تاريخ
مَمْلكَــة مِيتَّــاني الحُــورِيّــة

أُهدي هذا الكتاب

إلى روح المؤرّخ شَرَف خان بَدْلِيسي.

وإلى روح المؤرّخ محمّد أَمِين زَكي.

وإلى كلّ باحث في التاريخ الكوردي.

أحمد

تاريخ
مَمْلكَـة مِيتَّـاني الحُـورِيّـة

د. أحمد محمود الخليل



اربيل- ٢٠١٣



دار موكريانى للبحوث والنشر

- **تاريخ مملكة ميتاني الحورية**
- د. أحمد محمود الخليل
- التصميم الداخلي: ريدار جعفر
- الغلاف: ريمان
- السعر: (٣٠٠٠) دينار
- الطبعة الاولى: ٢٠١٣
- العدد:
- المطبعة : موكريانى (اربيل)
- رقم الايداع (٢٨٥) في مدرية العامة للمكتبات لسنة (٢٠١٣)

تسلسل الكتاب (٧٣٩)

الموقع: www.mukiryani.com
ئيميل: info@mukiryani.com

الفهرست



المقـدّمـه:

طوال خمسة وعشرين قرناً، كانت الأمة الكوردية عُرضة لعمليات تفريغ الذاكرة، لقد مارست الأنظمة التى احتلت كوردستان تغييبَ تواريخ أسلاف الكورد عن أحفادهم، حتّى وصل الأمر بالكوردى إلى درجة أنه كان يعرف أنه كوردى، فقط لأنه يتحدّث الكوردية، أو لأنه ينتمى إلى قبيلة كوردية، لكن ما معنى أنه كوردى؟ ومن هم أسلافه الأقدمون؟ فما كان يعلم عن ذلك إلا القليل، وأحياناً لا شىء.

وقد تنبّه بعض حكماء الكورد الغَيارى إلى خطورة هذه الثغرة، فشمّروا عن سواعدهم، ورجعوا إلى المصادر مع قلّتها، وجمعوا المعلومات من هنا وهناك، ليزيلوا ظلمات التعتيم عن التاريخ الكوردى، وليكشفوا عن الخيط الثابت والمتواصل بين الكورد وأسلافهم الأقدمين، وكان أبرز أولئك الحكماء الأمير شَرَف خان بَدْليسى (١٥٤٣ — ١٦٠٤ م)، من مدينة بَدْليس بكوردستان الشمالية فى كتابه "شَرَف نامَه"، والعلامة محمد أمين زكى (١٨٨٠ — ١٩٤٨ م)، من مدينة سُليمانية بكوردستان الجنوبية، فى كتابه "خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان".

وما زالت الثغرة فى مجال التاريخ الكوردى كبيرة، وهى بحاجة ماسّة إلى مزيد من العمل العلمى الجادّ لتضييقها وسدّها، وإخراجِ تاريخ الكورد من غياهب التعتيم والتغييب، ووضْعِهِ تحت شمس الحقيقة، من غير قفزٍ على الحقائق، ولا خروجٍ على التقاليد الأكاديمية، ومن غير انجرافٍ مع النزعات القوموية الشوفينية، ولا استعلاءٍ على الشعوب الأخرى، ولا سعيٍ خلف اختراع الأمجاد الجوفاء. وفى إطار حاجة الأمة الكوردية إلى معرفة تاريخها على حقيقته، وحاجة الشعوب الأخرى إلى معرفة تاريخ هذه الأمة، كان تأليف هذا الكتاب.

وتأتى أهمية البحث فى التاريخ الحورى من حقيقة أن ثلاثة فروع من أسلاف الكورد وضعت الأسس الاجتماعية والثقافية والسياسية للأمة الكوردية: أولها فرعُ گُوتى فى أواخر الألف الثالث ق.م، وثانيها فرعُ حُورى/ميتّانى فى النصف الثانى من الألف الثانى ق.م، وثالثها فرعُ ميدى فى أواخر القرن السابع ق.م وأوائل القرن السادس ق.م. وكنا قد تناولنا

تواريخ فروع أسلاف الكورد بإيجاز فى كتاب بعنوان "تاريخ أسلاف الكورد"، وأتْبعناه بكتاب عنوانه "مملكة ميديا"، ووجدنا من الضرورى أن نستكمل سلسلة البحث فى تواريخ أسلاف الكورد بالكتابة عن التاريخ الحورى/الميتّانى.

والحقيقة أن فى التاريخ الحورى/الميتّانى الذى وصَلَنا فجوات كثيرة، ولا يجد الباحث بين يديه سلسلة تنتظم فيها الأحداث حسبما يقتضى المنهج التاريخى، وإنما يجد معلومات متفرقة، وهى فى مجملها غير متسلسلة ولا متماسكة بما فيه الكفاية، ومع أن كتاب "الحوريون: تاريخهم وحضارتهم" للباحث الألمانى جِرْنوت فيلهلم Gernot Wilhelm مصدر مهمّ بشأن التاريخ الحورى، لكنه لم يتمكّن من سدّ تلك الفجوات، ليس عجزاً من السيّد الباحث، وإنما لأن المعلومات التى وصلته كانت قليلة ومبتورة، ونعتقد أن البحث الأركيولوجى- مستقبلاً- فى مثلث الخابور والبليخ (مركز مملكة ميتّانى)، وفى الوطن الحورى عامّة، سيقدّم معلومات جديدة بشأن الحوريين.

إن هذا الكتاب يعرّف بأصل الحوريين، وجغرافيا انتشارهم وبدايات تكوينهم السياسى، ثم نشأة مملكة ميتّانى وازدهارها ونفوذها فى سوريا، والعلاقات الميتّانية- المصرية التى كانت علاقة صراع، ثم تحوّلت إلى علاقة تحالف متميّزة، وقد دخلت مملكة ميتّانى بعدئذ مرحلة الانحدار، نتيجة الصراعات الداخلية والغزو الحثّى، إلى أن قضت عليها مملكة آشور. وبعد هذا جاء دور التعريف بالمجتمع الحورى/الميتّانى من حيث الطبقات الاجتماعية واللغة والأدب والفن والميثولوجيا، وأخيراً قدّمنا بعض الأدلة على أن الحوريين/الميتّانيين هم من أسلاف الكورد الأقدمين.

وختاماً، آمل أن يجد القارئ فى هذا الكتاب ما هو مفيد بشأن تاريخ الحوريين عامّة ومملكة ميتّانى خاصةً، وأشكر ولدىّ مصطفى وجوان، لِما بذلاه من جهد فى تصوير الخرائط والصور وتنسيقها، وحبّذا أن يرجع القارئ إلى تلك الخرائط والصور لأهمّيتها فى التعريف بالأحداث.

أحمد محمود الخليل

دولة الإمارات العربية المتحدة- مدينة العَين

الأحد ١١ – ١١ – ٢٠١٢ م

الفَصْل الأَوّل
الحُــورِّيون والمِيتّــانِيُّون
في عُمْـقِ التّـاريخ

١
صِراعٌ على الجُغْرافِيا

لا تنشأ الكيانات السياسية (الإمارات والدول والممالك والإمبراطوريات) بسبب توافر العوامل الذاتية (الداخلية) للمجتمع فقط، وإنما لا بدّ من توافر عوامل جيوسياسية إقليمية، وأحياناً عالمية أيضاً، وفى الغالب تكون العوامل الجيوسياسية نفسُها مشتملةً على عوامل اقتصادية وثقافية، ومن المفيد جداً- عند البحث فى نشأة كيان سياسى ما- أن نأخذ هذه العوامل فى الحسبان، لأنها فى الوقت الذى تُلقى فيه الضوء على ظروف نشأة الكيان السياسى، تساعد أيضاً على فهم أسباب سقوط ذلك الكيان وزواله، وفى التاريخ عشرات الأمثلة على ذلك.

الحُورِيُّون وكُرق التجاره:

لم تكن نشأة مملكة ميتّانى الحورية استثناءً على هذه القاعدة التاريخية السابقة الذكر، ودعونا نبحثْ فى أوضاع غربى آسيا جيوسياسياً قُبيل وإبّان ظهور هذه المملكة، ولْيكنْ بحثُنا مُركَّزاً على المنطقة الجغرافية التى كانت فى العصور القديمة أكثر المناطق فى الشرق الأوسط حيوية وتحضّراً وعُرضة للتقلّبات السياسية والثقافية والاقتصادية؛ وهى المنطقة الواقعة بين الخليج السومرى (بعدئذ سُمّى الفارسى، وسمّاه العرب حديثاً: العربى) وصحراء العرب جنوباً، والبحر الأسود شمالاً، والهضبة الآريانية (تسمّى الإيرانية حديثاً) شرقاً، والبحر الأبيض المتوسط

غرباً. ووفق الخريطة السياسية المعاصرة تشمل تلك المنطقة: فارس (جنوب غرب إيران)، وكوردستان (مقسَّمة حالياً بين إيران وتركيا والعراق وسوريا)، وأرمينيا، وتركيا، والعراق، وسوريا، ولبنان، وفلسطين، والأُرْدُن.

وجدير بالذكر أن هذه المنطقة الشاسعة لم تكن حينذاك مُهمّة جيوسياسياً فقط، وإنما كانت مهمّة اقتصادياً أيضاً، بل إن أهمّيتها الجيوسياسية كانت نابعة إلى حدّ كبير من أهمّيتها الاقتصادية بسبب طريقين تجاريين عالميين هما:

الأول- طريق الحرير التجارى: كان طريق الحرير هو الشريانَ التجارى العالمى القادم من الصين عبر وسط آسيا، وشمالى الهضبة الآريانية (جنوبى بحر قَزْوين)، وكان ينعطف باتجاه الجنوب عند مدينة رَغَه Rege (الرَّى، قرب طهران حالياً)، متوجّهاً إلى موقع مدينة أَكْباتانا (آمَدان= هَمَذان) فى جنوبى كوردستان، ثم يتّجه شرقاً عبر جنوبى كوردستان أيضاً إلى بلاد سومر (جنوبى بلاد الرافِدَين/العراق)، وإلى بابل (وسط بلاد الرافِدَين حيث تقع مدينة بابل قرب بغداد حالياً).

ومن قلب بلاد الرافِدَين كان طريق الحرير التجارى يتفرّع، فيتّجه فرع نحو مدينة تَدْمُر السورية، ومنها إلى حِمْص والساحل السورى، وكان فرع ثانٍ ينحدر جنوباً نحو فلسطين وجنوبى الأُردن، ليصل إلى خليج العَقَبَة، وليصل إلى مصر بحراً عبر البحر الأحمر، وبرّاً عبر صحراء سيناء. وكان فرع ثالث يتّجه إلى الأجزاء العليا من بلاد الرافِدَين فى الشمال الغربى (منطقة الموصل ومناطق غربى وشمالى كوردستان)، وتتفرع إلى عدّة فروع أهمّها الفرع الذى كان يتّجه إلى مدينة حَرّان، فإلى مدينة كَرْكَميش على الفرات، ثم يتّجه غرباً نحو قلب الأناضول، وإلى سواحل بحر إيجَه، وسواحل شرقى البحر المتوسط، وبطبيعة الحال كانت الموانئ الواقعة على سواحل شمالى وشرقى البحر المتوسط هى صلة الوصل التجارية بين مجتمعات آسيا، ومجتمعات أوربا، ومجتمعات إفريقيا ذات الشأن حينذاك، وهى مصر وشمالى إفريقيا.

الثانى- طريق البخور التجارى: كان طريق البخور والتوابل أيضاً شرياناً اقتصادياً شديد الأهمّية فى العالم القديم (آسيا- أوربا- إفريقيا)، إنه كان ينطلق من جنوبى الصين فى أقصى الشرق، ويمرّ عبر سواحل بلدان جنوبى آسيا، ويصل بحراً إلى موانئ جنوبى اليمن، ثم يتّجه شمالاً عبر غربى شبه الجزيرة العربية، ماراً بمدينتى مكّة ويَثْرب (المدينة)، ومنتهياً إلى جنوبى الأُردن، ويتفرّع هناك إلى ثلاثة فروع رئيسة: كان فرع يتّجه نحو قلب ميزوپوتاميا، وفرع

ثانٍ يتــجه نحو فلسطين وسوريا الداخلية والساحلية، وفرع ثالث يتّجه براً إلى مصر عبر صحراء سيناء.



خارطة طرق تجارة الشرق الأدنى

وبتعبير آخر: إن فروع طريق البخور كانت تلتقى بفروع طريق الحرير فى بلاد الرافِدَين وسوريا وفلسطين وآسيا الصغرى (غربى تركيا حالياً)، ومن هناک كانت تنتهى إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط، لتصل بعدئذ إلى جنوبى أوربا عبر اليونان وإيطاليا، ولو تتبّعنا مواقع أكثر المدن تحضّراً وتمدّناً فى العالم القديم، وأكثرها ازدهاراً ثقافياً واقتصادياً، لوجدناها تقع على طريقى الحرير والبخور، وعلى فروع ذَيْنک الطريقين، ولو بحثا أيضاً عن أكثر الطرق التى عبر عليها الساسة ودُعاة الأديان وجيوش الفاتحين، لوجدنا هى الطرق ذاتها التى كان التجّار يتنقّلون عليها، وتعبرها القوافل التجارية فى جميع الاتجاهات.

وفى هذه المنطقة الشديدة الأهمية؛ قامت أكثر ممالک غربى آسيا شأناً، وفيها دارت أكثر الصراعات شراسة، ولذلک كانت الممالک المجاورة جميعها تعمل لبسط سيطرتها على تلک المناطق، بدءاً من الأكّاديين والبابليين والكاشّيين والحوريين والآشوريين والميديين فى الشرق، ومروراً بالحثّيين واللِّيديين فى الغرب والشمال، وانتهاء بالمصريين فى الجنوب والغرب، ولا ننس الفرس واليونان والرومان أيضاً. ويبدو أن مقولة "لا جديد تحت الشمس" ما زالت مقبولة؛ إذ إن هذه المنطقة ذاتها كانت- وما تزال- ساحة لأكثر الاضطرابات والصراعات، خاصة بعد أن اكتُشف البترول فيها، ولا عجب فى ذلک فإن خطوط أنابيب البترول صارت عاملاً اقتصادياً خطيراً جديداً، أُضيف إلى عامل خطوط التجارة العالمية.

وفى قلب هذه المنطقة نشأت مملكة ميتّانى، وقد مرّ أنها كانت امتداداً جغرافياً وسياسياً وثقافياً للمجتمع الحورى، وقد نشأت فى أكثر المناطق الحورية أهمية على الصعيد الجيوسياسى، وكانت عاصمتها واشوكانى (واشوكّانّى Washukkanni) واقعة فى الجزيرة العليا (غربى كوردستان، شمال شرقى سوريا حالياً)، ومن هناک بسطت نفوذها غرباً إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، وشرقاً حتى أَرّابْخا (فى منطقة كركوک)، وشمالاً حتى مشارف جبال القوقاز (أرمينيا حالياً)، وجنوباً حتى وسط سوريا (مجرى نهر العاصى)، وهذا يعنى ضمناً أن جغرافيا مملكة ميتّانى كانت تشتمل ضمناً على أبرز المناطق التى تمرّ فيها فروع طريق الحرير، وتلتقى فيها بأكثر فروع طريق البخور.

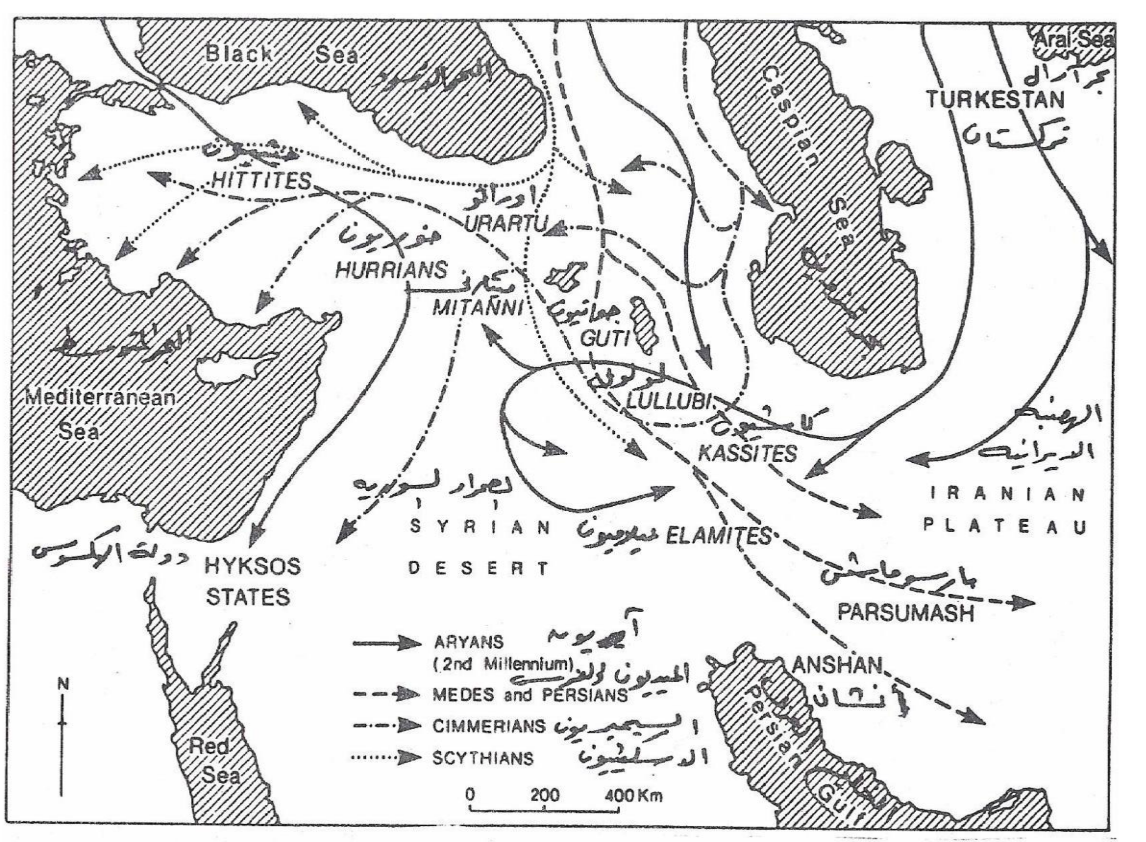
صراعاتُ أقوامِ الجبالِ وأقوامِ الصحراء:

لتوضيح البعد الجيوسياسى فى غربى آسيا على نحو أفضل، واستكشاف علاقة ذلک بمملكة ميتّانى، دعونا نُوسّع الأفق الزمنى والجغرافى، فمنذ الألف الرابع قبل الميلاد كانت سهول بلاد الرافِدَين وسهول سوريا- وهى امتداد لسهول بلاد الرافِدَين (بلاد الرافدين=

العراق حديثاً)- مسرحاً لصراع حادّ بين أقوام الجبال وأقوام الصحراء، ويمكن القول أيضاً: بين أقوام الشمال الشرقى وأقوام الجنوب الغربى، فمنذ أواخر العصر الحجرى الحديث (بين حوالى ٩٠٠٠ – ٥٠٠٠ ق.م) انتقل البشر فى غربى آسيا من طور (جمع القوت) إلى طور (إنتاج القوت) بالزارعة؛ الأمر الذى أدّى بطبيعة الحال إلى تكاثر البشر بوتيرة أسرع من ناحية، والبحث عن المناطق السهلية الصالحة للزارعة والتى تتوافر فيها المجارى المائية، وتحظى بنسبة مناسبة من تساقط الأمطار، وكانت هذه الشروط تتوافر فى سهول بلاد الرافِدَين وسوريا.

وفى البداية دار الصراع بين أقوام زاغروس (أسلاف الكورد) وأقوام الصحراء القادمين من شبه جزيرة العرب، وبما أن منطقة حضارة گُوزانا Guzana (حضارة حَلَف)- تمتد من جبال زاغروس عبر كوردستان الشمالية والغربية وسوريا حتى البحر الأبيض المتوسط- كانت أكثر المواقع تقدّماً فى أواخر العصر الحجرى الحديث، فقد انطلقت منها أول دفعة بشرية نحو سهول جنوبى ميزوپوتاميا، وعُرفوا هناك باسم (الشعب السُّومَرى)، وعُرفت بلادهم هناك باسم (سُومَر)، والأرجح أنهم بدأوا الانتقال إلى هناك منذ حوالى سنة (٤٠٠٠ ق.م)، لأن بدايات النقوش الكتابية الحجرية ترجع إلى عام (٣٦٠٠ ق. م)، وأسس السومريون هناك حضارة مزدهرة.

وحوالى سنة (٢٥٠٠ ق.م) انطلقت أقوام الصحراء من شمالى بلاد العرب، فوصل الكنعانيون إلى جنوبى سوريا (فلسطين)، ووصل الأكّاديون إلى جنوب غربى بلاد الرافِدَين (بلاد النهرين)، ثم تغلغلوا فى الجنوب موطن السومريين، وسيطروا عليها بقيادة سرجون الأول Sargon 1 حوالى سنة (٢٣٥٠ ق.م). وما لبث الگوتيون أن زحفوا من جبال زاغروس نحو بلاد أكّاد فى وسط العراق الحالى، ونحو سومر فى الجنوب، وذلك ردّا على اعتداءات الأكّاديين، وسيطروا على البلاد.



حركة هجرات الشعوب في المنطقة

وحوالى سنة (٢٠٠٠ ق.م) انطلقت قبائل الأَمُوريين Amurru (العَموريين) البدوية من صحراء سوريا (هى امتداد طبيعى لصحراء شبه جزيرة العرب)، وتغلغلوا فى شمالى سوريا، وأقاموا هناك مملكة مارى، ودخل فرع منهم إلى ميزوپوتاميا، وأسسوا هناك الدولة البابلية، ومن أشهر ملوكها حَمُورابى (أمورابى) Hammurapet، وراح ملوكها يعملون للسيطرة على أقوام جبال زاغروس، وحينذاک کانت القبائل الآرية (الهندو-أوربية) قد وصلت إلى غربى آسيا، واستقر بعضها فى مناطق زاغروس، وبعضها الآخر فى جنوبى منطقة القوقاز وفى الأناضول، وقد تصدّى العِيلاميون فى جنوبى منطقة زاغروس، والكاشّيّون فى المنطقة الوسطى من زاغروس، للبابليين وهاجمهم الحثيون من الشمال.

وفى القرون اللاحقة ظلّ الصراع على سهول بلاد الرافِدَين وسوريا قائماً بين أقوام الجبال من جانب (كان معظمهم آريين)، وأقوام الصحراء والسهوب البدوية من جانب آخر (كانوا فى الغالب ساميين)، وكان الصراع ينشب أحياناً بين فروع الآريين أنفسهم (كما بين الحثيين والكاشّيين، وبين الفرس والميديين)، وكذلک بين فروع الساميين (كما بين الآشوريين المحسوبين على الساميين، والبابليين)، وفى هذا الإطار حدثت صراعات مملكة ميتّانى ضد مملكة آشور فى الشرق، وضد مملكة الحثيين فى الشمال، وضد الآموريين فى سوريا، وضد مملكة مصر فى الجنوب البعيد.

٢

جُذورُ الحُوريّين

اسمُ شعب حُورى:

مثل كثير من الأسماء القديمة، ألقت إشكالية الصيغ اللفظية ظلالها على الحوريين Hurrites ، فاسمهم الشائع فى الدراسات العربية هو (حُورى)، أما اللفظ الصحيح فهو (خُورّى) بالخاء وتشديد الراء -Hur ri(بوضع نقطتين تحت H)، ولهذا الاسم صلة بكلمة (خُرَدى= خُورادى) التى تَرِد فى النصوص الحورية والأورارتية، وتعنى Huradi (الجندى اليَقِظ، الحارس)، وسمّاهم الحثّيون خُور- ليش Hur-lêsh وخُور- لوش Hur-lush، وهذه الصيغة جمعٌ مفردها (خور- لو)، وكانت تُقرأ بصيغة (خوررى)، ومن صيغ اسم شعب حورى: (خور- دو) و(خور- روم)، ويسمّى شعب حورى باسم (هُورى) أيضاً، وما زال هذا الاسم مستعملاً عند الكورد، وثمّة فى منطقة عِفْرِين (جبل الكورد= كورد داغ، فى أقصى غربى كوردستان) سلسلة جبلية اسمها بالكوردية (جبل هاوار) Çiyayê Hawarê، وهو أحد صيغ (هورى/حورى)، ويوجد رجال يحملون اسم (هُورو، هُوريک، أُورْيان)، ونساء يحملن اسم (هُورَى Horê) [١].

---

١ – جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٦٠٦/١. جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ١٧. محمد حرب فَرْزات، عيد مَرْعى: دول وحضارات الشرق العربى القديم، ص ١٦١. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص ٥٦١.

وقال جِرْنوت فيلْهِلْم: "لقد ورد اسم الحوريين بصيغة (حُورِيم) فى كتاب (العهد القديم)، دون أن يُقصَد به الدلالة على الحوريين بالمفهوم التاريخى واللغوى. ومعنى هذا الاسم غير معروف حتى الآن، فثمة تفسيرات عدّة اقتُرحت، ولكنها بقيت كلها تفتقر إلى دليل مقنع جازم"١.

وجدير بالذكر أن إضافة (الياء والميم) إلى آخر الاسم فى العبرية هو علامة الجمع، وما ذكره جِرْنوت فيلْهِلْم غير دقيق بما فيه الكفاية، فثمة من الأدلة ما يؤكد أن الــ (حوريم) الذين ذكرهم كتاب (العهد القديم) لم يكونوا شعباً آخر سوى الشعب الحورى، وقال الدكتور جمال رشيد أحمد فى هذا الشأن:

"وظاهرة وجود عدد كبير من الخوريين فى فلسطين لا تحتاج إلى مناقشة طويلة، فرغم عدم ورود خبر فى التوراة عن الخوريين الذين يعيشون فى منطقة يَزْرائيل٢، لكن أسماء الأعلام الخورية المسجَّلة فى ألواح تَعْنَك٣ التى اكتُشفت بوادى يَزْرائيل تُبيّن حقيقة كون سكّان هذه المنطقة من الخوريين، وقد درس أ. غوستاف A.Gustavs هذه الأسماء التى كانت غالبيّتها خورية وأكثر بكثير من الأسماء الكنعانية. وهذا الواقع ينطبق على أماكن أخرى من فلسطين خلال أواسط الألف الثانى قبل الميلاد"٤.

هويّةُ الحُوريّين:

ثمة اختلاف فى تحديد هوية الحوريين؛ وبشكل عام يمكن تمييز أربعة اتجاهات بين المؤرخين الذين تناولوا أصل الشعب الحورى:

الاتّجاهُ الأول: ممثّلو هذا الاتجاه قليلون جداً، وهم لا يحدّدون هويّة الحوريين، ومنهم هارى ساغز، فقد ذكر أنه فى أواخر الألف الثالث وأوائل الألف الثانى ق.م، أتى إلى المنطقة تدفّق قوى من الحوريين من المناطق الجبلية الواقعة إلى الشمال الشرقى من بلاد الرافِدَين (أى فى جبال كوردستان)، وترك آثاراً دائمة فى الثقافة الآشورية، وأنّ أحد أحفاد شَمْسش أداد

---

١ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ١٧.

٢ - مرج ابن عامر حالياً فى فلسطين.

٣ - قرب مدينة جنِين فى فلسطين حالياً.

٤ - جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٦٠٨/١ - ٦٠٩.

الأول (١٨١٣ – ١٧٨١ ق.م) تزوّج سيدة أو أميرة من إحدى القبائل القوية هناك، والتى يدل اسمها أنها كانت حورية، وأفاد جِرْنوت فيلْهِلْم أن الحوريين لعبوا دوراً مهمّاً فى أواسط الألف الثانى ق.م فى نقل الحضارة إلى سوريا وآسيا الصغرى١.

ويقول الدكتور عبد الحميد زايد بشأن هويّة الحوريين: " الحوريون هم من الجماعات التى تألّف منها خليط الهِكْسوس، وهم شعب ليس بالسامى ولا بالهندى أوربى، ولا زلنا لا نعلم عن أصله أىّ شىء، وجاؤوا من المرتفعات الواقعة شمال شرقى الهلال الخصيب، بين بحيرة أُورْمِيا وجبال زاغروس، ودخل هؤلاء، فى أواخر القرن الثالث عشر [ق.م]، شمال بلاد الرافدين، ثم اتجهوا إلى سورية، وأسّسوا إحدى الممالك القوية هناك"٢.

الاتّجاهُ الثّانى: ممثّلو هذا الاتجاه قلّة أيضاً، وهم يرون أن الحوريين ليسوا ساميين ولا آريين (هندو أوربيين)، وأنهم جاؤوا من المرتفعات الواقعة شمال شرقى الهلال الخصيب، بين بحيرة أُورْمِيَه وجبال زاغروس، وكانوا يقيمون هناك منذ الألف الثالث ق.م، وفى أواخر القرن الثالث عشر ق.م دخلوا شمالى بلاد الرافدين وشمالى سوريا، وأسسوا إحدى الممالك القوية هناك، ولم تكن لغتهم سامية ولا آرية، ويميل بعض العلماء إلى اعتبارها قوقازية٣.

وجدير بالذكر أنه يوجد فى المصادر التاريخية أحياناً تداخل بين تسمية (قوقازى) وتسمية (زاغروسى)، وقد ذكر الدكتور جمال رشيد أحمد أن الروس والجورجيون والأرمن تناولوا موضع الحوريين فى وقت متأخر، مستغلّين دوريات المتخصّصين من روّاد الدراسات الحورية، مثل فينكلر Winckler، ومِسّر شميدت Messer schmidt، وينسين Jensen، وبرونّو Brunnow، وبورك Bork، وسپايزر Speiser، منذ القرن التاسع عشر فى معاهد أوربا الغربية والولايات المتحدة، ومدّعين- زُوراً- أن دراساتهم تشمل لغات العالم القفقاسى، فى حين صحّح وسپايزر هذه

---

١ – هارى ساغز: عظمة آشور، ص ٥٣، ١٧٤. نائل حَنّون: حقيقة السومريين، ص ١٦٥. محمد حرب فَرْزات، عيد مَرْعى: دول وحضارات الشرق العربى القديم، ص ١٦١. جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٢٤، ٢٩. جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٦٠١/١.

٢ – عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٣٧٣.

٣ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٢٩. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٣٧٣، ٥٦١.

التسمية، فسمّاها (اللغات الزاغروسية)؛ لأن الحوريين لم يكونوا سكان قفقاسيا يوماً ما، وإنما كانت الجبال الكوردية التى عُرفت بزاغروس منذ العصر الهلليني مهد الحوريين[١].

وفى الغالب يصنّف المؤرخون الشعوبَ غير السامية وغير الآرية فى غربى آسيا بأنهم من صنف (زاغروس– عيلامى)، والمقصود أنها من سكان جبال زاغروس القدماء، الذين يعود وجودهم هناك إلى العصور الحجرية. وقد قال جِرْنوت فيلْهِلْم: "تُقدّم لنا رسائل مارى أخباراً مباشرة عن الضغط السكّانى فى الأطراف الشرقية، وتذكر أن سكان زاغروس المسمِّين (تُورُوكُّو) Turukku اضطروا بسبب الجوع إلى غزو المستوطنات، ونهب المواد الغذائية منها، ويلاحَظ أن أسماء أولئك الـ (توروكّو)– ولا سيّما أسماء قادتهم– حورية"[٢]. إن قول جرنوت هذا ينصبّ أيضاً فى صالح الهويّة الزاغروسية للحوريين.

الاتّجاهُ الثّالث: يرى ممثّلو هذا الاتجاه أن الحوريين هم السوبارتيون القدماء، إن آ. أُنْجناد A. Ungnad فى كتابه "سُوبارْتو: مساهمات فى التاريخ الحضارى وتاريخ الشعوب فى جنوب غربى آسيا"، الصادر عام (١٩٣٥ م) يعتبر الحوريين أقدم تجمّع عرقى بجوار ميزوپوتاميا، وذكر أن تاريخهم الحضارى يرجع إلى العصر الحجرى الحديث (النيوليثى) Neolithic، وهو يبدأ فى حدود الألف (٩ ق.م)، لكن تعليله لرأيه لم يكن موفَّقاً. وقد عبّر أفرايم سپايزر Ephraim Speiser فى كتابه "الأصول الرافدية: الشعوب الأساسية فى الشرق الأدنى القديم" الصادر عام (١٩٣٠ م) عن رأى قريب من رأى أُنْجناد، فقد سلّم بالوجود الأصيل للحوريين فى شمالى ميزوپوتاميا، لكنه تراجع عن رأيه هذا عام (١٩٣٢م)[٣].

وقد عرض الباحث الأمريكى جِلْب Ignace Gelb عام (١٩٤٤ م) رأياً جديداً، مفاده ضرورة التفريق بين الحوريين والسوبارْتيين، فالسُّوبارتيون– لغوياً وعرقياً– هم الشعب الأصيل فى شمالى بلاد الرافِدَين منذ أقدم العصور، أما الحوريون فهم أحفادهم المتأخرون، ورأيه شبيه برأى سپايْزِر المعدَّل، واضطّر جِلْب إلى تعديل رأيه عام (١٩٥٦ م)، ومع ذلك بقيت نظريته قائمة. ومن ناحية أخرى أشار سپايْزِر عام (١٨٤٨ م) إلى أن السومريين والبابليين كانوا

---

١ – جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ١/١٤٧ – ١٤٩. أحمد هُبُّو: تاريخ الشرق القديم (سوريا)، ص ١١٦.

٢ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٤٣.

٣ – المرجع السابق، ص ٢٣.

يصفون المفردات اللغوية الحورية بأنها "سُوبارتية"، مع إقراره بوجود كلمات ذات ملامح غير سامية وغير حورية فى المواد اللغوية الموصوفة بأنها سوبارتية[1].

الاتّجاهُ الرّابع: ممثلو هذا الاتجاه هم الأكثرية الغالبة بين المؤرخين، ومنهم الدكتور توفيق سليمان فقد ذكر أن القبائل الحورية هاجرت إلى شمال غربى بلاد الرافِدَين، واستوطنت المناطق الواقعة فى أعالى نهر الخابور، وقد شكّلت جزءاً مما يسمّى الموجة الهندو آرية الكبرى. وذكر فِراس السَّوّاح أن الحوريين شعب هندوأوربى، بدأوا بالدخول إلى مناطق سوريا الشمالية والجزيرة العليا منذ أوائل الألف الثانى قبل الميلاد[2].

ومع أن الدكتور سيّد القِمْنى ذكر أن صلات الجنس الحورى بأجناس أخرى غير معروفة، لكنه ذكر فى الوقت نفسه أن الأسرات الملكية والأمراء الميتّانيين من أصل هندوآرى، لأنهم كانوا يحلفون بآلهة هندوآرية، مثل أَنْدرا، ومِيثْرا، وڤارُونا، وناسيتا (آناهيتا)، ويرى الأستاذ أحمد فخرى أن الحوريين والميتّانيين فرع من الهندو آريين الذين نزلوا فى "شمالى العراق، فاستقروا وادى الفرات الأعلى"؛ متجنّباً ذكر كوردستان، وفقاً لنهج معظم المؤرخين المستعربين فى القرن العشرين[3].

والخلاصة أن الحوريين هم نتاج الاندماج الإثنى والثقافى بين القبائل الآرية وأقوام زاغروس القدماء، ومن المنطقى أن نفترض أن هذا الاندماج لم يحصل فى سنة أو فى عقد أو عقدين من الزمان، وإنما استغرق عدّة قرون، ومن المنطقى أن نفترض أيضاً أن كثيراً من الصراعات والحروب نشأت بين أقوام زاغروس القدماء والوافدين الآريين الجدد، وبما أن الوافدين كانوا يمتلكون أسلحة مصنوعة من الحديد، ويستخدمون الخيول فى الحروب، تفوّقوا على أقوام زاغروس القدماء، وأصبحت السيادة والسلطة فى أيديهم، وأضفوا طابعهم الثقافى والسياسى على التكوين الاجتماعى الجديد، لكنهم لم يستطيعوا فى الوقت نفسه إلغاء جميع الخصائص الزاغروسية الأصلية، وإنما تأثروا بها كثيراً أو قليلاً، وظلت الخصائص الآرية والزاغروسية متجانسة ومتفاعلة فى الشخصية الحورية والمجتمع الحورى[4].

---

١ - المرجع السابق، ص ٢٤.

٢ - توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣١٢. فِراس السَّوّاح: الحَدَث التوراتى والشرق الأدنى القديم، ص ٤٤، ٦١.

٣ - سيّد القِمْنى: النبى موسى وآخر أيام تلّ العَمارِنَة، ج ٢، ص ٢٥٦. أحمد فَخرى: دراسات فى تاريخ الشرق القديم، ص ٤١.

٤ - وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٦٠/١. جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٥٩. محمد أبو المَحاسِن عُصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص ٢٩٢. محمد حرب فَرْزات، عيد مَرْعى: دول وحضارات الشرق العربى القديم، ص ١٥٧.

٣

الجُغْرافِيا الحُورِيّة

مَهْدُ الحُورِيّين:

ذكر جرِنوت فيلْهِلْم أن المناطق الواقعة على جانبى المجرى العلوى لنهر دجلة وروافده الشرقية (كوردستان الوسطى) كانت المَواطن الأولى للحوريين فى الشرق القديم، وكثيراً ما يشار فى المصادر الكتابية- لا سيّما الحثية- إلى بلاد الحوريين باسم "بلاد خُرّى"، و "أرض حورى"، إلى جانب تسميات جغرافية هى (ميتّانى، خانى جَلبْات)، وسمّى المصريون أقرب مناطق الحوريين إليهم بأسماء (نَهْرى، نَهرِن، نَهْرِينا)، وسمّى البابليون المنطقة نفسها باسم (ماتو نَخْريما)١.

وقد أكّد الدكتور جمال رشيد أحمد هذه المعلومات، مستدلاً على ذلك بما جاء فى الكتابات المسمارية فى الألف الثانى ق.م، وكتب يقول:

"تؤكد الدلائل المتوفّرة لدينا على أن مهد الخوريين كانت البلاد الكوردية الحالية التى تمتد من جبال زاغروس شرقاً حتى البحر الأبيض المتوسط غرباً، وكان ظهورهم فى التاريخ منذ الألف الثالث ق.م، حيث أشارت السجلات المسمارية فى الألف الثانى ق.م إلى أن هؤلاء كانوا سكان المناطق المشرفة على نهر الزاب الصغير (شَمْشاره وحواليها) بسهل بَيْتْواتَه وكركوك وأربيل والموصل ووان والجزيرة ووديان نهر الخابور وحتى حلب وحواليها، وبعدما

---

١ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٢٤، ٢٩. محمد حرب فَرْزات، عيد مَرْعى: دول وحضارات الشرق العربى القديم، ص ١٦١. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص ٥٦٢.

وقع هؤلاء تحت تأثير الحضارة السومرية والأكّادية أصبحوا الوسيط الذى نقل معالم حضارة وادى الرافدين إلى آسيا الصغرى وبلاد الشام"١.

وقال الدكتور عبد الحميد زايد فى هذا الصدد:

" الحوريّون Hurrites : سكن هذا الشعب شمالى بلاد ما بين النهرين، وحول بحيرة ڤان [وان]، منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وفى الألف الثانى انتشروا فى سورية وفلسطين. وقد ضغط عليهم الساميون، فانكمشوا منذ نهاية الألف الثانى وأثناء الألف الأول قبل الميلاد إلى غربى وجنوبى بحيرة ڤان"٢.

ومع مطلع الألف الثانى ق.م، أو حوالى عام (١٦٩٠ ق.م) حسبما ذكر وِلْيام لانْجِر، بدأت هجرات الحوريين، وانتشروا فى جهات عدّة، وكان ذلك نتيجة وصول بعض القبائل الآرية إلى جبال زاغروس والمناطق المتاخمة لها، قادمةً من الشرق والشمال، وشملت الجغرافيا التى انتشر فيها الحوريون مناطق شاسعة تمتد من مناطق وان شمالاً، إلى مناطق شَوشّارَه (شَمْشاره) ونُوزى قرب كركوك جنوباً، وإلى شمالى الموصل غرباً٣.

وذكر جِرْنوت فيلْهِلْم بشأن الجغرافيا الحورية أن مدينة أَلالاخ الواقعة على المجرى السفلى لنهر العاصى هى أبعد المواقع التى كُشف فيها عن نصوص من العصر البابلى القديم، تتضمّن أسماء أشخاص حوريين، وأضاف يقول:

"وصلتْ إلينا من مدينة (شَوَشَارّا) الواقعة على المجرى العلوى لنهر الزاب السفلى- وهى على الأرجح مطابقة لــ (شَشْرُم) المذكورة مراراً فى نصوص عصر سلالة أور الثالثة- نصوصٌ تعود إلى فترة حكم حاكم محلّى يُدعى (كُوارى)، ويمكن الجزم بأن سكانها كانوا من الناطقين بالحورية؛ نظراً لكثرة الكلمات وأسماء الأعلام الحورية الواردة فى تلك النصوص. وإلى الجنوب منها تقع مدينة نُوزى التى نشأت فى موضع مدينة جاسُور القديمة، وقد كانت نُوزى، خلال القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق.م، مأهولةً بسكان يتحدثون الحورية أيضاً"٤.

وقال جين بوترو وزملاؤه:

---

١ - جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٦٠١/١.

٢ - عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٥٦١.

٣ - وِليام لانْجِر: موسوعة تاريخ العالم، ٦٢/١.

٤ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٤١- ٤٢.

"نجد فى أواخر الفترة الأكّادية أول ذكر لشعب آخر غير سامى، قُدّرت له هذه المرة أيضاً العظمةُ فى الألف سنة التالية، فلا بدّ أن الحوريين وصلوا فى هذا الوقت من الشمال أو من الشرق، إلى الحافات الشمالية من الأراضى العليا، حيث يظهر أنهم احتلّوا أو أسّسوا عدّة مدن، وبشكل خاص أُورْكيش Urkish، وناوارNawar، وكارْاخار Karhar (قَرْقَر) فى منطقة مارْدين الحالية، وإننا نعرف ذلك من بعض النصوص، حيث فيها أسماء الأشخاص، وحتى اللغة أحياناً، حورية"١.

وذكر جين بوترو وزملاؤه أيضاً أنه توجد ملاحم سومرية، تعالج قصةً تدور حول شخصيات سبقت جِلْجامِش على عرش الوَرْكاء"مثل الملك لوجال بانْدا Lugalbanda وأَنْمَرْكار Enmerkar، وتذكر أخبار الملحمة ذهاب أبطالها فى حملة إلى أراضى بعيدة (غابة الصنوبر)، و(بلاد خُرُّم Hurrum الجبلية)، ولكن يجب معالجة ذلك بعناية تامة، ويمكن أن نلحظ هذا من الإشارة إلى خُرُّم فى ملحمة جلجامش وخُوَاوا Huwawa؛ فخُرُّم قد تعنى بلاد الحوريين، وهم الغزاة غير الساميين فى أواخر الألف الثالث قبل الميلاد، وإن وجودها فى الملحمة هو انعكاس للحملات العسكرية التى شنّها حكّام أور الثالثة بهذا الاتجاه"٢.

وذكر الدكتور توفيق سليمان أن القبائل الحورية هاجرت إلى شمال غربى بلاد الرافِدَين (بلاد ما بين النهرين)، واستوطنت المناطق الواقعة فى أعالى نهر الخابور، وكانت هذه القبائل قد سلكت طريقة سلمية فى انتشارها، شبيهة بالطريقة التى اتبعتها القبائل الكاشّية فى بداية دخولها إلى بلاد بابل، وكان الحوريون بادئ الأمر بدواً رحّلاً، ثم اشتغل بعضهم عمالاً ومستخدَمين لدى سكّان القرى والمدن الأَمُورية (العَمُورية)، وخاصة فى مملكة (مارى) المجاورة للجغرافيا الحورية٣.

وذكر هارى ساغز أنه توجد دلائل تشير إلى أن الحوريين أتوا من الشمال إلى منطقة ما بين النهرين، وربما من مرتفعات ميديا، وناقش ساغز النظرة القائلة بأن الحوريين كانوا سكان آشور الأصليين، أُخرجوا على أيدى الساميين المهاجرين إلى سفوح التلال فى الألف الثالث

---

١ – جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكِّرة، ص ١٣٤.

٢ – المرجع السابق، ص ٧٧– ٧٨.

٣ – توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣١٢.

قبل الميلاد، وبيّن أن هذه النظرية كانت مؤسسة على تحليلات غامضة لأسماء الأماكن القديمة التى تُعَدّ حورية[1].

وقال وليام لانجر: "ربما كان موطن الحوريين فى بلاد نايرى[2]، وهى الاسم الذى أطلقه الآشوريون على الإقليم الواقع إلى الشمال والشرق من بحيرة وان، ... تحرّك الحوريون من هناك جنوباً فى أوائل القرن السابع عشر قبل الميلاد إلى شرق آشور وغربها، وأسّسوا عدداً من الإمارات التى اتحدت بعد ذلك تحت حكم ملوك ميتّانى. وامتدت مملكة ميتّانى من قرقميش على الفرات حتى قرب نهر دجلة الأعلى، مشتملة على وديان باليش وهابور[3] ومقاطعة نصيبين. وفى شرق دجلة تشمل أيضاً أرّابْخا (كركوك الحالية) التى كانت قبل ذلك مملكة حورية منفصلة، وليس من المعروف إذا كانت شملت أَرْبِل أيضاً"[4].

الانتشارُ الحُورى فى سوريا:

كان الانتشار الحورى قد امتد غرباً أكثر، فوصل إلى شمالى سوريا منذ سنة (٢٢٠٠ ق.م)، وامتد إلى سوريا الداخلية وخاصة حول نهر العاصى (أُورِنْت) وتحديداً فى أَلالاخ (تل عَطْشانة حالياً) الواقعة بين حلب وأنطاكيا واللاذقية. قال وليام لانجر:

"انتشر الحوريون كذلك فى أجزاء من آسيا الصغرى سوريا وفلسطين دون أن ينظّموا ممالك دائمة. وثبت وجودهم حوالى منتصف الألف الثانى فى بُوغاز كُوى[5] عاصمة الحثيين، وفى رأس شَمْرا (فينيقيا الشمالية)، وفى أُورْشَليم وطِناخ وفى بلاد أَدُم (الحُور)، وربما اشتملت جموع الهِكْسوس على فئات من الحوريين"[6].

وكتب الدكتور أحمد هُبّو بشأن انتشار الحوريين داخل سوريا قائلاً:

---

١ – هارى ساغز: عظمة آشور، ص ٥٢ – ٥٣.

٢ – بلاد نايرى تسمّى أيضاً: خَلْدى وأورارتو أيضاً، وكانت عاصمة مملكة أورارتو تُوشْبا الواقعة على الشاطئ الشرقى لبحيرة وان فى كوردستان الشمالية.

٣ – بالِس (بالِص)، وخابور.

٤ – وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ١/٦٠ – ٦١.

٥ – تسمّى خاتُّوشا= خاتوسّا= حاتوسا.

٦ – وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ١/٦٠ – ٦١. وانظر جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ١/٦٠٥.

"يبدو أن الحوريين الذين كانوا فى عصر سلالة أُور الثالثة [حوالى ٢١١٢ – ٢٠٠٤ ق.م] يتمركزون فى المناطق الواقعة شرقى دجلة، وتحرّكوا فى العصر البابلى القديم [حوالى ٢٠٠٤ – ١٥٩٤ ق.م] باتجاه الغرب، وعبروا نهر الفرات الأعلى، وانتشروا فى المناطق الشمالية من بلاد الرافدين وسورية، بحيث أصبحوا يشكّلون نسبة كبيرة من السكّان إلى جانب الأموريين، كما يظهر من أسماء الأعلام الواردة فى الوثائق المكتشَفة فى عدد من مواقع الآثار، ومنها أرشيف مارى، وأَلالاخ، وشُوبات أنليل، وخاتُّوشا. وإنّ وجودهم فى شمالى سورية لا بد أن يكون له أثرٌ واضح فى مُجريات الأحداث السياسية، وفى البنية الاقتصادية والاجتماعية"١.

وربط جِرْنوت فيلْهِلْم بين الانتشار الحورى فى جنوبى سوريا وغزو الهكسوس لمصر، ذاهباً إلى أن الضغط الحورى على السكان الساميين هناك أجبر جماعات منهم على النزوح جنوباً نحو مصر حوالى سنة (١٧٣٠ ق.م)٢، وذكر الدكتور عبد الحميد زايد أيضاً أن الانتشار الحورى وصل إلى الساحل السورى (فينيقيا) وخاصة أوغاريت، وقال فى هذا الشأن:

"وفى فترة هجمات الهِكْسوس على الشرق استقر الحوريون فى أُوغاريت، وهناك من يقول: إن السبب فى حركة الهِكْسوس وضغطهم على مصر هو فى الواقع تَمكّنُ استقرارِ الحوريين فى أوغاريت؛ إلاّ أن هذا الاستقرار كان لفترة بسيطة، إذا ما علمنا أن مصر قد استطاعت طرد الهِكْسوس، واستعادت نفوذها فى ميناء أوغاريت"٣.

ويقول جين بوترو وزملاؤه بشأن الانتشار الحورى فى سوريا: "علينا ألاّ نستهين بنسبة السكان الخوريين فى شمال وادى الرافدين وشمالى سوريا، فهناك نسبة عالية من الأسماء الخورية فى نصوص العصر البابلى القديم فى (أَلالاخ)، وإن كانت السلالة المحلية سلالة أمورية. ومع القرن الخامس عشر [ق.م] كانت (أَلالاخ) قد أصبحت بشكل عام حورية"٤.

وقال القسّ صَمُوئيل يوسف خليل: "ورد فى (سِفر التَّكوين ١٤ :٦) عن الحوريين الذين عرفوا باسم Hurrians، ولعبوا دوراً كبيراً وهامّاً فى الألف سنة الثانية ق.م، وكان

---

١ – أحمد هُبُّو: تاريخ الشرق القديم (سوريا)، ص ١٦٣ – ١٦٤.

٢ – جرنوت فلهلم: الحوريون، ص ٥١.

٣ – عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٢٧٠.

٤ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ١٠٧. جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكِّرة، ص ٢٠٠. بونغارد – ليفين: الجديد حول الشرق القديم، ص ١٦٢.

للحوريين مركز أساسى عُرف باسم نُوزو Nuzu أو يُورْغان تَپَة Yorgan Tepa عبارة عن هضاب مجاورة جنوب غرب مدينة كركوك باثنى عشر ميلاً، عُثر فيها على العديد من اللوحات الأثرية التى تُلقى ضوءاً أشبه بالخلفية التاريخية الواردة بسفر التكوين"١.

ويقصد القسّ صموئيل الحوريين الذين كانوا مقيمين فى (جبل سَعِير)، وهو يقع حالياً فى جنوبى الأردن، قرب وادى عَرَبَة باتجاه خليج العَقَبَة، وقد جاء ذكرهم فى كتاب العهد القديم: "وَفِي السَّنَةِ الرَّابعَةَ عَشَرْةَ أَتَى كَدَرْلَعَوْمَرُ وَالْمُلُوكُ الَّذِينَ مَعَهُ وَضَرَبُوا الرَّفَائِيِّينَ فِي عَشْتَارُوثَ قَرْنَايِمَ، وَالزُّوزِيِّينَ فِي هَامَ، وَالإِيمِيِّينَ فِي شَوَى قَرْيَتَايِمَ، والْحُورِيِّينَ فِي جَبَلِهِمْ سَعِيرَ إِلَى بُطْمَةِ فَارَانَ الَّتِي عِنْدَ الْبَرِّيَّةِ"٢.

وكان الحوريون قد توغّلوا فى الجنوب، فوصلوا إلى فلسطين، وخاصة مدينة يَبُوس (بالعبرانية أُورْشَلِيم، وبالعربية: القُدْس). وقد جاء فى كتاب (العهد القديم) أن الحوريين كانوا سكّان جبل سَعِير فى وادى عَرَبَة (جنوبى الأردن حالياً)، وبعدئذ سُمّيت تلك المنطقة (أَدُوم) نسبة إلى الأَدُومِيّين أبناء عِيسُو بن إسحاق بن إبراهيم، وجاء فى العهد القديم: "هؤُلاَءِ بَنُو سَعِيرَ الْحُورِيِّ سُكَّانُ الأَرْضِ: لُوطَانُ وَشُوبَالُ وَصِبْعُونُ وَعَنَى وَدِيشُونُ وَإِيصَرُ وَدِيشَانُ. هؤُلاَءِ أُمَرَاءُ الْحُورِيِّينَ بَنُو سَعِيرَ فِي أَرْضِ أَدُومَ"٣. وجاء فى العهد القديم أيضاً: "وَفِي سِعِيرَ سَكَنَ قَبْلاً الْحُورِيُّونَ، فَطَرَدَهُمْ بَنُو عِيسُو، وَأَبَادُوهُمْ مِنْ قُدَّامِهِمْ، وَسَكَنُوا مَكَانَهُمْ"٤.

وقد ذكر الدكتور جمال رشيد أحمد أنه بعد سيطرة الحثّيين على مملكة ميتّانى الحورية- وكان مركزها فى شمالى سوريا حالياً- تداخل اسم الحوريين والحثيين فى النصوص العبرانية، وصار العبرانيون يعتبرون الحوريين جزءاً من المجتمع الحثّى فى سوريا، وأن حثّيى عهد النبى إبراهيم هم (الحاتيون) الذين عاشوا مع الخوريين جنباً إلى جنب فى فلسطين خلال الألف الثالث ق.م، وانتشر فى فلسطين اسم المعبود الخورى الإله (بُورى)، وكانت هناك مدينة فلسطينية باسم (خُورو)٥.

---

١ - القس صموئيل يوسف خليل: المدخل إلى العهد القديم، ص ١١٢.

٢ - الكتاب المقدّس، العهد القديم، سِفْر التَّكوين، الأصحاح ١٦، الآيتان ٥- ٦.

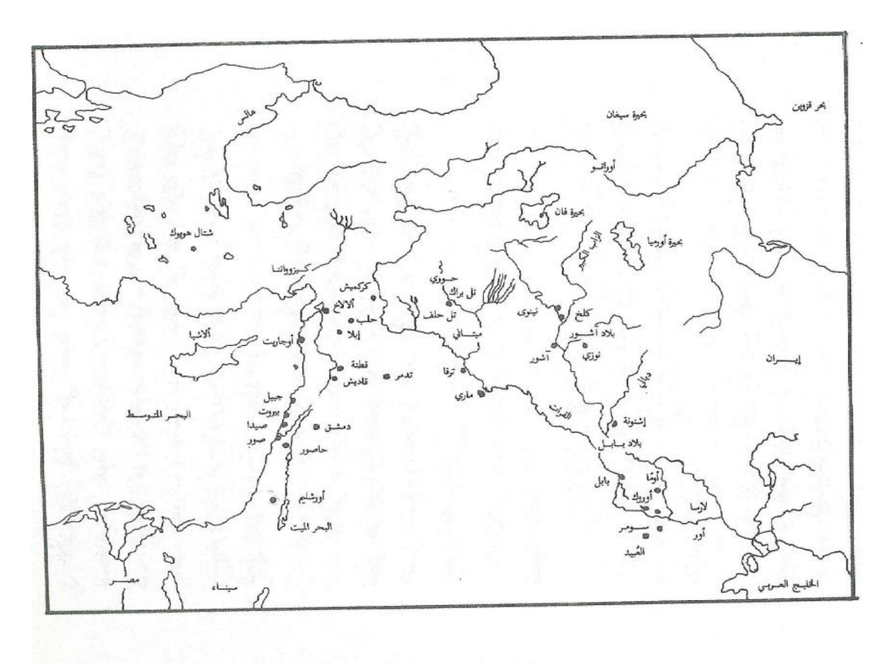
٣ - المرجع السابق، سِفْر التَّكوين، الأصحاح ٣٦، الآيتان ٢٠، ٢١.

٤ - المرجع السابق، سِفْر التَّثْنِيَة، الأصحاح ٢، الآية ١٢.

٥ - جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٦٠٩/١ – ٦١٠.

وإن الإشارات القليلة جداً الواردة فى كتاب (العهد القديم)؛ بشأن انتشار الحوريين فى سوريا وفلسطين، هى أشبه بالجزء الصغير الذى يبدو من جبل الجليد، وثمة حقائق كثيرة وهامة بشأن الوجود الحورى فى شرقى سواحل البحر الأبيض المتوسط، ونكتفى هنا بذكر قليل منها. قال أبراهام مالمات وحاييم تدمور:

"قُبيل منتصف الألف الثانى ق.م تزايد المدّ السكانى الحورى والهندو إيرانى المتسلِّل من مملكة الميتّانيين الواقعة شمالى أرض كنعان، ... وعلى الرغم من قلة أعداد الأجانب بالمقارنة مع السكان الكنعانيين القدماء، فقد أفلح هؤلاء الغرباء فى الإمساك بدفّة الحكم فى عواصم ملكية كثيرة، وذلك بفضل تفوّقهم التكنولوجى والعسكرى؛ الذى استند فى المقام الأول إلى القتال بجيش محمول على العجلات الحربية، وقد امتزجت هذه النخبة غير السامية بالاستيطان الكنعانى الأصلى، بحيث تربّعت اللغة والديانة الكنعانية على قمة الهرم الروحى، أما فى إطار الحضارة المادّية، وأنماط المعيشة، فقد تعاظم نفوذ السكان الأغراب وتأثيرهم"١.



مصور بلاد الرافدين وسورية في العصور القديمة

---

١ - أبراهام مالمات، وحاييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل، ص ٧٢ — ٧٣.

وقال أبراهام مالمات وحاييم تدمور بصدد حملات آمُونْحُوتَب الثانى (١٤٣٦ – ١٤١٣ ق.م) على سوريا وفلسطين: "تدل أسماء الرجال المذكورين فى ألواح تَعْنَك١، بما لا يدع مجالاً للشك، على الانتماءات الإثنية المتشابكة، وإن كانت غالبيتهم العظمى محسوبة على السكان الساميين الكنعانيين، ومع ذلك برزت إلى جوارهم العناصر الحورية والهندو إيرانية"٢.

وقال جين بوترو وزملاؤه: "فى فترة أُور الثالثة [٢١١٢ – ٢٠٠٤ ق.م]، كان الخوريون لا يزالون مستقرين فى المناطق الواقعة إلى الشرق من نهر دجلة فقط، وفى العصر البابلى القديم توسّعوا نحو الغرب، حتى إنهم عبروا الفرات. وإن شمال وادى الرافدين يقدم صورة من عناصر سامية خورية مختلطة مع الجانب الخورى الذى كان يأتى بالمقدمة بشكل متزايد، وإن ثُلث أسماء الأشخاص التى وُجدت فى شاغر بازار هى خورية، فهى أكثر من الأسماء الكنعانية (والأكّدية هى الأغلبية)، وعلينا أن نكون حذرين فى تقويم مثل هذه الإحصاءات فى منطقة ذات سكان مختلطين إلى هذه الدرجة"٣.

وقال جِرْنوت فيلْهِلْم بشأن الوجود الحورى فى أَلالاخ: "تُعَدّ النصوص المكتشفة فى مدينة ألالاخ، على المجرى السفلى لنهر العاصى، أبعدَ المواقع غرباً التى كُشف فيها عن نصوص من العصر البابلى القديم، وتتضمّن أسماء أشخاص حوريين. وتشكّل الأسماء الحورية المذكورة فى نصوص الطبقة السابعة- تؤرَّخ بالنصف الأول من القرن السابع عشر ق.م حتى (١٥٦٠ ق.م)- حوالى نصف أسمائها، وتبلغ نسبة الأفراد حاملى الأسماء الحورية حوالى ثلاثة أثمان (٣٧.٥%) مجموع السكان بشكل عام"٤.

ومع بداية الألف الأول ق.م كان الحوريون يشكّلون أكثرية سكان أُوغاريت (رأس شَمْرا) على الساحل السورى شمالى اللاذقية٥.

وقد تناول الدكتور أحمد ارْحَيِّم هُبّو موضع انتشار الحوريين، فقال: "وقد ساعد الحوريين على الانتشار الواسع فى المناطق الواقعة بين آشور فى الشرق إلى سواحل سورية فى الغرب-

---

١ – تَعْنَك: قرب جنِين بفلسطين.

٢ – أبراهام مالمات، وحاييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل، ص ٨٣.

٣ – جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكِّرة، ص ٢٠٠.

٤ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٤١.

٥ – جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٦١١/١.

ولا سيّما فى المناطق الجنوبية من آسية الصغرى وشرقها- قدرتُهم الكبيرة على تشرّب الحضارة البابلية وتقمّصها،... ويُستدَلّ على وجود الحوريين وتغلغلهم فى مناطق انتشارهم المذكورة من أسمائهم التى تظهر فى الوثائق الكتابية، كأنْ يكونوا طرفاً فى نزاع قضائى ما، أو طرفاً فى عَقد تجارى من بيع أو شراء أو غيره"١.

وأضاف الدكتور أحمد هُبّو قائلاً بشأن الحوريين فى بلاد الرافِدَين وسوريا: "وما إن أهلّ القرن الخامس عشر قبل الميلاد، حتى كانت مناطق شاسعة من شمالى بلاد الرافدين وسورية تَعِجّ بالحوريين، وتُعَدّ نصوص ألالاخ العائدة إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، والتى تظهر فيها أسماء العَلَم الحورية بشكل لافت، مثالاً على انتشار الحوريين فى سورية الشمالية"٢.

واستعرض الدكتور أحمد هُبُّو نص الاتفاقية التى وقّعها أبا إيل ملك مملكة يَمْحاض (حلب) الأمورية مع يارِيم لِيم ملك ألالاخ الأمورى أيضاً، إذ يُقسم الطرفان بالربّة الحورية (خيبات) تأكيداً منهما لالتزامهما بتنفيذ بنود الاتفاقية؛ حسب عادة الملوك فى التاريخ القديم، وفى نص الاتفاقية يتحدّث الملك أبا إيل عن قيامه بقمع ثورة مدينة إيريتَه الواقعة فى جهات الفرات الشرقية، ويقول: "بسلاح الربّ الحورى تيشوب العظيم، أقتحمَ أبا إيل إيريتَه ودمّرها، ... ثم عاد إلى حلب سالماً، وقال: إيريتَه المكانَ المدمَّر أُعطيه أخى؟ سأُعوِّضه بدلاً من إيريتَه التى أمست عدوّة له [لياريم لِيم]، والتى غزوتُها ودمّرتها بألالاخ"٣.

وعلّق الدكتور أحمد هُبّو على الاتفاقية قائلاً: "يدلّ هذا بوضوح على أن مواطنى المَلِكين كانوا يتألّفون- إضافةً إلى الأموريين- من نسبة كبيرة من الحوريين؛ وإلاّ فليس من سبب يدعوهما لذكر آلهة غريبة عن سكان الدولتين السوريتين، وهما تيشوب (ربّ الطقس) وخيبات (ربّة السماء) اللذان يُعَدّان إلهين رئيسين عند الحوريين، ثم عند الحثيين الذين وقعوا كذلك تحت تأثير الديانة الحورية"٤.

وكى نكون أقدر على فهم الصراعات بين القوى الإقليمية فى غربى آسيا قديماً؛ ينبغى أن نعرف المصالح التى كانت كل قوة تسعى إلى تحقيقها، وفى هذا الإطار يتضح أن (الجغرافيا)

---

١ - أحمد هُبُّو: تاريخ الشرق القديم (سوريا)، ص ١١٧.

٢ - المرجع السابق، ص ١١٧.

٣ - المرجع السابق، ص ١١٧.

٤ - المرجع السابق، ص ١١٧ – ١١٨.

كانت الهدف الرئيسى كل مرة، لكن ليس بالمدلول الطوبوغرافى فحسب، وإنما بالمدلول الاقتصادى والجيوسياسى فى الدرجة الأولى، وقد تناولنا أكثر من مرة أهمية طريقَى التجارة العالميين (طريق الحرير وطريق البخور) فى السياسات الغرب آسيوية القديمة، ولن نسير فى الاتجاه الصحيح- ونحن نبحث فى تاريخ الحوريين- ما لم نأخذ فى الحسبان دور هذين الطريقين فى مسارات التاريخ الحورى.

إن الحوريين كانوا يهيمنون على الجغرافيا الممتدة بين منطقة كركوك فى جنوب غربى جبال زاغروس إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط فى الشمال الغربى، وهذا يعنى أنهم كانوا يسيطرون على جزء مهمّ من طريق الحرير القادم من شرقى آسيا، وكانوا يسيطرون على نهايات طريقى الحرير والبخور فى السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، إضافةً إلى سيطرتهم على الشريان التجارى المهم الذى كان يربط بلاد الرافدين بموانئ البحر الأبيض المتوسط، مروراً بمنطقة الجزيرة، وبمدينة كَرْكَميش (على الفرات شمالى جَرابْلُس على الحدود التركية السورية الآن).

وعلى ضوء هذه الحقائق نصبح أقدر على فهم أسباب تغلغل الحُوريين فى سوريا الداخلية، ووصولهم جنوباً إلى البلاد التى سُمّيت (أرض كَنْعان)، وسُمّيت بعدئذ (فلسطين)، وإقامتهم فى جبل سَعِير بوادى عَرَبة (جنوبى الأُردن)، حيث كان يمر طريق البخور القادم من اليمن عبر غربى شبه الجزيرة العربية، والسائر شمالاً نحو دمشق وبقية سواحل شرقى المتوسط وآسيا الصغرى. وذكر أبراهام مالمات وحاييم تدمور أن الحوريين كانوا عِرقاً خاصّاً، يختلفون عن الكنعانيين فى نظامهم السياسى والاجتماعى، وكانوا يفضّلون النظام الأبوى، حيث يتولّى الزعامة فيهم شيوخ لا ملوك، وأن سكان نابْلُس، على الأقل جزء منهم، انتسبوا إلى الحوريين[١].

---

١ - أبراهام مالمات، حاييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل، ص ١٤٩ - ١٥٠.

٤

التَّكْوِينُ السِّياسي الحُورِيّ

رِحلةُ إلى البِدايات:

بدايات التاريخ السياسى الحورى غامضة، وهذه الظاهرة ملحوظة فى تواريخ جميع أسلاف الكورد، وهى ترجع- فيما نرى- إلى ثلاثة أسباب:

السببُ الأولُ: أن الحوريين- كما سبق القول- هم نتاج الاندماج الإثنى والثقافى بين القبائل الآرية (الهندو أوربية) وأقوام جبال زاغروس القدماء، وكان الأسلاف الآريون يخضعون حينذاك لقيادات قبلية لم تصل إلى مستوى الدولة، ولم تتمكّن من إقامة المؤسسات السياسية والثقافية والاقتصادية التى تتكوّن منها الدولة، والتى تحتفظ بوثائق يُعتمَد عليها لاحقاً لمعرفة الأحداث.

والسببُ الثانى: أن الحوريين كانوا، مثل بقية أسلاف الكورد الزاغروسيين-آريين، فى صراع شبه مستمر ضد الممالك المجاورة لهم، وخاصة الممالك والإمبراطوريات التى ظهرت فى بلاد الرافِدَين وعلى أطراف جبال زاغروس فى الجنوب والغرب والشمال، وكانت العادة حينذاك هى قيام المنتصر بالقضاء على كل ما يذكّر بوجود الفريق المغلوب، وكان هذا النهج متّبَعاً حتى القرون الوسطى على الأقل.

والسببُ الثالث: أن كوردستان واقعة تحت سيطرة أنظمة دول محتلة، وتعمل هذه الأنظمة بكل وسيلة لطمس الهويّة الكوردستانية، ولم تكتفِ بتغيير الأسماء الكوردية، أو ذات الصلة بالكورد، وإنما حرصت على تغييب كل ما يتعلق بالتاريخ الكوردى وبالجغرافيا الكوردية أيضاً، وفى هذا الإطار قلّصت عمليات التنقيب الأثرية فى المناطق الكوردية، خوفاً من ظهور

ما يؤكد كوردستانية تلك المناطق، وحرصت في الوقت نفسه على تغييب ما كان يظهر من خلال التنقيب.

وقد ذكر الدكتور أحمد هُبُّو أن الحوريين- على الرغم من أعدادهم الكبيرة- لم يتمكّنوا من إقامة مملكة واحدة تجمع شملهم في المناطق الشاسعة التي حلّوا فيها طوال النصف الأول من الألف الثاني ق.م، إنهم أقاموا ممالك صغيرة وإمارات عدّة في الجغرافيا التي أقاموا فيها، ولم يجتمع الحوريون تحت راية مملكة واحدة إلاّ بقيادة الفرع الميتّاني الآري، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل لاحقاً[1].

وفي مكان آخر من كتابه قال الدكتور أحمد هُبّو بشأن الحوريين:

"وأسسوا كيانات متفرقة في عدد من بقاع شمالي بلاد الرافدين وشمالي سورية وجنوبي آسية الصغرى، ولكنهم لم يُوفَّقوا إلى إنشاء دولة واحدة تجمعهم، إذ كانت الظروف غير ملائمة، أو لأنهم لم يملكوا القوة اللازمة لقيام دولة لهم في ظل أوضاع المنطقة، حيث كانت تقوم دولة قوية في بابل، وآشور (زمن شَمْشي أداد الأول) وفي حلب، ثم في آسية الصغرى زمن ملكَي الحثّيين خاتوشيلي الأول ومورشيلي الأول"[2].

ونعتقد أن عدم توفيق الحوريين- قبل عهد مملكة ميتّاني- في إقامة دولة مركزية موحَّدة، تضمّ جميع المناطق الحورية، لا يرجع إلى الظروف الإقليمية فقط، وإنما يعود أيضاً إلى عاملين آخرين مهمّين:

العاملُ الأول- الجغرافيا الجبلية: إن وعورة الجبال وتضاريسها الشديدة التموّج، تقف عائقاً في طريق كل قائد يطمح إلى بسط سلطته على جميع بين قومه، حتى وإن امتلك قوة حربية فاعلة. أما في الجغرافيا السهلية والسهبية فبمجرد أن يظهر زعيم ذكي وطموح، ويؤسّس قوة حربية فاعلة، تصبح الفرصة مناسبة كي يغزو من بجواره، ويضمّهم طوعاً أو كَرْهاً إلى نفوذه، ويستمر في توسيع نطاق سلطته إلى أن تشمل جميع بني قومه، ثم ينتقل بعدئذ إلى التمدد في مناطق الشعوب المجاورة.

العاملُ الثاني- سيكولوجيا الجبال: إن سيكولوجيا الجبال تتمركز في أعماق الشخصية الجبلية، وتنمّي فيه الفردية المفرِطة، وعشق الحرية، والنزوع إلى عدم القبول بسلطة الآخرين،

---

١ - أحمد هُبُّو: تاريخ الشرق القديم (سوريا)، ص ١١٨.

٢ - المرجع السابق، ص ١٧٠.

والخضوع لهم على نحو استسلامى، كما أنها تزرع فيه روح التمرد والثورة، وهذه جميعها عوامل غير مناسبة لتقبّل السلطة المركزية الموحَّدة.

على ضوء هذا يمكن فهم عدم قدرة السومريين- وهم أصلاً من شعوب جبال كوردستان- على تكوين دولة مركزية واحدة فى جنوبى بلاد الرافدَين، وإنما أقاموا دول- مدن (ممالک- مدن) متنافسة ومتناحرة، هذا مع العلم أنهم كانوا يقيمون فى السهول، لكن سيكولوجيا الجبال المتأصّلة فى شخصيتهم ظلت مهيمنة عليهم، فى حين أن القبائل الأكّادية البدوية القادمة من صحارى شمالى شبه الجزيرة العربية- بعد وصولها إلى بلاد الرافدَين- سرعان ما انضوت تحت قيادة سَرْجُون الأول، وعاشت تحت سلطة دولة مركزية تحوّلت بسرعة إلى إمبراطورية. وعلى ضوء هذه الحقيقة الجغرافية والثقافية أيضاً يمكن تفسير عدم قيام دولة مركزية فى بلاد اليونان قبل عهد الإسكندر، مع الأخذ فى الحسبان أن والده فيليب غزا بلاد اليونان قادماً من مكدونيا.

ومن المفيد الأخذُ فى الحسبان أن مصطلح (مملكة) فى العصور القديمة لا تعنى دائماً أنها كانت تشتمل على منطقة واسعة، وتتألف من عدد كبير من السكان، وخاصة فى المناطق الجبلية، ففى بعض الأحيان كان الزعيم يحمل لقب (ملک)، مع أنه كان يحكم عدة قبائل فى منطقة جغرافية لا تتجاوز مساحتها مساحة محافظة متوسطة فى عصرنا، والدليل على ذلک أن ملوک الآشوريين يتحدّثون فى أثناء غزواتهم عن انتصارهم على ملوک كثيرين، مع العلم أن المناطق التى غزوها لم تكن شاسعة.

ونذكر على سبيل المثال أن الممالک السومرية كانت ممالک- مدن؛ أى تتألف كل مملكة من المدينة والأرياف التابعة لها، ويقول الملک الآشورى تِغْلات پلاسَر الأول Tiglath Plesser 1 (١١١٥ – ١٠٧٧ ق.م) بشأن إحدى غزواته: "قَهَرَتْ يداىَ مَن خلفَ الزاب الأسفل، حتى النهر الشمالى الذى يقع إلى الشمال، ثلاثَ مرات، سرتُ ضدَ بلاد نايْرى، وجعلت ثلاثين ملكاً من نايْرى يسجدون عند قدمى، وأخذتُ منهم أسرى، وتسلّمت منهم خيلاً، وفرضت عليهم جزية وهدايا" ١.

والمقصود ببلاد نايْرى (نائرى) هو بلاد خَلْدى (أُورارْتو) التى كانت تشمل حينذاک أرمينيا الحالية ومناطق كبيرة من شمالى ووسط كوردستان، فهل من الممكن أن يحكم تلک

---

١ – محمد بَيُّومى مَهْران: تاريخ العراق القديم، ص ٣٤٨.

المناطق ثلاثون ملكاً فى وقت واحد، إلا إذا كانت مناطق نفوذهم محدودة المساحة؟ وحتى إذا أخذنا فى الاعتبار حبّ ملوك آشور لتضخيم انتصاراتهم، وقلّصنا العدد إلى الثلث (١٠ ملوك)، يبقى العدد كبيراً.

وقبل أن يتحوّل الحوريون إلى قوة سياسية ذات شأن فى غربى آسيا، كانوا- مثل بقية شعوب المنطقة- عُرضة لغزوات الممالك القوية المجاورة. وإن أوائل الملوك الحوريين الذين ذكرتهم النصوص المسمارية ملك يدعى (كِيكْليب- أَتَلْ)، وكان مقرّ حكمه فى مدينة تُوكْريش بكوردستان الجنوبية (إقليم كوردستان – العراق حالياً)، وكانت فترة حكمه فى نهاية الألف الثالث ق.م؛ أى فى الفترة التى كان فيها الأكّاديون يهيمنون على غربى آسيا، ثم تلاهم الگوتيون (الجوتيون) حوالى قرن من الزمان، ومن الطبيعى أنه من غير الممكن ظهور ممالك واسعة وقوية- على الصعيد الإقليمى- إلاّ بوجود مملكة تمتلك قوة إقليمية ذات سطوة.

لكن بعد سقوط الإمبراطورية الأكّادية حوالى سنة (٢١٦٠ ق.م)، وزوال السيادة الگوتية فى سومر وأكّاد، أسّس الحوريون دولة واسعة، بقيادة ملك يدعى (أَتَلْ- شين)، ويرِد اسمه أحياناً بصيغة (آرى- شين)، وقد ترك لوحاً من البرونز عُثر عليه فى أساس معبد نِرْگال، عليه كتابة مدوَّنة بالخط المسمارى وباللغة الأكّادية، جاء فيها "أن أَتَلْ شين بن شَتَرْمات هو ملك أُورْكيش ونَوار، وبما أن أُوركيش كانت مركزاً لعبادة رئيس المعبد الإلهى الخورى كُوماربى، فلا بد أنها كانت عاصمة الدولة"[١]. ومن المحتمل أن يكون أتال شِين Atal Shin حكم فى عهد الگوتيين (نحو ٢٠٩٠ – ٢٠٤٨ ق.م)، أو فيما بعد فى العقود الأولى من عهد سلالة أور الثالثة (٢١١٢ – ٢٠٠٤ ق.م).

وتتطابق نَوار بالتأكيد مع الموقع المسمّى فى المصادر الآشورية والبابلية بـــ "نَمار، نَمْرى"، ويقع هذا الموقع فى مناطق زاغروس، بين نهرى ديالى والزاب الأسفل. أما مدينة (أوركيش) Urkish فقد جاء ذكرها فى الوثائق الدينية كمركز دينى لملك الآلهة (كوماربى) Kumarbi، ويُعتقَد أن نشوءها يرجع إلى النصف الثانى من الألف الثالث قبل الميلاد، وهى تظهر كمركز كبير للحوريين فى أواخر الألف الثالث ق.م، والأرجح أنها كانت تقع فى منطقة الخابور، وقد طابقها ڤان لير Van Liere (عام ١٩٥٧م) وهرودا Hrouda (عام

١ – جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٦٠٣/١. وانظر محمد حرب فَرْزات، عيد مَرْعى: دول وحضارات الشرق العربى القديم، ص ١٦٢.

١٩٥٨م) مع تل عامودا الواقع شمالى مدينة عامودا قرب الحدود السورية التركية، وكانت مدينة دينية مهمة، ومركزاً لعبادة الإله كُومارْبى الإله الرئيس فى الميثولوجيا الحورية، وهذا يعنى أن مملكة الحوريين امتدت من مثلّث الخابور حتى مناطق نهر ديالى، وشملت شمالى آشور، أما امتدادها نحو الشمال فربما كان يصل إلى المناطق الجبلية جنوبى بحيرة وان، حيث ظلت اللغة الحورية مستخدَمة بعد خمسة عشر قرناً من الزمان١.

وفى عهد سلالة أور الثالثة (٢١١٢ – ٢٠٠٤ ق.م)، شنّ الملك شُولگى (شُولجى) ثانى ملوك سلالة أور الثالثة (حكم بين ٢٠٩٣ – ٢٠٤٦ ق.م أو ٢٠٢٩ – ١٩٨٢ ق.م)، ثلاثَ حملات ضد الحوريين، كانت الأولى والثانية موجَّهتين ضد بلاد كارْكار (خارْخار) وسِموررُوم الواقعتين شمال شرقى جبل حَمْرِين، أما الثالثة فكانت حرباً شاملة؛ إذ عَبَر شُولگى كل مناطق شرقى دجلة، ووصل حتى شَشْرُم (شَوشّاره) وأُربيلُم (أربيل) وبلاد لوللو (فى مناطق سليمانية حالياً)، وجلب كثيرين من الأسرى الحوريين، وقد تردّدت أسماء أولئك الحوريين فى النصوص المسمارية٢.

وسار أَمرَسين (١٩٨١ – ١٩٧٣ ق.م)، خليفة شُولگى (شولجى)، على نهج سلفه، ففرض سيطرته على مناطق شرقى دجلة، وشنّ حملتين على مدينتى أُربيلُم وشَشْرُم اللتين كانتا تشكلان المواقع الأمامية لمناطق نفوذه، وخلال حملات شُولگى وأَمرَسين نُقل كثير من الأسرى الحوريين إلى بلاد سومر، وتمّ تسخيرهم فى أعمال الزراعة، وقد وردت أسماء بعضهم فى النصوص المسمارية، ومع ذلك لم يستطع ملوك سلالة أور الثالثة السيطرة على العاصمة

---

١ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٣٤، ٣٥. دياكونوف: ميديا، ص ١٠٥. محمد حرب فَرْزات، عيد مَرْعى: دول وحضارات الشرق العربى القديم، ص ١٦٢.

٢ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٣٦. جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٦٠٣/١. نقلنا فى صفحات سابقة قول جين بوترو وزملائه بأن "كاراخار Karhar (قَرْقَر) تقع فى منطقة ماردين الحالية". ونحن أمام أحد خيارين: إمّا أن جين بوترو وزملاءه لم يكونوا دقيقين فى تحديد المكان. وإمّا أنه كان ثمة مكانان يحملان هذا الاسم، وهذا ممكن جداً فى كوردستان قديماً وحديثاً. انظر جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكِّرة، ص ١٣٤.

الحورية أُورْكيش، وبقيت خارج نطاق نفوذهم، إذ لم يَرِد لها ذكر فى أخبار الحملات الحربية السومرية[١].

المَمالِكُ والإماراتُ الحُوريّة:

حينما بدأت الموجات الأَمورية (العَمورية) القادمة من شرقى سوريا نحو بلاد الرافدَين، راحت تضغط على سلالة أور الثالثة فى أواخر الألف الثالث ق.م، وقد انتهت سيطرة ملوك سلالة أور الثالثة على شمالى منطقة شرقى دجلة (شمالى كوردستان الجنوبية) فى عهد إبّى سِين Ibbi- Sin، وتَحرّر الحوريون من نفوذ السلالة المذكورة، وتمكّنوا من إعادة سيطرتهم على معظم الجغرافيا التى كان يقيم فيها أسلاف الكورد، والتى عُرفت بعدئذ باسم (كوردستان)، حتى إن الملك الحورى تِيش أَتَلTish- Atal لقّب نفسه بـــ (رجل نِينَوى)؛ لأنه كان قد وسّع نفوذ أُوركيش حينذاك، وسيطر على الأجزاء العليا التى سُميت لاحقاً (بلاد آشور)، وخاصة مدينة نينوى التى كانت مركزاً دينياً أساسياً لعبادة الإلهة الحورية شاوُوشْكا، كما أن تيش أَتَل نعت نفسه بـــ (إِنْدَنْ) أُورْكيش[٢].

وذكر جِرْنوت فيلْهِلْم أنه بُعيد وفاة الملك الآشورى شَمْشى أَداد (حكم بين ١٨١٤ – ١٧٨٢ ق.م)، سرعان ما انهارت المملكة التى أقامها بفضل براعته الدبلوماسية وهيبته العسكرية، وقد استطاع وريثه إشْمى دَجَن المحافظة على سلطته فى بلاد آشور، لكنه لم يستطع السيطرة على شمالى بلاد الرافِدَين، وظهرت فى تلك المنطقة حينذاك عدّة سلالات حاكمة، كان زعماؤها يحملون أسماء حورية واضحة، مثل: أَتَل شِنّى حاكم (بُورُونْدُم)، وشُكْرُم تِشُوب حاكم (إِلَخُت)، كما نجد حكاماً كثيرين ذوى أسماء حورية، كانوا يحكمون فى مناطق دجلة العليا شمالى بلاد آشور، منهم: نَنيب شَويرى حاكم (خابوراتُم)، وشَدو شَرّى حاكم أَزوخينُوم (قرب نُوزى فى منطقة كركوك)، وتيش أُلْمِ حاكم مَرْدَمان (ماردين حالياً)[٣].

---

١ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٣٦ – ٣٧.

٢ – جرنوت فلهلم: الحوريون، ص٣٧، ٣٨. جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٦٠٣/١ – ٦٠٤. محمد حرب فَرْزات، عيد مَرْعى: دول وحضارات الشرق العربى القديم، ص ١٦٢.

٣ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٤٤.

وذكر وليام لانجر أنه حوالى (١٦٠٠ – ١٥٠٠ ق.م) "نظّم الحوريون إمارات، مثل مملكة أَرّابْخا الصغيرة (مشتملة على نُوزى)، ونعرف منها ثلاثة ملوك: إِتْخى تِشُوب (ابن كبى – تِشُوب)، إِتْخِيا، كيرنزى"١.

وذكر هارى ساغز أنه ورد فى نصّ، يعود إلى منتصف القرن السابع عشر ق.م، اسمُ أربعة ملوك حوريين؛ وهذا دليل على أن الشعب الحورى كان ما يزال يعيش فى ممالك متعددة، وليس فى مملكة موحَّدة، وبعد عام (١٥٥٠ ق.م) بقليل ظهرت مملكة مؤسّسة على قواعد حورية تُدعى ميتّانى إلى الشرق من نهر الفرات، وقد وُجدت دويلات أخرى مشابهة فى سوريا وكيليكيا وشمال ميتّانى، وكانت ميتّانى أقوى الممالك الحورية٢.

العَواصِمُ الحُورِيّة:

يتردّد فى المصادر اسم أشهر مدينتين حوريتين، هما أُورْكيش ونَوار، وكان الملك الحورى أَتَل شِن يسمّى نفسه "ملك أُورْكيش ونَوار"، وتقديم اسم أُورْكيش على اسم نَوار دليل على أن أُورْكيش كانت أكثر أهمية، وها تقعان فى مثلّث الخابور، لكن ثمة غموض إلى حدّ ما فى تحديد موقعيهما بدقة، وأشرنا سابقاً إلى أبرز أسباب الغموض الخاص بالتاريخ الكوردى وبجغرافيا كوردستان.

أما اسم نَوار فتفيد المعلومات أن له صيغة لفظية أخرى هى (نَجار)، وأصل الاسمين (نَاجْوار) Nagwar، وهى مطابقة لموقع (تل براك) الحالى، وورد فى إحدى المراسلات السياسية القديمة أنه كانت توجد مدينتان تحملان هذا الاسم، وكلتا المدينتين كانتا تقعان فى مثلّث الخابور، ويبدو أن اسم (نَوار)، فى أواسط الألف الثانى ق.م، كان شائع الاستخدام كجزء من أسماء الأشخاص فى مدينة نُوزى الواقعة شرقى دجلة، وهناك قول بأن اسم نوار تحوّل بعدئذ إلى (نَوال)٣.

ومهما تكن صيغة هذا الاسم، ورغم الرحلة الطويلة التى قطعها، والتى امتدت أربعة آلاف عام، ورغم وقوعه تحت تأثير الصيغ الآشورية والحثّية والأمورية والآرامية قديماً، وتحت

---

١ – وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٦٢/١

٢ – هارى ساغز: عظمة آشور، ص ٥٤.

٣ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٣٣، وانظر الهامش (١، ٢) من الصفحة ذاتها.

تأثير صيغ اللغات الأوربية والعربية حديثاً، بقيت صيغة (وار War) الكوردية صامداً فى اسم هذه المدينة، وهو يعنى (مكان الإقامة) خاصة، وإذا عدّلنا صوتية (نَوار) إلى (نُوار= نُو وار= Nû war)، حصلنا على اسم يعنى الكوردية (البلد الجديد= المدينة الجديدة).

وأما أُورْكيش، فقد ظُنّ فى البداية أنها تقع شرقى دجلة، ثم بُحث عنها فى منطقة (مثلّث الخابور)، وأخيراً طابقها ڤان لير Van Liereعام (١٩٥٧ م) وهرودا Hrouda عام (١٩٥٨ م) مع تل عامودا الواقع شمالى مدينة عامودا فى غربى كوردستان (الجزيرة السورية حالياً)، وهناك من يرى أن موقعها يطابق موقع (تل شَرْمُولا) المجاور للمدينة١.

وخلال التنقيبات الأمريكية فى تل مُوزان (٨ كم شرقى عامودا) منذ سنة (١٩٨٤ م)، ظهرت أختام أسطوانية عليها كتابات تشير إلى تطابق موقع هذا التل مع العاصمة الحورية أُورْكيش. ويبدو أن أُورْكيش كانت مدينة صغيرة وغير مهمّة خلال العصر البابلى القديم، لأنه ورد فى نص من هذا العصر يعدّد محطّات رحلة تجارية من مدينة سيبار إلى إيمار (مَسْكَنة، نحو ٩٠ كم شرقى حلب حالياً) عند منعطف نهر الفرات، أن القافلة التجارية لم تتوقّف فى أورْكيش خلال الذهاب، ولم تنم فيها خلال الإياب سوى ليلة واحدة، بينما مكثت فى المدن المهمة أياماً عدّة٢.

أشْهرُ ملوكِ الحُوريّين:

من أبرز ملوك الحوريين ملك يُدعى (أَتَل شِن)، وهو يصف نفسه بأنه ابن (شَتَر- مات)، وهذا اسم حورى، أما فترة حكم أَتَل شِن فغير معروفة بدقة، والأرجح أنها كانت فى أواخر العصر الگوتى (نحو ٢٠٩٠ – ٢٠٤٨ ق.م)، وربما بعد ذلك بقليل؛ أىْ فى العقد الأول من عصر سلالة أور الثالثة (حوالى ٢١١٢ – ٢٠٠٤ ق.م) وقد ترك أَتَل – شِن (أَرى- شِن) ابن شَتَر- مات نقشاً باللغة الأكّادية على لوحة برونزية تمثل (الحجر الأساس) لبناء معبد الإله نِرْجال (نرْغال) ، وهو الإله الذى برز - أول مرة - خلال العصر الأكّادى، ولقى تقديساً خاصاً من الحوريين، ثم احتل مكانة هامة فى المجمع الدينى البابلى. وتبيّن فى

١ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٣٤.

٢ - المرجع السابق، ص ٣٣، ٣٤. وانظر الهامش (١، ٢) من ص ٣٣.

أحد الأختام الحورية أن الملك أتل شِن وضع العلامة الدالة على الألوهية أمام اسمه، كما كان يفعل بعض ملوك الأكّاديين، ووصف نفسه بملك كارْاخار (خارْخار) الواقعة فى أعالى نهر دِيالَى، وألّه ملوك حوريون آخرون أنفسهم، منهم أدى سين ملك سيموررروم، وابنه زارْدامو ملك كارْاخار١.

وثمّة ملك حورى آخر كان يحكم فى أواخر العصر الأكّادى أو خلال العصر الگوتى، وقد تمّ التعرف عليه من خلال نص شعائرى دينى حورى- حتّى اكتُشف فى العاصمة الحثّية خاتُّوشا، وهو يدعى (كِيكْليب- أَتَل)، ومدينته هى تُكْريش (تُوكْريش)، ولم يتحدّد موقعها بدقة بعدُ، ولكن أخبارها الواردة فى المصادر البابلية القديمة تشير إلى وقوعها فى شرقى بلاد الرافِدَين٢.

لكن الملك الأكثر بروزاً بعد أَتَل شِن هو (تيش- أَتَل)، ويظهر اسمه فى نقوش عديدة، وقد أمكن فى وقت متأخر تحديد زمن حكمه بفضل وثيقتين من إشْنونا (تل أسمر على نهر ديالى)، ويتضح من النقشين أن هذا الملك كان ينعت نفسه بلقب "رجل نينوى" كما مرّ سابقاً، باعتباره كان يحكم فى مدينة نينوى التى تقع فى الجزء الشمالى من المنطقة التى سُمّيت بعدئذ (بلاد آشور)، وكانت نينوى مركزاً دينياً أساسياً لعبادة الإلهة الحورية شاوُوشْكا، وقد دُوّن النقشان فى السنة الثالثة من عهد شُوسِين ملك أُور؛ أى عام (١٩٧١ ق.م)، ويفيد أحدهما أن تيش أَتَل سار مع حامية عسكرية تضم أكثر من مئة جندى، لتقصّى أمر عمّ ملك أور وقائد جيشه الذى أنهى بنجاح حملة عسكرية ضد بلاد سِيمانُم، وأصبح بذلك على حدود منطقة سيادة تيش أَتَل٣.

وقد خلّف تيش أَتَل نقشاً تأسيسياً، يخلّد فيه ذكرى بنائه معبداً للإله نِرْجال (نرغال)، وهو مدوَّن باللغة الحورية، وهو أقدم نص لغوى حورى معروف، وقد جاء فى النقش ما يلى: "لقد بنى تيش أَتَل- إنْدَن أُورْكيش- معبداً للإله نِرجال. ليت الإله لوباجادا يحمى هذا المعبد.

---

١ - المرجع السابق، ص ٣٣، ٣٥.

٢ - المرجع السابق، ص ٣٥.

٣ - المرجع السابق، ص ٣٧ - ٣٨.

من يخرّبه فليت الإله لوباجادا يُبيده، وليت إله (الطقس؟) لا يُصغى إلى دعائه، وليت الإلهة (سيّدة مدينة نَجار)، وإله الشمس وإله الطقس... ذلك الذى يخرّبه"١.

وينعت تِيش أَتَل نفسه- كما مر- بـــ "إنْدَن" أُورْكِيش، وجدير بالذكر أن اللاحقة (-دَن) شائعة فى الأسماء الحورية، وهى تدل على وظيفة، أما المقطع (إنْ) ففى تفسيره رأيان: الأول أنه يماثل كلمة (إنْ) السومرية الدالة على إحدى مراتب الحكم. والثانية أنه يتصل بالكلمة الحورية (إن) التى تعنى فى نصوص الألف الثانى ق.م (إله)، وإذا صحّ الرأى الثانى فإنه يكون دليلاً آخر على أن بعض الملوك الحوريين ألّهوا أنفسهم فى أواخر عصر سلالة أُور الثالثة، مقتدين بالملك شُولْجى وخلفائه٢.

وقد وُجد ختم ملكى يحمل الكتابة الآتية "تِيش أَتَل مَلِك كَرَخَر..."، وتتقدّم اسمَ الملك العلامةُ الكتابية الدالة على الألوهية، ويعود ختم تيش أَتَل- من حيث الأسلوب- إلى عصر سلالة أور الثالثة، وربما إلى ما بعد ذلك العصر بقليل، وهذا يعنى أن المطابقة بين تِيش أَتَل (أُورْكيش) وتِيش أَتَل (كَرَخَر) لا اعتراض عليها من ناحية التأريخ الزمنى، وتتطابق مدينة (كَرَخَر) مع (خَارْخار) المعروفة فى المصادر الآشورية، وتقع فى مناطق المجرى العلوى لنهر ديالى، وهذه إشارة مهمة إلى نطاق توسّع مملكة أُورْكيش فى أواخر عصر سلالة أور الثالثة، وهو يماثل إلى حدّ ما نطاقها خلال عهد أَتَل شِن بعد انتهاء العصر الأكّادى٣.

والحقيقة أن مصير مملكة أُورْكيش فيما بعد غامض، لكن يُلاحَظ أن التراث الكتابى الحورى حافظ حتى نهاية الألف الثانى ق.م على أسماء تعود إلى المرحلة التأسيسية للمملكة، ومن بينها أسماء حكام أكّاد حتى شَركَلّى شَرّى، وأسماء ملوك عدّة كانوا يحكمون فى البلاد الجبلية الشرقية. وتوضّح تلك النصوص الكتابية أن أوركيش كانت ترى نفسها مماثلة لأكّاد، وتبيّن من ناحية أخرى أن تاريخ الحوريين ليس بناء لغوياً فقط، وإنما هو كيان تاريخى مستقل ومترابط أيضاً٤.

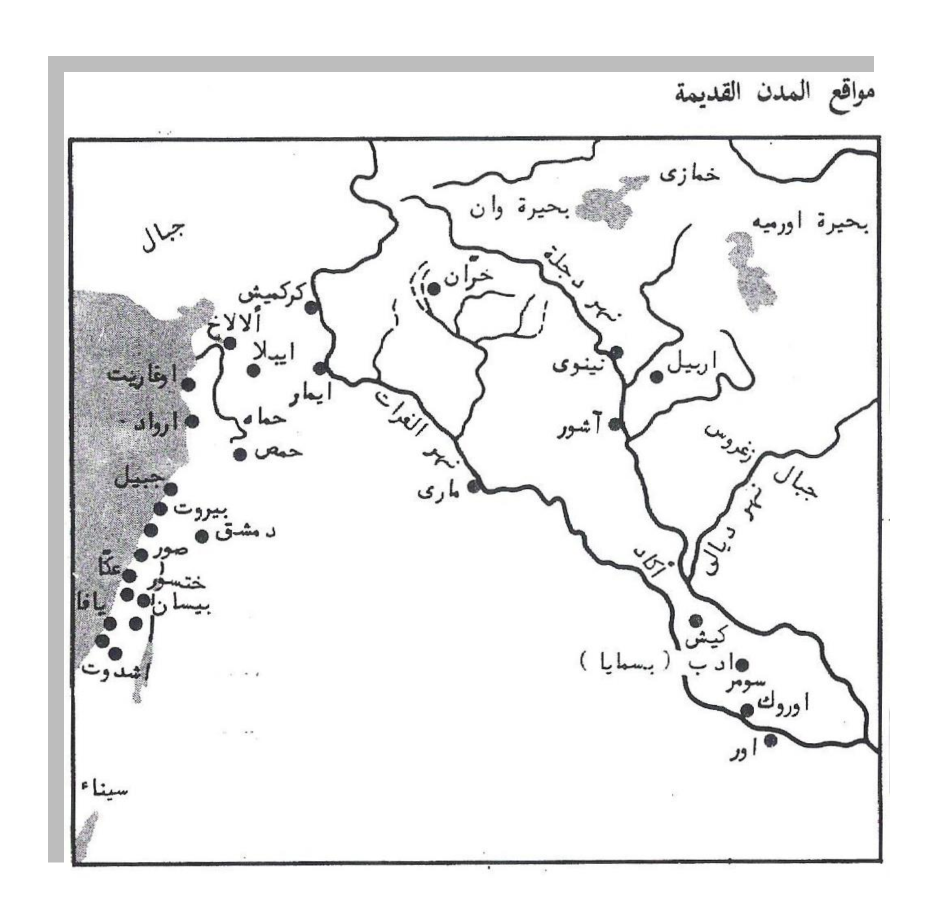
---

١ - المرجع السابق، ص ٣٨.

٢ - المرجع السابق، ص ٣٨.

٣ - المرجع السابق، ص ٣٩.

٤ - المرجع السابق، ص ٣٩.


مواقع المدن القديمة
خمازى
بحيرة وان
بحيرة اورميه
جبال
كركميش
ألالاخ
ايبلا
اوغاريت
ايمار
حماه
ارواد
حمص
خران
نهر دجلة
نينوى
اربيل
آشور
الفرات
نهر
زغروس
جبال
ماري
جبيل
بيروت
دمشق
صور
عكا
ختسور
بيسان
يافا
اشدوت
نهر ديالى
أكاد
كيش
ادب (بسمايا)
سومر
اوروك
اور
سيناء

إن وثائق التجار الآشوريين العاملين فى تجارة المعادن النفيسة والقصدير والمنتَجات النسيجية فى مطلع القرن الثامن عشر ق.م، هى أقدم النصوص الكتابية التى تقدّم معلومات عن الأوضاع فى بلاد آشور وشمالى سوريا وبلاد الأناضول، ولا تَرِد الأسماء الحورية فى هذه الوثائق إلا نادراً، ولذلك يصعب تقدير مدى اتساع نطاق المنطقة اللغوية الحورية فى الأناضول خلال العصر الآشورى القديم (حوالى ٢٠٠٠ – ١٥٠٠ ق.م)، لكن عُثر فى مدينة كانيش الأناضولية على رسالة موجّهة إلى حاكم المدينة من أمير يُدعى "أَنُوم خِرْبى" حاكم مدينة "ماما"، وكانت هذه المدينة تقع على الأرجح فى المنطقة المحيطة بمدينة مَرْعَش الحالية، ويرى معظم الباحثين أن اسم "أَنُوم خِرْبى" حورى، ويمكننا أن نستنتج من ذلك أن مدينة ماما – وقد كانت فى القرن الرابع عشر ق.م من مناطق انتشار اللغة الحورية- كانت منذ بواكير القرن الثامن عشر مأهولة بسكّان يتحدثون الحورية، أو أنها كانت تخضع لحكم سلالة حورية١.

وإن كثيراً من المصادر التاريخية- بدءاً من أواخر القرن الثامن عشر ق.م- وخاصة فى عهد كل من شَمْشى- أداد الأول Shamshi- Adad 1 (١٨١٥ – ١٧٨٢ ق.م). ملك آشور، وحمورابى ملك بابل حكم حوالى (١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق.م)، ومن بينها الوثائق المكتشَفة فى مملكة مارى الفراتية، تقدّم صورة شاملة عن دولة حورية كانت تمتد من شمالى سوريا وشمالى بلاد الرافدين ، حتى منطقة شرقى دجلة وجبال زاغروس، وإن وصف هذه الدولة بـــ "الحورية" يعتمد على حورية أسماء ملوكها، وعلى حقيقة أن قسماً كبيراً من سكانها كانوا يتحدثون باللغة الحورية.

وفيما يلى أسماء بعض الملوك الحوريين الذين حكموا شمالى بلاد الرافدَين:

أَتَل شينى: ملك بوروندوم (قرب غازى عَينْتاب، فى المنطقة الكوردية بجنوبى تركيا حالياً).

شُوكروم تِشُوب: ملك إيلاخوت (بين كَرْكَميش والبحر المتوسط).

نانب شاويرى: ملك خابوراتوم (قرب تل عَجاجة على نهر دجلة).

شادُوشَرى: ملك أزيخينوم (قرب نُوزى فى إقليم كركوك حالياً).

تِيش أُولْمِيَه: ملك ماردنام (ماردين فى المنطقة الكوردية بجنوب شرقى تركيا حالياً).

---

١ - المرجع السابق، ص ٤٠.

شِين نام: ملك أُوشوم (على نهر الفرات قرب أُورْفَه فى المنطقة الكوردية بجنوب شرقى تركيا).

أَنيش حُورْبى: ملك خاشوم (قرب كَرْكَميش على الحدود السورية التركية حالياً)١.

وفى القرن الثامن عشر ق.م، وكانت سلسلة من الدول الحورية إلى الشمال من كَرْكَميش، منها أُورشو Urshu، وخَاشُّوم Hasshum (تقع شمال غربى حلب)٢، ويبدو أن سيطرة الحوريين على شمالى سوريا ظل مستمراً فى القرنين التاليين، وقال جِرْنوت فيلْهِلْم فى هذا الصدد:

"أما فى الفترة التاريخية- حتى حوالى ١٥٦٠ ق.م- فيلاحَظ غلبةُ الطابع الحورى فى حلب وأَلالاخ، رغم استمرار حكم ملوكها ذوى الأسماء الأمورية، ولا ينعكس ذلك فى الهوية اللغوية لأسماء الأشخاص فحسب، بل فى هوية المجتمع الدينى والمصطلحات المستخدمة فى الشعائر الدينية. وإذا كان لاندس برجر قد تحدّث (فى عام ١٩٥٤) عن وجود أربع ممالك حورية غربى الفرات، هى: حلب، أُرْشُوم، خَاشُّوم، كَرْكَميش، فإنه- على الأرجح- قد أصاب فى وصف حقيقة الوضع، مع تحفّظى على تصنيفه كَرْكَميش بينها"٣.

يقول محمد حَرْب فَرْزات وعِيد مَرْعى:

"يذكر لنا أرشيف ألالاخ على المَجرى الأسفل لنهر العاصى أسماء أَشْهُر باللغة الحورية، وعدداً كبيراً من أسماء الأعلام الحورية، ليس فقط بين الأشخاص العاديين، وإنما أيضاً بين الأشخاص العاملين فى القصر الملكى. وتَرِد أسماء حورية فى النصوص المكتشَفة فى تل شاغار بازار (فى الجزيرة السورية) وتل الرماح (مدينة كَرانا karana قديماً فى وسط بلاد الرافدين)، كذلك فإن منطقة أَرّابْخا (منطقة كركوك حالياً) بعاصمتها نُوزى Nuzi كانت فى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد مركزاً لاستقلال العناصر الحورية"٤.

---

١ - جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ١/٦٠٤ — ٦٠٥.

٢ - جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكِّرة، ص ٢٠٠.

٣ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٤٥. وانظر محمد حرب فَرْزات، عيد مَرْعى: دول وحضارات الشرق العربى القديم، ص ١٦٢.

٤ - محمد حرب فَرْزات، عيد مَرْعى: دول وحضارات الشرق العربى القديم، ص ١٦٢ — ١٦٣.

وأضاف الباحثان يقولان:

"ومما تقدّم يتّضح أن العناصر الحورية كانت منتشرة فى مناطق عديدة من بلاد الرافدَين وسورية منذ القرون الأولى من الألف الثانى ق.م، وبعد موت شَمْشى أدَد الملك الآشورى القوى تبعثرت منطقة أعالى الرافدين إلى وحدات سياسية عديدة تُحكَم من قِبل أسر حورية مختلفة. فى هذا الوقت كان طُور عابْدِين والجزيرة مناطق حورية، ومن المعتقَد أنه بعد سقوط مارى انتشر الحوريون بشكل سريع فى وادى البَليخ والفرات الأوسط، وربما وادى العاصى الأوسط"[١].

وعلى العموم كانت شهرة الحوريين فى غربى آسيا كبيرة، حتى إننا نعرف من الوثائق المصرية أن الطريق الدولى الحربى الكبير، المارّ من فلسطين إلى مصر كان يُعرَف باسم (طريق حور الكبير).

---

١ - المرجع السابق، ص ١٦٣.

٥

المِيتّانِيُّون: الهويّةُ والجُغْرافِيا

مَن هُم المِيتّانيّون؟

مرّ سابقاً أن الحوريين هم نتاج الاندماج بين القبائل الآرية القادمة من الشرق وأقوام جبال زاغروس، ومرّ أيضاً أن القبائل الآرية كانت أقوى عسكرياً من أقوام زاغروس، وبسبب ذلك فرضت سلطتها على أولئک الأقوام، وفی ظل تلک السلطة تمّت عملية الاندماج الثقافی والسياسی والاجتماعی بين الفرعين الزاغروسی والآری، واستغرقت تلک العملية بضعة قرون، وخلال ذلک كانت السيادة- على الغالب- فی أيدی الفرع الآری.

فهل الميتّانيون فرع من الحوريين، أم هم فرع آری جديد طارئ على المجتمع الحوری؟ إن الدكتور عبد الحميد زايد يقول: "وكان سلطان الميتّانيين فی سورية متوقّفاً على توسّع الحوريين، وفی أوقات ضعف النفوذ المصری فی سورية قام الميتّانيون بالارتباط مع الحوريين فی أحلاف"١.

وهكذا فالدكتور عبد الحميد يرى أن العلاقة بين الحوريين والميتّانيين لم تكن علاقة قرابة، وإنما كانت علاقة تحالف، ومن حق القارئ أن يفهم من عبارة "أحلاف" أن الميتّانيين لم يكونوا فرعاً من الحوريين، بل كانوا قوماً آخرين، وها هو ذا الدكتور عبد الحميد نفسه يقول فی مكان آخر من كتابه:

"كانت توجد منافسة بين ملوک ميتّانی والحكام الذين سمّوا أنفسهم (ملوک بلاد حوری) Khurri، وغالباً كان نهر الفرات هو الحدّ الفاصل بين بلاد حوری ومملكة الميتّانيين،

---

١ – عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٧٧.

والظاهر أن بلاد حورى كانت أقدم من مملكة الميتّانيين، ولكن لحقتها ميتّانى فى القوة وفى النشاط السياسى، فهذا تُوشْراتّا، الابن الصغير لشُوتّارْنا الذى عاصر أَمْنُوفيس الثالث [آمُونْحُوتَب الثالث] فرعون مصر، تولّى المُلك بطريقة غير مألوفة، وقد جاء من وراء شُوتّارْنا ولده أَرْتاشوارا Artashuwara، وقد ذبحه أُوتْخى Utkhi أحد الضباط الكبار فى حكومته، وتولّى العرش من بعده تُوشْراتّا، أخوه الصغير. ولم يعترف أَرْتاتاما صاحب بلاد حورى بتُوشْراتّا سيّداً عليه، والظاهر أنه حاول الاستقلال. ولم يستطع العلماء حتى الآن الوصول إلى الحقيقة الواضحة فى العلاقات بين الميتّانيين والحوريين"١.

ويُستفاد من قول الدكتور عبد الحميد أن الميتّانيين لم يكونوا فى الأصل من الحوريين، وأن بلاد حورى هى غير بلاد ميتّانى، وأنّ الميتّانيين اقتبسوا اسم الحوريين، وأطلقوه على مملكتهم، واستدلّ الدكتور عبد الحميد على رأيه بأن أرتاتاما صاحب بلاد حورى لم يعترف فى فترة من الفترات بسلطة الملك الميتّانى تُوشْراتا، منطلقاً من اعتقاده بأن الميتّانيين ليسوا من الحوريين، وفى الآخر لم يجد الدكتور عبد الحميد بدّاً من الاعتراف بأن مسألة العلاقة بين الحوريين والميتّانيين غير محسومة، وأن العلماء لم يصلوا إلى رأى قاطع فى ذلك.

والحقيقة أننا لم نجد أحداً من المؤرخين- باستثناء الدكتور عبد الحميد زايد- يحصر العلاقة بين الحوريين والميتّانيين فى خانة (التحالف)، مع العلم أن صيغة (التحالف) لا تعنى بالضرورة أن الحوريين كانوا شعباً مختلفاً بالكلية عن الميتّانيين، وإنما يمكن أن يقوم تحالف بين قبيلتين من قومية واحدة، أو بين اتحاديين قَبَليين من قومية واحدة، ومثل هذا كثير فى تاريخ الكورد القديم وفى تواريخ الشعوب الأخرى فى الشرق الأوسط. وعدا هذا فإن عدم اعتراف أَرْتاتاما بسلطة تُوْشراتّا حصل فى عهد الانقسامات التى طرأت على مملكة ميتّانى فى أواخر عهدها، فالمعروف أن تُوشْراتّا حكم حوالى سنة (١٣٦٠ ق.م)، فى حين كانت مملكة ميتّانى قد بلغت أوج قوتها حوالى سنة (١٤٥٠ ق.م)، ولا يعدو تمرد أَرْتاتاما سوى كونه تمرّد أحد أفراد السلطة على الملك الميتّانى، وقيامه باقتطاع جزء من بلاد حور ووضْعها تحت سلطته.

ويقول الدكتور عبد العزيز صالح بشأن العلاقة بين الحوريين والميتّانيين:

"وفدت على الحوريين وافدة جديدة من بنى عمومتهم الهندوآريين من أواسط آسيا، خلال القرن السادس عشر ق.م، وعُرف هؤلاء الوافدون باسم (مِتَن، ومايتَنى، أو مِيتان وميتانيين)،

---

١ - المرجع السابق، ص ٤٧٨.

وذكرت النصوص المصرية بلادهم باسم (تاومثن) واسم (خاسوت مِتَن)؛ أى أراضى مِتَن، وبرارى أو أقطار مِتَن، وقد أخذوا بالنظام الفيدرالى الذى اعتاده أغلب الهندوآريين ذوى الأصول القبَلية أو الرعوية، وهو نظام كان يجعل السيادة فى أيدى طبقة أرستقراطية من النبلاء الفرسان المحاربين يتميّزون باستخدام الخيول والعربات الحربية، ويسمَّون (ماريانو)، ويَعتبرون أنفسهم أقراناً بعضهم لبعض، ويَعتبرون ملكهم رأس أقرانه"١.

ويُستفاد من معظم المراجع ذات الصلة بالحوريين عامة أن الميتّانيين هم الفرع الحورى الذى احتفظ بقدر أكبر من الخصائص الآرية (الهندو أوربية)، يقول جين بوترو وزملاؤه بشأن عهد أواسط الألف الثانى قبل الميلاد: " فمن البحر المتوسط شرقاً إلى نُوزى، كان كل شيء ضمن دولة واحدة؛ وهى الإمبراطورية الميتّانية التى حكم فيها طبقة عليا من الهندو- أوربيين شعباً من الخوريين"٢.

ولم يميّز الدكتور توفيق سليمان الحوريين عن الميتّانيين في قوله:

" وعلى مرّ الزمن استملكت هذه القبائل بعض المناطق فى الأراضى العَمُورية، ثم اغتنمت فرصة تدمير حمورابى مملكة مارى، فوسّعت مناطق انتشارها، وزادت تثبيت نفوذها فى المنطقة. وما أنْ سقطت العاصمة البابلية فى يد الحثيين حوالى عام (١٥٣٠ ق.م) حيث كانت هذه القبائل قد أسست مملكة تُعرف باسم المملكة الحورية- الميتّانية، وعاصمتها (واشوكانّى) التى لم يُعثَر على موقعها حتى الآن، وكان المصريون يطلقون على المنطقة الحورية — الميتّانية (اسم نَهارينا)، وأسماها البابليون (خانيجالْبات)"٣.

وذكر المؤرخ أحمد فخرى أن الميتّانيين قبائل من الشعوب الهندو أوربية، كانت مكوّنة من العنصر الحربى الأرستقراطى، نزلت فى بلاد الرافدين، واستقرّت فى البلاد التى كان يحتلها شعب آسيانى (زاغروسى) آخر هو الشعب الحورى، ولم يمضِ غير وقت قليل حتى صار

---

١ – عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص ٥٦٢.

٢ – جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكّرة، ص ٢٠١.

٣ – توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣١٢.

اسمهم (مملكة ميتّانى) التى بسطت نفوذها على شمالى بلاد الرافدين (المنطقة المعروفة الآن باسم كوردستان)١.

والحقيقة أن كبار المؤرخين الذين تناولوا تاريخ الشرق الأوسط بالبحث والتنقيب، تحدّثوا عن الميتّانيين فى إطار الشعب الحورى، وأدرجوا مملكة ميتّانى ضمن التاريخ السياسى الحورى، ونذكر من أولئك المؤرخين: وليام لانجر فى كتابه "موسوعة تاريخ العالم"، وهارى ساغز فى كتابه "عَظَمة آشور"، وموريس كرُوزَيه فى كتابه "تاريخ الحضارات العام"، وجِرْنوت فيلْهِلْم فى كتابه "الحوريون تاريخهم وحضارتهم"، مع الأخذ فى الحسبان أن هذا الكتاب متخصّص فى الشأن الحورى والميتّانى.

ومعظم المعلومات المتعلقة بميتّانى مستمدة من وثائق مدينة نُوزى الحورية/الميتّانية، وقد تمّ الكشف عن أطلالها قرب كركوك فى كوردستان الجنوبية، كما أن بعض المعلومات مستمدّة من السجلات التى عُثر عليها فى مصر وآشور وأوغاريت وفى العاصمة الحثية خاتّوشا/خاتوسا (بوغاز كوى Bogazkoy- حالياً).

ومثل كثير من الأسماء القديمة ورد اسم الميتّانيين بصيغ مختلفة، وهو اختلاف ناجم عن اختلاف اللغات التى وردت بها تلك الأسماء، فقد ذُكروا بصيغة (مِيتّانى) Mittani، وبصيغة (مِيتانّى) Mitanni، وبصيغة مِيتانى Mitani، وذكر جرنوت فيلْهِلْم أن الصيغة الأصلية كانت (مَيْتّانى) Maittani، ثم حُوِّر اللفظ إلى (مِيتّانى) Mittani، وأن الجزء الأساسى هو (ميتّا)، أما المقطع (نى) فهو لاحقة، واستخدم جرنوت الصيغة الأخيرة (ميتّانى)، ونأخذ نحن بهذه الصيغة٢.

وقال جِرْنوت فيلْهِلْم بشأن هويّة الميتّانيين: "وُجدت بين المهاجرين القادمين من المناطق الجبلية شرقى الأناضول مجموعاتٌ كانت تتحدث لُكْنَة هندو جرمانية، وفى الأصح بصيغة موغلة فى القِدم من الهندوآرية، وقد حظيت هذه الحقيقة باهتمام كبير فى تاريخ الدراسات الشرقية القديمة... وفيما يتعلق بالتقييم التاريخى العام فإن أبرز المسائل الخلافية هى: هل تسلّلت المجموعات الناطقة باللغة الهندوآرية، التى جاءت من القفقاس- إلى الهلال الخصيب مع

١ - أحمد فخرى: دراسات فى تاريخ الشرق القديم، ص ٢٠٢.

٢ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٤٨. ٥٨.

الحوريين؟ أم أن المظاهر اللغوية الهندوآرية الموجودة فى الحورية ترجع إلى حصول احتكاك بين الشعبين خلال ارتحال الهندوأوربيين إلى إيران ثم الهند"١.

وأضاف جِرنوت فيلْهِلْم موضّحاً:

"وبما أن بقايا اللغة الهندوآرية- وتتمثّل فى أسماء آلهة أو أشخاص، إضافةً إلى مجموعة من المصطلحات الحِرَفية المتعلقة بتربية الخيول- تَرِد بالدرجة الأولى بشكل مرتبط بسلالة ميتّانى، فإنه يمكن أن يُستخلَص من ذلك أنه نشأت فى مناطق القفقاس بتأثير المهاجرين الهندوآريين تقاليدُ معيّنة فى مجال الأسماء المتصلة بالطبقة السائدة، ويمكن توضيح ذلك بالتواصل السلالى، ثم انتقلت نحو الجنوب الغربى عبر أكثر من (٥٠٠) كم إلى مملكة ميتّانى فى شمالى بلاد الرافدين"٢.

وانتهى جِرْنوت فيلْهِلْم من مناقشته لهذه المسألة إلى: "أن مجموعات ناطقة بالهندوآرية فصلت نفسها عن التيّار الرئيس لتلك القبائل المرتحلة عبْر إيران إلى الهند، ثم سارت مع الحوريين إلى منطقة الهلال الخصيب، وانصهرت بسرعة معهم فى بيئة بلاد الرافدين وسوريا الحضارية، وهجرتْ لغتَها فى زمن مبكِّر"٣.

ومن الأدلة البارزة على الأصل الآرى للأسرة الملكية الميتّانية، وللطبقة السياسية والعسكرية الحاكمة فى ميتّانى عامة، أن المعروفين من ملوك مملكة ميتّانى- وهى تسمّى (المملكة الحورية العظمى)- يحمل جميعهم أسماء غير حورى- زاغروسية، ومن المؤكد أن أسماء بعضهم هندوآرية من حيث اشتقاقها اللغوى نذكر منهم:

- أَرْتاتاما: فى لغة القيدا Veda (رْتا ذامن)؛ أى ديارُه هى رْتا.
- تُوشْراتّا: فى لغة القيدا (تِفْصا رثا)؛ أى عربته الحربية تسير باندفاع.
- شَتّى وازا: فى الهندوآرية القديمة (ساتى فايا)؛ أى الظفر بالعتاد الحربى٤.

وثمة دليل قوى آخر على آرية الطبقة الحاكمة والقائدة فى ميتّانى، وهو الآلهة التى عبدها ملوك ميتّانى فى أواخر القرن الرابع عشر ق.م، فهى آلهة آرية، أبرزها (مِيثْرا، ڤارُونا، أنْدرا، ناساتيا/آناهيتا)، وهى معروفة فى أقدم القصائد الشعرية الهندية (ڤيدا)، ومعروفة أيضاً فى

---

١ - المرجع السابق، ص ٤٧.

٢ - المرجع السابق، ص ٤٧ - ٤٨.

٣ - المرجع السابق، ص ٤٧ - ٤٨.

٤ - المرجع السابق، ص ٤٨.

كتاب الزردشتية المقدس (أڤستا) Avesta ، ويبدو أن عبادتها كانت محصورة فى نطاق السلالة الميتّانية الحاكمة[1].

ونستنتج من الأقوال السابقة، ومن آراء لمؤرخين آخرين، أن الميتّانيين حوريون من الفرع الآرى، قَدِموا من جغرافيا التكوين الآريانية (آرْيانا ڤِيجُو)- تسمّى (آريانا ڤيدجا/آريانا ڤادژ) أيضاً- مع بدايات الألف الثانى ق.م، واندمجوا مع أقوام زاغروس القدماء، وكانوا من العنصر الحربى الأرستقراطى، فاستلموا دفّة القيادة فى الوطن الحورى، ونتيجة لذلك صار الطابع الآرى- سياسياً وثقافياً- أكثر وضوحاً فى المجتمع الحورى وفى المملكة الحورية بشكل عام، ولذلك يتداخل الحديث عن الحوريين والميتّانيين فى بعض المصادر التاريخية، وخاصة حينما تتعلق المعلومات بالمجالات الجغرافية والحضارية[2].

وعلى سبيل المثال دعونا نتأمل القول التالي للمؤرخ موريس كُروزَيه:

"ونجد الحوريين، فى أزمنة مختلفة، فى كل نواحى بلاد الرافدين الشمالية الممتدة من جبال زاغروس حتى شواطئ البحر الأبيض المتوسط السورية، ويُطلَق اسم ميتّانى خاصة على منعطف الفرات، حيث كان لمصريى الإمبراطورية الجديدة [الأسرة الثامنة عشرة] علاقات كبرى مع الحوريين، وفى هذه الحقبة وتلك المنطقة فقط شيّد الحوريون دولة عَرفت بعض الأهمية والاستمرار. ولكن منذ السلالة التاسعة عشرة خضعوا لسلطة الحثيين، وانقرضوا تماماً تقريباً؛ لذا يصعب علينا من ثَمّ التفريق بين حضارتهم وحضارة الحثيين"[3].

وهكذا فالتداخل بين الحوريين والميتّانيين واضح فى حديث كُروزَيه، خاصةً إذا أخذنا فى الاعتبار أن الدولة ذات الأهمية والاستمرار التى شيّدها الحوريون، والتى تداخلت جغرافياً وثقافياً فى الأناضول وشمالى سوريا مع مناطق النفوذ الحثّى؛ هى معروفة فى معظم المصادر باسم (مملكة ميتّانى)، ويُعرف ملوكها باسم (ملوك ميتّانى)، ويكثر الحديث عن سكان تلك المملكة باسم (الميتّانيين).

---

١ - المرجع السابق، ص ٤٩.

٢ - جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٢٤١/٢. فِراس السَّوّاح: الحَدَث التوراتى والشرق الأدنى القديم، ص ٤٤.

٣ - موريس كروزيه: تاريخ الحضارات العام، ٢٠٣/١.

وعلى أيّة حال فالمسألة لا تعدو كونها تداخلاً وليست تناقضاً، فالميتّانيون هم فرع من التكوين الحورى، لكن بما أنه الفرع الذى ساد فى المجتمع الحورى حوالى قرنين من الزمان، ودخلت المملكة التى أسّسها ذلك الفرع خلال ذلك فى علاقات تنافس وصراع واسعة مع القوى الإقليمية المعاصرة- نقصد مملكة آشور ومملكة الحثيين ومملكة مصر- فعُرفت المملكة فى الوثائق التى تعود إلى الممالك المجاورة باسم الميتّانيين فى الغالب.

والدليل على أن الميتّانيين هم فرع من الحوريين، وأن مملكة ميتّانى كانت حورية، وأن الطبقة الحاكمة فى ميتّانى كانت من أصل حورى، هو أن الملك الحثى شوپيلوليوماش- أثناء غزوه للأراضى التابعة لمملكة ميتّانى فى شمالى سوريا الحالية- ما كان يطمئن إلى الحكام الحوريين العاملين فى ولايات مملكة ميتّانى، فنفى معظمهم فى الأناضول، وكان "يقوم فى كل مكان بعزل الحكام الحوريين الذين كان الميتّانيون يعتمدون عليهم، ويضع مكانهم غيرهم ممن يثق فيهم"١.

ظُهورُ الميتّانِيّين في غَربي آسْيا:

كان لدخول العناصر الهندو آرية إلى الجبال الكوردية، فى مطلع الألف الثانى ق.م، أهمية خاصة فى تاريخ الشرق القديم، وقد تمركزت بالدرجة الأولى فى المنطقة التى سكنها الناطقون بالحورية، وتمازج الجميع فى حدود مملكة ميتّانى التى ظهرت فيها لأول مرة أسماء أعلام وألقاب ملكية تنتمى إلى أسرة اللغة السنسكريتية فى الهند.

وتحت سلطة الميتّانيين توحّدت البلاد الحورية فى أواسط الألف الثانى ق.م، وقد تمّ ذلك بفضل فرق الفرسان التى أشرف عليها أفراد طبقة ماريانو Maryannu (النبلاء) الذين ورد ذكرهم مع ظهور دولة ميتّانى فى الجهات الغربية من كوردستان؛ تلك المناطق التى اشتُهرت عند البابليين والآشوريين فى سجلات نُوزى بعد انهيار هذه الدولة فى خانيگالبات (خاليگالبات)، ومع توسّع رقعة تربية الخيول وصناعة العربات الحربية التى اختصّ بها الميتّانيون، انتشر نفوذ ماريانو بمرور الزمن خارج كوردستان٢.

---

١ - عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٨٢، ٤٨٥.

٢ - جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ١/١٥٠.

ولم يَرِد أيّ ذكر للميتّانيين فى النصوص المسمارية فى الفترة التى تسبق القرن الخامس عشر ق.م، وما إن حلّ القرن المذكور حتى ظهر أن بعض ملوك المناطق الحورية يلقّبون أنفسهم بـــ "ميتّانى"، وخاصة أولئك الذين تمركزوا فى وديان نهرى الخابور والبَليخ. وأول ملك ميتّانى ظهر اسمه فى السجلات اشتهر بلقب "پاراتارْنا" Paratarna حكم حوالى عام (١٤٨٠ ق.م)، وحمل أحياناً لقب "شُوتّارنا الأول"، ورد ذكره فى نَصْب إدريمى ملك أَلالاخ (تل عطشانة قرب حلب)؛ إذ أشار إليه إدريمى باعتباره سيّده، وجاء ذكره فى سجلات نُوزى أيضاً.

وعلى هذا الأساس فإن أقدم المصادر حول الميتّانيين تأتينا من موقع ألالاخ الذى كان تابعاً لمملكة يَمْخَد (أَيمْخَد = يَمْحاض= حلب) فى شمالى سوريا، وكان التأثير الحورى قد زاد فى مملكة يَمْحاض منذ منتصف الألف الثانى ق.م، وقد وصل نفوذ الميتّانيين فى هذه المملكة إلى درجة أن ملوك ألالاخ ضمّوا أحد الأرباب الميتّانية إلى مجمعهم الإلهى، وكان كل من الملكين إدْريمى ونِقْميبا فى علاقة طيبة مع ملوك ميتّانى خلال القرن الخامس عشرة ق.م[١].

إن آثار نُوزى تعزّز هذه الحقائق، وخاصة ختم الملك الميتّانى شاوْشاتّار الذى ذَيَّل به الوثائق مدوِّناً عليه عبارة "شاوْشَتّار مار بارْشَتّار شار ميتّانى"؛ أى (شاوْشَتّار ابن بارْساشتّار ملك ميتّانى). ومن جهة أخرى فإن وثائق تلّ العَمارِنة (فى محافظة المِنْيا بمصر) هى من أهمّ المصادر التى تقدّم معلومات مفيدة عن الميتّانيين منذ أواسط القرن الخامس عشر ق.م، وتتّضح من خلالها أُولى بوادر العلاقات الدبلوماسية بين هؤلاء وبين الفرعون تُحوتْموس الثالث الذى دخل آسيا عنوة، وقاد حملة على مملكة قادِش عام (١٤٤٧ ق.م)، وهى تتضمّن الرسائل المتبادلة بين ملوك ميتّانى وفراعنة مصر الآخرين من الأسرة الملكية المصرية الثامنة عشرة، خاصة بعد أن قامت مصاهرة بينهم طوال ثلاثة أجيال على الأقل، وحتى انهيار الإمبراطورية الميتّانية على يدى الملك الحثى شوپيلوليوما[٢].

---

١ - المرجع السابق، ١٥٢/١ — ١٥٤.

٢ - المرجع السابق، ١٥٤/١ - ١٥٦.

جُغْرافيا مِيتَّاني:

كانت الجغرافيا التى يقيم فيها الميتّانيون تُعرَف فى المصادر الأكّادية باسم (خانى جَلْبَتْ) أو (خالى جَلْبَت)، وأقدم صيغة لها هى (خابين جَلْبَت)، وكانت تُعْرَف عند المصريين باسم (نَهْرِينا)، وقد ذُكر اسم مَيْتّانى (فيما بعد مِيتّانى)، الذى كان يطلقه الميتّانيون على بلادهم، أوّل مرة فى نقش كتابى يرجع إلى عهد الملك المصرى تُحوتْمُوس الأول (حوالى ١٤٩٧ – ١٤٨٢ ق.م)، وتحديداً إلى الفترة التى تصدّعت فيها السيادة الحثية فى شمالى سوريا، وقام تُحوتْمُوس الأول بحملة عسكرية احتل خلالها فلسطين[١].

وثمة دراسات مطوَّلة معقَّدة انتهت إلى أن مملكة ميتّانى كانت تقع فى الجزء الأعلى من بلاد الرافدَين؛ تلك المنطقة التى تسمّى (الجزيرة العليا)، مع حيرة خافية حول الانتشار والتشظّى الواسع للشعب الحورى فى طول المنطقة وعرضها؛ فى الأناضول، وفى جميع سهول سوريا، وفى داخل فلسطين.

وأما الموضوع الأكثر أهمية فى هذا المجال فهو الوجود الحورى فى بلاد باسم (أَدُوم) التى حملت أيضاً اسم (بلاد الحور)، وهى تُعرَف باسم (جبل سَعِير) فى جنوبى الأُردنّ، وجاء فى كتابة تعود إلى عهد الملك الآشورى شَلْمانَسَر الأول (١٢٧٤ – ١٢٤٥ ق.م)، أنه قام بفتوحات عسكرية متتالية على الأقوام الجبلية، وعلى مملكة أورارتو، ومملكة (خانى جَلْبات/ خانى گَلْبات) الميتّانية التى ضُمّت أراضيها إلى أراضى الدولة الآشورية، بعد أن تقلّص نفوذها السياسى، واقتصر على السهول الواقعة بين دجلة والفرات، جنوبى سلسلة جبال طوروس، وهى تدل فى السجلات الآشورية على منطقة واسعة تمتد من طور عابدِين حتى مناطق حَرّان وطوروس[٢].

وذكر الدكتور توفيق سليمان أن القبائل الحورية/الميتّانية استملكت، مع مرور الزمن، بعض المناطق التى كان يسيطر عليها الأموريون (العموريون)، ثم اغتنمت فرصة تدمير الملك البابلى حَمُورابى لمملكة مارى الأَمُورية، فوسّعت مناطق انتشارها، وزادت تثبيت نفوذها فى المنطقة.

---

١ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٥٨، ٥٩. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٨١.

٢ – محمد بَيُّومى مَهْران: تاريخ العراق القديم، ص ٣٤٥.

وحينما سقطت العاصمة البابلية (بابل) فى أيدى الحثّيين حوالى عام (١٥٣٠ ق.م) كانت هذه القبائل قد أسست مملكة تُعرف باسم المملكة الحورية- الميتّانية، وعاصمتها (واشوكانّى) التى لم يُعثر على موقعها حتى الآن، وكان المصريون يطلقون على المنطقة الحورية – الميتّانية (اسم نَهارينا) Naharina، وأسماها البابليون (خانى جالْبات) Hannigalbat.١

وقد حدّد جِرْنوت فيلْهِلْم بلاد الميتّانيين (ميتّانى) قائلاً:

"ويدلّ كِلا الاسمين (ميتّانى، خانى جَلْبات) على البلاد الواقعة بين منعطف نهر الفرات والمجرى العلوى لنهر دجلة، ومركزها منطقة مثلّث ينابيع الخابور. أما الحدود الشمالية لها فغير واضحة تماماً، ويرجَّح جداً أن مملكة ميتّانى كانت تشمل أيضاً مناطق طُور عابْدِين، والسهلَ المحيط بمدينة آمَد (دياربكر)، وتتاخم فى الشمال بلاد إشُوّا (مركزها الاقتصادى نواحى ألْتينوفا، حالياً جهات بحر كِبَن)، وأَلْشِ (شمالى دجلة عند جزئه الذى يجرى من الغرب إلى الشرق، ويسمّى هذا الجزء فى المصادر اليونانية Arzanene). وقد كانت بلاد إشُوّا وأَلْشِ مسكونة بالحوريين أيضاً، ومرتبطة على مر العصور بمملكة ميتّانى"٢.

---

١ – توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣١٢.

٢ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٥٨ – ٥٩. وانظر محمد بيُّومى مَهْران: تاريخ العراق القديم، ص ٣٤٣.

الفَصْل الثَّاني

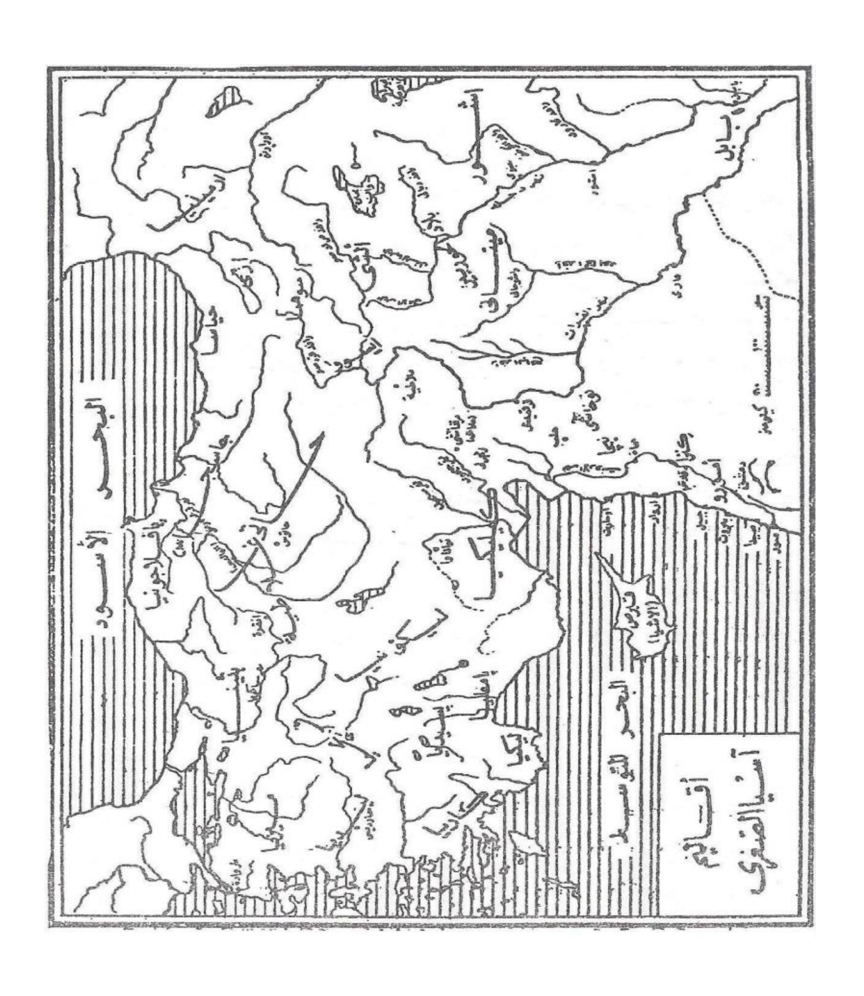
مَمْلَكَةُ مِيتَّـاني

(طَوْر النَّشْـأة والازْدِهَار)

١

غَرْبي آسيا جِيُوسياسيّاً

منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد على أقل تقدير، ومع ظهور الممالک والدول فى بلاد الرافدَين شرقاً وفى مصر غرباً وجنوباً، اكتسبت مناطق غربى آسيا أهمية جيوسياسية متميّزة، وبمرور القرون وتكاثُر البشر وتعدُّد الكيانات السياسية، ازدادت تلک الأهمية، وزادت فى الوقت نفسه حدّة الصراع على الجغرافيا، ونستعرض فيما يلى أبرز القوى الإقليمية فى غربى آسيا قُبيل قيام مملكة ميتّانى.



أقاليم
آسيا الصغرى
البحر الأسود
البحر المتوسط
قبرص
بابل

الآشُوريّون فى شَمالى ميزوبوتاميا:

للآشوريين مساحة واسعة فى تاريخ غربى آسيا القديم، ومع ذلك ثمة اختلاف كثير فى هويتهم الإثنية، وهذا واضح فى أقوال كبار المؤرخين، وقد برز فى الشرق الأوسط خلال القرن العشرين تيّار قومى التوجّه فى الدراسات التاريخية، وكان يهمّ هؤلاء أن يقتطعوا الأحداث من سياقاها التاريخية الصحيحة، ويقفزوا فوق بعضها الآخر، ويصنعوا تاريخاً يتوافق مع توجّهاهم الأيديولوجية القومية أو الدينية، وهذا ما فعلوه بشأن الآشوريين، فقد نسبهم المؤرخون العرب والمستعربون القوميون إلى الأقوام العربية القديمة التى خرجت من شبه الجزيرة العربية، وانتشرت فى مناطق الهلال الخصيب.

ورجّح الدكتور محمد بَيُّومى مَهْران تنسيب الآشوريين إلى الساميين، لكنه سرعان ما تراجع عن ذلك، إذ لم يعجبه أن تكون قسوة الحكام الآشوريين جزءاً من تاريخ الساميين، فهو وأقرانه يرون أن العرب هم الفرع الأنقى تمثيلاً للساميين، ولا يريدون أن تتشوّه صورة العرب، وذكر أن تنسيب الآشوريين إلى الشعوب السامية مؤسّس على أهم كانوا يتكلمون بلغة سامية، وأضاف الدكتور مَهْران قائلاً:

"غير أنّ المنطقة التى سكنوها فى شمال العراق إنما قد تعرّضت لغزوات شعوب الجبال والشعوب الهندو- أوربية، وقاست كثيراً على أيديهم، كما أصبح سكان آشور خليطاً من أجناس مختلفة، ولم يكونوا ساميّين من دم نقيّ، ورغم أن الأسرة الحاكمة كانت تحمل أسماء ساميّة، إلا أنه لا يمكن معرفة أصلها؛ الأمر الذى أدّى إلى أن يتطبّع الآشوريون بطباع غير ساميّة، ويُظهروا قسوة، مخالفين بذلك التقاليد الساميّة القديمة على أيام الدولة الأكّدية"١.

إن حديث الدكتور محمّد بَيُّومى مَهْران عن التقاليد الساميّة يوحى بأن الممالك الساميّة ما كانت تمارس العنف فى غزوها للمناطق المجاورة، والحقيقة أن الحكّام الأكّاديين غير المشكوك فى ساميّتهم لم يقلّوا قسوة عن حكّام آشور. وعلى أيّة حال اختلف معظم المؤرخين الذين

١ – محمد بَيُّومى مَهْران: تاريخ العراق القديم، ص ٣٢٤، ٣٢٦.

تناولوا أصل الآشوريين مع ما ذهب إليه تيّار أدلجة التاريخ، وأكدوا أن الآشوريين لم يكونوا عِرقاً ساميّاً صرفاً، قال وِل ديورانت:

"كان الأهلون خليطاً من الساميين، الذين وفدوا إليها من بلاد الجنوب المتحضّرة (أمثال بابل وأكّد)؛ ومن قبائل غير ساميّة جاءت من الغرب، ولعلهم من الحثّيين، أو من قبائل تَمُتّ بصلة إلى قبائل ميتّانى؛ ومن الكورد سكان الجبال الآتين من القفقاس، وأخذ هؤلاء كلهم لغتهم المشترَكة وفنونهم من سومر، ولكنهم صاغوها فيما بعد صياغة جديدة، جعلتها لا تكاد تفترق فى شىء عن لغة أرض بابل وفنونها"١.

ويرى هارى ساغز أن قبائل الآشوريين لا تنحدر من أب واحد ومن سلالة واحدة، وقال موضّحاً: "كان الآشوريون شعباً هَجِيناً، وهم يعرفون ذلك، وكان النَّقاء العِرقى ليس بذى قيمة بالنسبة إليهم، ومنذ أقدم الأزمنة كان لديهم تاريخ عنصرى خليط، ... وهذا مذكور مراراً فى النقوش المَلكية، أن شعوباً من خارج آشور كانوا يتوافدون، ويُضافون إلى الأعداد الأصلية من البلاد، ويمتزجون بها"٢.

وأكد الدكتور توفيق سليمان عدم انتماء الآشوريين إلى سلالة واحدة قائلاً: "تبيّن لنا الرسوم والنقوش التى خلّفها الآشوريون لأشخاصهم؛ أنهم كانوا يشكّلون خليطاً من البُؤَر البشرية المحلّية فى بلاد ما بين النهرين، ومن البُؤَر البشرية التى تعود بأصولها إلى الأرض الأرمينية"٣.

وسبق أن ذكرنا عدم دقّة بعض الباحثين فى إطلاق التسميات الجغرافية، وهذا ما فعله الدكتور توفيق سليمان بشأن الحديث عن "الأرض الأرمينية"، والحقيقة أن اسم أرمينيا كما نعرفه اليوم لم يظهر إلا اعتباراً من أعوام (٥٥٠ – ٥٢١ ق.م) الميلاد)، وهذا وقت متأخر جداً بالنسبة إلى ظهور الآشوريين فى التاريخ٤.

وما يهمّنا أن الأقوال السابقة تلفت الانتباه إلى أرجحية كون الآشوريين شعباً هندو آرياً، لكن بلغة وثقافة سامية، وترجّح أيضاً وجود صلة قرابة إثنية بين الآشوريين وأسلاف الكورد، وثمة من صرّح بذلك دونما لَبس، فقال الدكتور إبراهيم الفنّى: "من القراءة الأولى نعتقد أن

---

١ – ول ديورانت: قصة الحضارة، ٤٦٩/٢ – ٤٧٠.

٢ – هارى ساغز: عظمة آشور، ص ١٧٠، ١٧٣.

٣ – توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ١٦١.

٤ – مروان المُدَوَّر: الأرمن عبر التاريخ، ص ٨٢، هامش (٢).

الحوريين هم الذين أعطوا الأشوريين تلك الملامح التى كانت تميّزهم عن الساميين فى الجنوب"١. وقال الدكتور جمال رشيد أحمد: "انحدر الآشوريون عِرقياً من الحوريين أو الگوتيين أو اللولوبيين"٢.

ويقول الدكتور عامر سليمان وأحمد مالک الفِتْيان بشأن العلاقة بين السوباريين والآشوريين: "لم يكن اسم آشور معروفاً فى القسم الشمالى من العراق قبل الألف الثالث قبل الميلاد، بل كان يُطلق على السكان القاطنين فى المنطقة اسم (سوباريين)، بينما أُطلق على البلاد اسم (سوبارتو). وعند مجىء الآشوريين إلى المنطقة غلب اسم الآشوريين وبلاد آشور، وانصهر السوباريون مع الآشوريين، بينما نزح البعض منهم إلى المناطق الجبلية"٣.

وقد ذكر سپايزر فى هذا الشأن خبراً، نعتقد أنه مهم جداً، وهو الآتى:

"إن بلاد آشور دخلت تحت سيطرة جيرانها، وخاصة الميتّانيين، منذ أواسط الألف الثانى ق.م، وكانت فى الحقيقة موطناً لسكّان زاغروسيين محلّيين، حَكَمهم ملوک لم ينحدروا من السلالات الساميّة، والكُنية التاريخية الأولى لأقدم ملک حكم هذه البلاد فى القرن (٢٣ ق.م) كانت (إياكولابا)، وهى من الأسماء الگوتية على الغالب. واشتهر كذلک من بين الحكام القدماء فى هذه المناطق كلٌّ من أوشبيا وكيكيا، وهؤلاء سبقوا الميتّانيين فى حكم آشور، كما أن كنية أحد ملوک آشور فى القرن (١٩ ق.م) يحمل كنية (أدّاسى) المشتقة من اللغات الزاغروسية، كما نرى من الملوک الأوائل على رأس الدولة الآشورية شخص بلقب (لولابى)، أىْ شخص لوللوبى"٤.

وتفيد جميع المصادر الجادّة، والتى لم تُكتب لغايات أيديولوجية قومية أو دينية، أن اسم آشور لم يكن معروفاً فى القسم الشمالى من بلاد ما بين النهرين (العراق حالياً) قبل الألف الثالث ق.م، بل كان يُطلَق على السكان القاطنين فى المنطقة اسمُ (سوباريين)، وكان يُطلَق على البلاد اسم (سوبارتو) Subart، ثمّ وصل الآشوريون إلى سوبارتو وسيطروا عليها،

---

١ – إبراهيم الفنى: التوراة، ص ١٠١.

٢ – جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٣١/١. وانظر هارى ساغز: عظمة آشور، ص ١٧٤.

٣ – عامر سليمان، وأحمد مالک الفِتْيان: محاضرات فى التاريخ القديم، ص ١٤٣.

٤ – جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٢٥٠/٢، هامش (٣٤).

فانصهر قسم من السوربارتيين فى المجتمع الآشورى، وهاجر بعضهم إلى الجبال، ومنذ ذلك الحين غلب اسم (آشور) على المنطقة١.

ودعونا نقرأ القول التالى للدكتور محمد بَيُّومى مَهْران:

"إن الآشوريين لم يحلّوا فى أرض فضاء، وإنما سكنوا بقاعاً سبقهم إليها قوم آخرون، عرفنا منهم (سوبارتو) Subartu الذين كانوا يَشغلون من قبلُ الإقليمَ الواقع بين دجلة وزاغروس، وهم ليسوا بساميّين على أية حال، ومن ثَمّ نستطيع أن نتخيّل صراعاً ينشب إثْر تقدّم موجات الساميّين الزاحفة من الغرب أو الجنوب، أو منهما معاً، بينهم وبين المواطنين الأصليين من السُّوباريين، وقد انتهى هذا الصراع بغلبة العناصر الوافدة واستقرارها هناك، وإنْ ظل البابليون فيما بعد لا يفرّقون كثيراً بين الآشوريين والسُّوباريين، ويعتبرونهم جنساً واحداً، وربما كان سبب ذلك الاندماج المباشر بين العنصرين على مرّ العصور، بل يرجّح البعض أن السومريين نزلوا فى هذه النواحى قبل الساميّين الغربيين، وجعلوا منها مراكز لحضارتهم الشمالية"٢.

وفى بداية عهدهم كان الآشوريون يسكنون المناطق الواقعة على جانبى نهر دجلة، من خط عرض ٣٧ شمالاً، وحتى مصبّ نهر العُظَيم جنوباً (نهر رَدانو قديماً تقع عليه دَقُوقا الحالية)، وتحدّها من الشمال والشرق سفوح جبال كوردستان العالية، وكانت بلادهم على هيئة مثلّث من دجلة والزاب الأعلى والزاب الأسفل، ومثل بقية أقوام غربى آسيا اهتمّ حكّام آشور بتوسيع مناطق نفوذهم فى جميع الاتجاهات، ونتيجة لذلك دخلوا فى صراعات شبه مستمرة وحادّة ضد حكام المناطق المجاورة، وكانت منطقة نفوذهم تتوسّع وتتقلّص بحسب طموحات ملوك آشور من ناحية، وبحسب القوى الإقليمى من ناحية أخرى، وقد قسّم المؤرخون التاريخ السياسى للآشوريين إلى ثلاثة عصور، هى:

١ – العهد الآشورى القديم: حوالى (٢٠٠٠ – ١٥٢١ ق.م).

٢ – العهد الآشورى الوسيط (١٥٢١ – ٩١١ ق.م).

---

١ – عامر سليمان، وأحمد مالك الفِتْيان: محاضرات فى التاريخ القديم، ص ١٤٣.

٢ – محمد بَيُّومى مَهْران: تاريخ العراق القديم، ص ٣٢٥.

٣ – العهد الآشورى الحديث (٩١١ – ٦١٢ ق.م)[١].

على أن ما يلفت الانتباه هو ما ذكره المؤرخون بشأن اهتمام الآشوريين بالتجارة، فقد ذكر هارى ساغز أن الآشوريين منذ البداية عدّوا التجارة مع الشعوب الأخرى عنصراً أساسياً فى الحياة، وأضاف أنه منذ بداية الألف الثانى ق.م "كانت آشور مركزاً تجارياً، ولها مستعمرات تجارية فى المناطق الأخرى، بعضها يصل إلى أواسط الأناضول، والحقيقة أن العنصر التجارى– مع أنه قد طغت عليه النزعة العسكرية– لم يختف نهائياً كعنصر مرموق فى حياة الآشوريين"[٢].

وهذه معلومة مفيدة لمعرفة مجمل السياسات التوسعية للممالك الآشورية المتتابعة، وخاصة خلال العهد الآشورى الحديث (٩١١ – ٦١٢ ق.م)، وكان يهمّهم على الدوام أن يسيطروا على الطريقين التجاريين العالميين (طريق الحرير وطريق البخور)، وعلى فروعهما فى شرقى البحر الأبيض المتوسط وفى الأناضول؛ لذلك سيطروا على سوريا وفلسطين وعلى شمالى بلاد العرب، بل غزوا مصر فى الجنوب البعيد، وسيطروا عليها كى لا تكون منافساً لهم فى شرقى المتوسط، فهل من المعقول– والحال هذه– أن تكون بلاد الحوريين– وفى مقدّمتها مركز مملكة ميتّانى (فى غربى كوردستان/ شمال شرقى سوريا حالياً) بمنجاة من طموحات ملوك آشور؟ ألم يكن من الطبيعى أن يحاول كل فريق إخضاع الفريق الآخر لنفوذه، وإخراجه من دائرة المنافسة؟

الكَاشيُّونَ فى بابِل:

الكاشّيون Kashshu: يسمّون (كاشّى، كيشّى، كوشّو، كاسّى، كاسّاى، كاسّيت)، نسبةً إلى إلههم (كاش/كاشّو)، ويعنى (السيّد)، ويرجع أصل الكاشّيين إلى اندماج أقوام زاغروس القدماء بأقوام آرية وافدة تولّت القيادة والحكم، وكانت مواطن الكاشّيين تقع فى الجزء الأوسط من جبال زاغروس، والمعروفة باسم (لُورِستان) Luristan. وهم أول من أدخل الخيول إلى بلاد بابل، واستخدموا العربات التى تجرها الخيول فى أيام السلم والحرب، وقد

---

١ – محمد بَيُّومى مَهَران: تاريخ العراق القديم، ٣٢٣، ٣٣٥، ٣٤٣. عامر سليمان، وأحمد مالك الفِتْيان: محاضرات فى التاريخ القديم، ص ١٤٤ – ١٤٥

٢ – هارى ساغز: عظمة آشور، ص ١٧٠، ٣٦٩. وانظر جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكِّرة، ص ١٩٠.

سيطروا على بلاد بابل بقيادة ملكهم أَگوم (آغوم) الثانى حوالى سنة (١٥٣١ ق.م)، وضمّوا إليها جنوبى بلاد الرافدَين، واتخذوا مدينة بابل عاصمة لهم، وأطلقوا على بلاد بابل اسم (كارْدُونياش)؛ أى (بلد الرب دُونياش) ١.

وكان الآشوريون يجاورون بابل من الشمال الشرقى، ويجاورهم الحوريون- الميتّانيون من الغرب، لكن الملاحَظ أن الملوك الكاشّيين كانوا يحرصون على سياسة التعايش السلمى مع البلدان المجاورة، وتجنّب الصراعات المسلّحة، وخاصة مع بلاد آشور المجاورة، كما أنهم أقاموا علاقات وطيدة مع فراعنة مصر وحكام سوريا، فكانت فترة حكمهم فى بلاد الرافدين فترة هدوء نسبى، وقد اغتنم ملوك آشور فرصة نشوب النزاعات على السلطة فى البلاط الكاشّى، وهاجم العيلاميون مملكة الكاشّيين واحتلوا العاصمة بابل، ثم قضت مملكة آشور على سلطة الكاشّيين، وصارت مملكة كاشّو جزءاً من مملكة آشور، فى عهد آخر ملك كاشّى أنليل- نادين- أهى Enlil- Nadin- Ahhe (١١٥٩ – ١١٥٧ ق.م)٢.

الحِثِّيُّونَ فى الأناضُول:

الحثيون شعب آرى هندو أوربى، وفى موطنهم الأصلى رأيان: الأول أنهم جاؤوا من تَراقْيا فى البَلْقان إلى منطقة حوض منعطف نهر هاليس (قيزيل إرماق) فى وسط الأناضول. والثانى أنهم نزحوا إلى آسيا الصغرى من المناطق الشمالية الواقعة على سواحل البحر الأسود. وقسّم المؤرخون تاريخهم إلى عهدين:

١ – عهد المملكة الحثيّة القديمة (١٦٠٠ – ١٣٨٠ ق.م): ويبدأ هذا العهد بالملك لابارْنا (١٦٠٠ – ١٥٧٠ ق.م): الذى أسس المملكة، وأعاد بناء مدينة خاتّوشا

---

١ – أرشاك سافراستيان: الكورد وكوردستان، ص ٤١. أحمد فخرى: دراسات فى تاريخ الشرق القديم، ص ٢٠٣، ٢٠٥. جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكِّرة، ص ١٧٣، ٢١٢. جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٥٦. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٥٧١.

٢ – محمد بَيُّومى مَهْران: تاريخ العراق القديم، ص٢٩٦، ٣٠٥ – ٣٠٦، ٣٠٧. سامى سعيد الأحمد: السومريون وتراثهم الحضارى، ص ٥. جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٦٠٠/١. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٥٥٠.

(خاتّوسا/هاتوسا، وهى بوغاز كوى حالياً تقع على بعد ١٥ كم شرقى أنقرة)، واتخذها ابنه خاتّوشيلى الأول Hattushili I (١٥٧٠ – ١٥٣٠ ق.م) عاصمة للمملكة، وقام مورشيلى الأول Murshili I (١٥٣٠ – ١٥١٠ ق.م) ابن خاتّوشيلى الأول باحتلال مدينة حلب (حَلْبا) سنة (١٥٣٠ ق.م)، وقضى فى السنة نفسها على حكم آخر ملوك الدولة البابلية القديمة، وهاجم الحوريين، ودمّر "كلَّ مدن الحوريين" حسبما جاء فى الوثائق الحورية، ولعل المقصود المنطقة المحيطة بحلب، أو المدن الحورية الواقعة شرقى نهر الفرات.

وهذا يعنى أن مورشيلى الأول بسط نفوذه فى مجالين حيويين: الأول فى الشرق هو بلاد الرافدَين، والثانى فى الجنوب هو سوريا. وقد سبقت الإشارة إلى أهمّية هاتين المنطقتين على الصعيد الجيوسياسى بما فيه التجارى. لكن بدءاً من عهد الملك خانتيلى الأول (١٥١٠ – ١٤٩٠ ق.م) عديل مورشيلى الأول، ظهرت الصراعات على العرش، وفقد الحثيون سيطرتهم على شمالى سوريا، وعمّ الانحلال فى قلب الأراضى الحثية، واغتنم الحوريون- الميتانيون الفرصة، فدعموا نفوذهم فى شمالى سوريا، ورسّخ أقرباؤهم الكاشّيون نفوذهم فى بابل[1].

٢ – المملكة الحثّية الحديثة (١٣٨٠ – ١١٩٠ ق.م): بدأ هذا العهد بالملك شوبّيلوليوما (١٣٨٠ -١٣٤٦ ق.م): إنه أعاد بسط النفوذ الحثى على شمالى سوريا، وعلى شرقى آسيا الصغرى وغربيها، وكان من الطبيعى أن تصطدم المملكة الحثية بالمملكة الحورية- الميتّانية، واجتاز الملك الحثى جبال طوروس، ووصل إلى لبنان، وغزا الدويلات الأمورية فى وسط سوريا وعلى سواحلها، فاستنجد أمراء سوريا بمصر باعتبارهم كانوا موالين لها، ورغم التدخل المصرى سيطر الحثيون على النصف الشمالى من سوريا، بعد أن خاضوا معركة شرسة بقيادة الملك مواتاليش (١٣٧٠ – ١٢٨٧ ق.م) ضد الملك المصرى رَعْمسيس الثانى فى قادِش (تلّ النبى مَنْد، جنوب غربى بحيرة قِطّينا قرب حِمْص، على ضفّة العاصى الشرقية)، وكالسابق لم يكن الملوك الحثيون يرغبون فى التوسّع جنوباً، وإنما كان من الضرورى بالنسبة لمصالحهم

---

١ – توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٤. جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ١٨. محمد حرب فَرْزات، عيد مَرْعى: دول وحضارات الشرق العربى القديم، ص ١٦٤.

الجيوسياسية والتجارية أن يتوسّعوا شرقاً نحو بلاد الرافدَين أيضاً، وهذا يعنى أنهم كانوا سيعملون للسيطرة على مناطق النفوذ الميتّانى١.

الأَمُورِيُّونَ فى سُوريا:

منذ حوالى (٢٥٠٠ ق.م) لم تكن سوريا اسماً لوطن موحَّد أو لدولة أو مملكة موحَّدة، و لم تقم فيها دولة مركزية قديماً إلا تحت سلطة خارجية غازية، كانت كل منطقة من مناطقها الرئيسة تحمل اسماً خاصاً بها؛ لقد حملت فلسطين الداخلية اسم أرض كَنْعان نسبة إلى الكَنعانيين، وحملت فلسطين الساحلية اسم (فِلِسْطِيا) Philistia، نسبة إلى شعب فِلِسْت الهندو أوربى القادم من جزر بحر إيجَه، وسُمّى الساحل اللبنانى والسورى بـــ (فينيقيا) نسبة إلى الفينيقيين، وهم اسم أطلقه اليونان على الكنعانيين الشماليين. أما اسم (سوريا) فأطلقه اليونان على البلاد حوالى القرن الخامس ق.م؛ بسبب سيطرة الآشوريين عليها، ولأن قسماً كبيراً من السكان كانوا من السُريان (الآراميين الغربيين)، ثم أطلق الرومان ذلك الاسم على المنطقة الممتدة من كيليكيا فى الشمال حتى غَزّة فى الجنوب، وبهذا الاسم دخلت سوريا فى العصر الحديث٢.

يقول الأستاذ أحمد فخرى بشأن سكان سوريا القديمة:

"كان سكان سوريا القدماء بصفة عامة خليطاً من أجناس مختلفة، نظراً لموقعها الجغرافى، ولكن السكان الأصليين كانوا من جنس البحر الأبيض المتوسط كما ذكرنا، ولكن امتزجت بهم منذ أقدم العصور عناصر من أجناس مختلفة؛ أهمّها دون شك العنصر السامى؛ لأن جزيرة العرب كانت على حدود سوريا الجنوبية، ويتوق البدوى دائماً، عندما تمرّ به سنوات عِجاف، إلى الاستقرار فى إحدى المناطق الخصبة الواقعة على حافّة صحرائه"١.

---

١ – وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٨٤/١.

٢ – وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٧٨/١. أبراهام مالمات، وحاييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل، ص ١٩٠. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ١١٥، ٢٣٥، ٣٨١ – ٣٨٢. أرنولد توينبى: مختصر دراسة للتاريخ، ١٥٥/١.

١ – أحمد فخرى: دراسات فى تاريخ الشرق القديم، ص ٦٤.

ومنذ حوالى (٣٠٠٠ ق.م) كانت سوريا عرضة لكثير من الهجرات والغزوات، بسبب موقعها الإستراتيجى الفاصل بين بلاد الرافدَين شرقاً والبحر الأبيض المتوسط غرباً، وآسيا الصغرى (الأناضول) شمالاً ومصر جنوباً، أما الشعوب التى سكنت سوريا فهى متعدّدة أيضاً، وأصولها غير معروفة بدقة، والمَواطن التى قدِموا منها غير معروفة أيضاً، والأرجح أن سكّانها الأوائل كانوا من جنس البحر الأبيض المتوسط، ثم انضمّت إليهم بمرور القرون شعوب متعدّدة، أبرزها الأموريون (العَموريون)Amurrum الساميّون من الصحراء الشرقية، والشعوب الهندو أوربية وأبرزها الحوريون قادمين من جبال كوردستان فى الشمال الشرقى، والحثيون قادمين من الأناضول فى الشمال، وشعب البحر قادماً من جزر بحر إيجَه كما مرّ١.

وما يهمّنا هو الأموريون، إنهم شعب اسمه فى السومرية (مَارْتُو) Martu ، وفى الأكادية (أَمُورو)، وتعنى اللفظة فى اللغتين (الغرب)، وكانوا يعنون بها المناطق المجاورة لبلاد بابل من جهة الغرب، ثم صار اسماً للبدو الذين كانوا يشكّلون خطراً على المدن البابلية (السومرية والأكادية معاً) وقد أجملت المصادر المسمارية القبائل البدوية السامية تحت عنوان (مارتو)، والمصطلح المقابل له بالأكّادية هو (أمورّوم) Amurrum، ويعود أول ظهور للمارتو فى نصوص عقارية ترجع إلى عصر فجر السلالات الثالث، واستُخدمت الكلمة على أنها اتجاه جغرافى (Tum- mar-tu)، والتى تعنى (ريح — أى اتجاه– المارتو)، ويُقصد بها الغرب، أو بدقة أكثر: الشمال الغربى٢.

والرأى الغالب يرجّح أن الجغرافيا التى انطلقت منها قبائل أمورو البدوية هى الباديةَ السورية، وتحديداً المناطق الصحراوية الواقعة فى جنوبى سوريا وشمالى شبه الجزيرة العربية، ومنذ نهاية الألف الثالث ق.م بدأ الأموريون انتشارهم فى مناطق الهلال الخصيب، وتوصّلت فى بداية الألف الثانى ق.م إلى تأسيس سلالات حاكمة، وهم ينقسمون إلى فرعين: فرع شرقى اتجه إلى بلاد الرافدين، وأسّس هناك مملكة بابل، ومن أبرز ملوكها حمورابى

---

١ – المرجع السابق، ص ٦٤، ١٠١، ١٢٠، ١٢١.

٢ – جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ١٧٦. أحمد هُبُّو: تاريخ الشرق القديم (سوريا)، ص ٨١.

(عَمّورابى= أمُّورابى Hammurapet). وفرع غربى اتجه إلى شمال سوريا وداخلها، وأسس هناك ممالك أمورية١.

وأبرز الممالك الأمورية فى سوريا مملكة مارى، وعاصمتها مارى (تل الحريرى حالياً) التى تقع جنوبى مصبّ نهر الخابور، ومارى كلمة سومرية، من مارتو السابقة الذكر، وكانت مركزاً لبعض الأُسر السومرية القديمة، وفى خلال الألف الثانى سيطر عليها الأموريون الغربيون، فأصبحت هى وما حولها أمورية٢.

يقول جين بوترو وزملاؤه بشأن أهمية مدينة مارى:

"كانت أهمية مارى تعتمد على موقعها على الطرق التجارية الرئيسة بين سوريا وبلاد بابل، فقد كانت محطّة للقوافل والمواصلات بواسطة القوارب على طول نهر الفرات، والنقطةَ الرئيسة التى تربط البحر المتوسط بالخليج العربى. أما الطريق الثانى الذى يسير من قَطَنا السورية خلال واحات تَدْمُر إلى نهر الفرات، فكان ينتهى بمارى... وفى ظل حكم زِمْرى لِيم كانت مارى تسيطر على وادى الفرات من مصبّ نهر البَليخ جنوباً إلى حوالى مدينة هِيت الحالية، وقد أضيفت الأراضى الواقعة على طول نهر الخابور الأدنى إلى ذلك"٣.

ونظراً لأهمية مارى الجيوسياسية، وكونها مركزاً تجارياً يربط بلاد الرافدين بالأناضول شمالاً وبسواحل البحر المتوسط غرباً، كان من الطبيعى أن تكون عرضة لأطماع الممالك المجاورة؛ لأن أول ما كان يهمّ تلك الممالك هو السيطرة على الطرق والمراكز التجارية، وتأمين سلامة قوافلها التجارية فى جميع الاتجاهات، لذلك بمجرد أن سيطر الأكّاديون على بلاد الرافدين فى عهد الملك الأول سَرْجُون الأول (شَرُوكِين ٢٣٤٠ – ٢٢٨٤ ق.م)، بادروا إلى السيطرة على مارى، وقد افتخر سرجون بسيطرته على مارى، وبتوسّع مناطق سيطرته غرباً حتى جبال أمانوس، وما كان يمكنه الوصول إلى البحر الأبيض المتوسط لو لم يسيطر على مارى، قائلاً:

---

١ – عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٢٣٧.

٢ – المرجع السابق، ص ٢٣٧.

٣ – جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكِّرة، ص ١٩٧– ١٩٨. وانظر أحمد هُبُّو: تاريخ الشرق القديم (سوريا)، ص ١٤٥.

"شروكين الملك خرّ خاشعاً أم الإله داجان وصلّى، الأرض العليا أعطاه إيّاها: مارى، يِرْمُوتى، إبْلا، وحتى غابة الأرْز وجبال الفضة"١.

وقد عاشت مملكة مارى عصرها الذهبى فى عهد ملكها زيمْرى لِيم (١٧٨٢ – ١٧٥٩ ق.م)، ورغم صداقته وتحالفه مع الملك البابلى حَمورابى (١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق.م)، فقد انتهز حمورابى فرصة تغلّبه على منافسيه فى بلاد الرافدَين، وانقضّ بجيشه على مارى سنة (١٧٥٩ ق.م)، وأخضعها لسيادته، وهدّم أسوارها، وصارت مدينة عادية، وطوى النسيان أخبارها، وكيف يمكن لحمورابى أن يترك مارى خارج سيطرته وهى تقع على طريق التجارة الرئيسى فى منطقة الفرات الأوسط٢؟

ومن الممالك الأمورية الأخرى المهمة أيضاً مملكة يَمْحاض (يَمْحَد = يَمْخَد) فى شمالى سوريا وعاصمتها حلب، إنها كانت أقوى الممالك الأمورية السورية فى القرن الثامن عشر ق.م، وكان مؤسس المملكة الأمورى يَرِيم لِيمْ الأول (المعاصر لزيمْرى ليم ملك مارى) يوصَف بالقوى الذى يسانده عشرون حاكماً، من أبرزهم حاكم ألالاخ (تل عَطْشانة حالياً) على نهر العاصى فى سهل العَمق. وإلى الشمال من يَمْحاض كانت تقع كَرْكَميش، وكان حاكمها موالياً لزيمْرى لِيمْ ملك مارى، وإلى الشمال من كَرْكَميش كان يقوم عدد من الدويلات الحورية، منها أُورشوم وخَشُّوم. وإلى الجنوب من يَمْحاض كانت تقع دولة قَطَنا ذات العلاقات الواسعة مع دول المنطقة وخارجها. وعلى ساحل البحر المتوسط غرباً، كانت تقوم دولة أوغاريت ذات الموقع الإستراتيجى الهام، إنها كانت تربط بين دويلات سوريا والدول الخارجية التى تتعامل معها عن طريق البحر٣.

وتحت حكم يَرِيم لِيمْ توسّع نفوذ مملكة يَمْحاض، ووصلت إلى درجة كبيرة من القوة، وبسط يَرِيمْ لِيمْ نفوذه على المناطق الشمالية، بما فيها مدينة كَرْكَميش، وسيطر على مناطق تقع شرقى الفرات، ثم تولّى الحكم بعده ابنُه حمورابى الأول (غير حمورابى البابلى)، وحافظت

---

١ - أحمد هُبُّو: تاريخ الشرق القديم (سوريا)، ص ١٤٧.

٢ - المرجع السابق، ص ١٤٧ – ١٥٩.

٣ - جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكِّرة، ص ٢٠٠. أحمد هُبُّو: تاريخ الشرق القديم (سوريا)، ص ١٦٣ – ١٦٤.

المملكة على قوّتها ونفوذها، وكذلك فى عهد ملكها الثالث أبّا إيل ابن حمورابى الأول، واستمرت محتفظة بقوتها، وعاشت فترة جديدة من الانتعاش الاقتصادى والازدهار.

وجدير بالذكر أن أهمية مملكة يَمْحاض وتابعتها أَلالاخ لم تكن تقتصر على موقعها الإستراتيجى بين بلاد الرافدَين شرقاً والأناضول شمالاً والبحر المتوسط غرباً وفلسطين ومصر جنوباً، وإنما كانت تمتاز أيضاً بثروة زراعية وحيوانية وفيرة، إن سهول حلب الخصبة كانت- وما زالت- صالحة لزراعة أنواع مختلفة من الحبوب كالقمح والشعير والشُّوفان والعَدس والحُمُّص، وإضافةً إلى الاعتماد على مياه الأمطار التى تتجاوز (٣٠٠) مم سنوياً، كان المزارعون يستفيدون من الأنهار الجارية فى الشرق كالفرات وروافده الصغيرة، ومن نهر العاصى فى الجنوب والغرب عند أَلالاخ، ومن نهر قُوَيْق الذى كان يمرّ بمدينة حلب نفسها، ومن مياه الينابيع الواقعة عند سفوح الجبال، فزرعوا البساتين الغنية بمختلف أنواع الثمار (رمّان، عنب، تين، زيتون، خضروات، كما أن سهول وبواديها كانت صالحة لتربية الحيوانات (أغنام، ماعز، خنازير، أبقار، دواجن)، وكان من الطبيعى- والحال هذه- أن تزدهر فى يَمْحاض صناعات الجلود ونسيج الكتّان، والنسيج الصوفى، وبرع سكّان ألالاخ فى صناعة المعادن الثمينة كالذهب والفضة، وفى صناعة الأدوات المترلية والأسلحة من النحاس والبرونز الذى كانوا يحصلون عليه بخلط النحاس والقصدير١.

لكن الظروف الإقليمية تغيّرت بعد ظهور المملكة الحثية الحديثة فى آسيا الصغرى (١٦٠٠ – ١٣٨٠ ق.م)، وتطلّعها إلى التمدّد جنوبى جبال طوروس، وكان الصدام حتمياً بين أقوى مملكتين حينذاك فى الأناضول وشرقى المتوسط، إذ كانت مصر واقعة تحت نفوذ الهِكْسوس، واستطاع الملك الحثى الطموح خاتُّوشيلى الأول (١٦٥٠ – ١٦٢٠ ق.م) إلحاق الهزيمة بتحالف حكام سوريا الذين احتشدوا تحت قيادة ملك يَمْحاض، قائلاً: "عند جبال أدالور (أمانوس) ألحقتُ بهم الهزيمة، إلهُ الطقس وربُّ حلب أخذتُه إلى إلهة الشمس"٢.

ومع ذلك لم يستطع خاتوشيلى الأول احتلال مدينة حلب نفسها، لقد قام بتلك المهمة الملك الحثى مُورْشيلى الأول الذى اعتلى العرش سنة (١٦٢٠ ق.م)، وهو حفيد خاتُّوشيلى الأول، إنه هاجم مملكة يَمْحاض ثانية، واحتل حلب، وأنهى وجود المملكة، ولم يكتف

---

١ – أحمد هُبُّو: تاريخ الشرق القديم (سوريا)، ص ١٧٥.

٢ – المرجع السابق، ص ١٦٨ – ١٦٩.

بالتخلص منها، بل كان ذلك مدعاة له إلى الزحف شرقاً نحو بابل والقضاء على المملكة البابلية القديمة سنة (١٥٩٤ ق.م)، وأصبح الحثيون سادة سوريا الشمالية، فى حين كان الآشوريون يعتقدون أن منطقة الجزيرة السورية هى امتداد طبيعى وحيوى لبلادهم، ومع ذلك لم يدخل الطرفان فى صراع عسكرى١.

المِصْريُّون فى الجَنُوب:

مصر مملكة قديمة فى التاريخ، وصحيح أنها تقع فى الزاوية الشمالية الغربية من قارة إفريقيا، لكنها على تماسّ مباشر مع قارة آسيا من خلال صحراء سِيناء، وكلٌّ من يتتبّع تاريخ مصر القديم وحتى بدايات القرن العشرين، يجدْ أنها كانت تتفاعل سياسياً واقتصادياً وثقافياً مع غربى آسيا، بدءاً من فلسطين وسوريا، وانتهاءً بالأناضول فى الشمال وبلاد الرافدَين فى الشرق، كما أنها كانت تتفاعل سياسياً وحضارياً مع بلاد اليونان والجزر التابعة لها مثل جزيرة كِريت؛ لأن الثقل الحضارى فى العالم القديم كان فى غربى آسيا فى الدرجة الأول، وفى بلاد اليونان فى الدرجة الثانية، أما قارة إفريقيا فكانت حينذاك فى الغاية من البدائية.

وقد أطلق المصريون القدماء على بلادهم اسم (كِمى) أو (قيمى) بمعنى السمراء أو السوداء لسُمرة التربة وخصوبتها، وسمّاها الإغريق (أجبتوس)Egybtos ، وسمّاها الآشوريون (مُوسيرى)، وسمّاها العبرانيون (مِصْرايِم). أما اسم (مِصْر) فأحدثه عمرو بن العاص قائد الجيش العربى الذى غزا مصر سنة (١٩/٢٠ هـــ = ٦٤٠ م)، إنه عسكر بجنده قرب حصن بابِلْيُون، وهو منطقة الأَزْبكِية حالياً فى القاهرة، ونصب هناك فِسْطاطَه (خيمته)، ثم أمر ببناء بلدة سمّاها (الفِسْطاط)، ثم مَصّرها؛ أىْ جعلها مدينة مركزية يُجبى خَراج إفريقيا إليها، لأن العرب كانوا يسمّون كل مدينة كبيرة تكون مركزاً لولاية (مِصْراً) والجمع أمصار، فسُمّيت (مِصْر) بمعنى المدينة الكبيرة المركزية، ثم أُطلق اسمها على البلاد كلها١.

---

١ - المرجع السابق، ص ١٤٧ — ١٥٩.

١ - فاضل عبد الواحد، وعامر سليمان: عادات وتقاليد الشعوب القديمة، ص ١٩٧، هامش (١). إيمانويل فلايكوفسكى: عصور فى فوضى، ص ٣٣٤. أحمد الدِّبْش: فرعون وموسى فى جزيرة العرب، ص ٤٨.

والأصل الإثنى (العرقى) لقدماء المصريين غير معروف بدقة، ومختلَف فيه، فثمّة من يرى أنهم جاؤوا من الشرق ومن الجنوب، ويميل بعض الباحثين إلى الرأى القائل بأنهم مولّدون من النوبيين والأحباش واللُّوبيين (الليبيين) من جهة ومن المهاجرين الساميين والآريين من ناحية أخرى١. وعلّموا الحضارة لمن كانوا فى البلاد وأخضعوها لسلطانهم. ويصفون الطريق الذى جاؤوا منه وصفاً غامضاً، لا نعرف عنه شيئاً، وقال وِل ديورانت فى هذا الشأن:

"وما من أحد يعرف من أين جاء هؤلاء المصريون الأوّلون، ويميل بعض العلماء الباحثين إلى الرأى القائل بأنهم مولَّدون من النُّوبيين والأحباش واللُّوبيين من جهة، ومن المهاجرين الساميين والأرمن من جهة أخرى"٢.

ولا يخلو قول ديورانت من هفوة، فقد سحب- مثل مؤرخين كثيرين- اسم شعب حديث على شعب قديم، ونقل عن "بعض العلماء الباحثين"- حسب قوله- أن "الأرمن" من أجداد المصريين الأوائل. والسؤال هو: كيف يكون الأرمن من جملة أجداد المصريين قبل (٣٠٠٠) عام ق.م، فى حين أن الأرمن دخلوا آسيا الصغرى فى القرن الثانى عشر ق.م قادمين من البلقان، واستقروا فى أرمينيا الحالية فى القرن السابع ق.م؟ والصواب أن الهِكْسوس (أقرباء الكاشّيين والحوريين) هم الذين غزوا مصر، وحكموها حوالى (١٥٠) عاماً، قادمين من المناطق الجبلية فى البلاد التى عُرفت بعد قرون كثيرة باسم (شمالى كوردستان) و(أرمينيا).

أما لقب (فِرْعَوْن) الذى يُطلق على ملك مصر فكان فى الأصل اسم قصر الحكم (البيت الأعظم) ويسمى (بِرْعا)، حيث تكون دواوين الحكومة، وأُطلق بعدئذ على الملك، وكان يسمّى باللغة المصرية (پيرو) Piro، وترجمه العبرانيون إلى صيغة بِرْؤو/بِرْعو (Pero)، ودخل إلى اللغة العربية بصيغة (فِرْعَوْن) بعد قلب الباء فاء (وتشبهها الصيغة الإغريقية فاراو)١.

ويرجع تاريخ الأسرة الملكية المصرية الأولى إلى حوالى (٣٠٠٠ ق.م)، ثم تتابعت الأسر الحاكمة، وهاجم الهِكْسوس مصر قادمين من غربى آسيا عبر فلسطين وحكموها نحو قرن

---

١ – ول ديورانت: قصة الحضارة ، مجلد١، جزء ٢١، بدران، ص ٦٥. أحمد فخرى: دراسات فى تاريخ الشرق القديم، ص ١٣٤ – ١٣٥.

٢ – ول ديورانت: قصة الحضارة، ٢/٦٥.

١ – أحمد الدِّبْش: فرعون وموسى فى جزيرة العرب، ص ٥٣، ٧٥. موريس كروزيه: تاريخ الحضارات العام، ٥٦/١. ول ديورانت: قصة الحضارة، ٩٣/٢.

ونصف بين (١٧٣٠ – ١٥٧٠ ق.م) مع اختلاف فى تحديد التاريخ، وكانت الأسر الحاكمة ١٥، ١٦، ١٧ من الهكسوس١.

وما يهمّنا الآن هو بعض ملوك الأسرة الثامنة عشرة الذين يبلغ عددهم (١٢) ملكاً، وقد قضى أوّل ملوكها أُحْمُس الأوّل (١٥٧٥ – ١٥٥٠ ق.م) على حكم الهكسوس، ولأن عدداً من أشهر ملوك هذه الأسرة عاصروا ظهور مملكة ميتّانى، وكانت لهم علاقات حرب ثم سلام مع هذه المملكة، وكان السبب على الدوام هو أن مصر استعادت فى ظل الأسرة الثامنة عشرة قوتها وطموحاتها الإستراتيجية للسيطرة على غربى آسيا حتى نهر الفرات، وعلى سواحل شرقى المتوسط خاصة، وسبق أن ذكرنا أهمية هذه المنطقة على الصعيد الجيوسياسى والاقتصادى (التجارى) خاصة.

– – – –

وجملة القول أن سوريا وفلسطين كانت محطة انتقال والتقاء ومفترق طرق، يرتكز على شبكة متشعّبة من الطرق المتقاطعة طولاً وعرضاً، لتخدم التجارة الدولية؛ فمن ناحية كانت تجتازها طرق التجارة الدولية الواصلة بين وادى النيل ومنطقة الفرات وآسيا الصغرى، ومن ناحية أخرى كانت تجتازها طرق القوافل الواصلة إلى مناطق شبه الجزيرة العربية حتى أرض سَبَأ فى اليمن جنوباً، وتمرّ بسواحلها الطرقُ البحرية التى تقود إلى المدن الساحلية المزدهرة، وخاصة الساحل الفينيقى٢.

لذلك لا عجب فى أن تكون سوريا طوال تاريخها ساحة للصراع الحادّ بين القوى الإقليمية المجاورة، بدءاً من الأكّاديين ثم البابليين ثم الآشوريين من الشرق، والحوريين/الميتّانيين من الشمال الشرقى، والحثّيين من الشمال، والمصريين من الجنوب، وكانت كل واحدة من هذه القوى تعمل للسيطرة على سوريا لوفرة الأخشاب فى غاباتها من جانب، ولتأمين سلامة قوافلها التجارية من جانب آخر، وسيكون من المفيد أن نتناول علاقة الميتّانيين بسوريا ضمن هذا الإطار التاريخى.

---

١ – أرنولد توينبى: تاريخ البشرية، ١٩٨٨، ١٢٤/١ – ١٢٥. أبراهام مالمات، وحاييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل، ص ١٢١. إسرائيل فنكلشتاين، و نيل أشر سيلبرمان: التوراة اليهودية، ص ٩٠. جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٥١، وهامش (٢). إبراهيم الفنّى: التوراة، ص ٣٣.

٢ – أبراهام مالمات، وحاييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل، ص ٦٥. إسرائيل فنكلشتاين، ونيل أشر سيلبرمان: التوراة اليهودية، ص ٧١.

٢
نَشْأة مَمْلَكَة مِيتّانى وازْدهارُها

طَوْرُ النَّشْأة والتّأسِيس:

ما زال تاريخ بدايات مملكة ميتّانى غامضاً، ويستفاد من المصادر التاريخية أنهم برزوا- كقوة سياسية وعسكرية- منذ منتصف الألف الثانى قبل الميلاد، وحصل ذلك فى سياق الحملات الحثّية العسكرية على المرتفعات الجبلية فى الأناضول، وسهول كِيليكْيا، ومدن شمالى سوريا الواقعة بين منعطف الفرات والبحر الأبيض المتوسط، نظراً لغناها الاقتصادى وأهميتها فى مجال التجارة الخارجية، وقد حرص ملوك الإمبراطورية الحثّية القديمة (١٦٠٠ – ١٣٨٠ ق.م) على أن يُلحقوا تلك المناطق بدائرة نفوذهم، ولا سيّما الملك الحثّى خاتّوشيلى Hattushilis الأول (١٥٧٠ – ١٥٣٠ ق.م)، وابنه الملك مورشيلى Murshilish الأول (١٥٣٠ – ١٥١٠ ق.م)[١].

وحينما يتفحّص المرء المعلومات المتعلقة ببدايات نشأة مملكة ميتّانى، يتبيّن له- من خلال بعض الأدلة المتوافرة- أنه لم تكن قُبيل القرن السادس عشر ق.م مملكة حورية مركزية كبرى، تبسط سلطتها على جميع الأراضى الحورية، وإنما كانت توجد ممالك متعددة متنافسة، وكانت

١ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٥٢. توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٢٧١.

مملكة ميتّانى فى الأصل واحدة من تلك الممالك الحورية المتنافسة، ويبدو أن مملكة ميتّانى فى أوج قوتها سيطرت على تلك الممالك الحورية، ودمجتها فى مملكة واحدة١.

ومعظم المعلومات التى وصلتنا تفيد أن مملكة ميتّانى لم تبدأ من الصفر، إنها نشأت على أرضية جغرافية وثقافية وسياسية حورية، ووظّف الزعماء الميتّانيون الطموحون الرصيدَ الحورى من حيث الانتشار الجغرافى والحضور السياسى والثقافى غربى آسيا، لإقامة مملكة باسم ميتّانى، لكن بخلفية وبأرضية حورية عريقة. وقد قال الدكتور توفيق سليمان بشأن القبائل الحورية–الميتّانية:

"وعلى مر الزمن استملكت هذه القبائل بعض المناطق فى الأراضى العَمورية، ثم اغتنمت فرصة تدمير حَمورابى مملكة مارى، فوسّعت مناطق انتشارها، وزادت تثبيت نفوذها فى المنطقة. وما أن سقطت العاصمة البابلية فى يد الحثيين حوالى عام (١٥٣٠ ق.م) حتّى كانت هذه القبائل قد أسّست مملكة تُعرف باسم المملكة الحورية– الميتّانية، وعاصمتها (واشُوكانّى) التى لم يُعثَر على موقعها حتى الآن، وكان المصريون ويطلقون على المنطقة الحورية — الميتّانية (اسم نَهارينا)، وأسماها البابليون (خانيجالبات)"٢.

وقال الدكتور أحمد فخرى يعرّف بمملكة ميتّانى:

"لم يمض غير وقت قليل حتى صار اسمهم (مملكة ميتّانى) التى بسطت نفوذها على شمال بلاد الرافدين (المنطقة المعروفة الآن باسم كوردستان)، وعلى وديان شمال جبال زاغروس، وصارت وجهاً لوجه أمام دولة آشور، وأصبحت خطراً حقيقياً عليها. ووصلت هذه المملكة الجديدة إلى أوج عظمتها فى منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد (حوالى ١٤٥٠ ق.م)، وتحالفَ ملوكها مع فراعنة مصر وصاهروهم"٣.

وقد تعرّضت الإمبراطورية الحثّية القديمة للضعف، نتيجة الصراعات على العرش، فقد اغتيل الملك مورشيلى الأول عام (١٥١٠ ق.م)، وفى عهد خلَفه وعديله خانتيلى الأول (١٥١٠ – ١٤٩٠ ق.م)، فقد الحثيون سيطرتهم على شمالى سوريا، وعمّ الانحلال قلب الأراضى الحثّية، فاغتنم الحوريون– بقيادة الميتّانيين– الفرصة، فدعموا نفوذهم فى شمالى

---

١ – هارى ساغز: عظمة آشور، ص ٥٧.

٢ – توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣١٢.

٣ – أحمد فخرى: دراسات فى تاريخ الشرق القديم، ص ٢٠٢.

سوريا، وخلال ربع قرن تدهورت أوضاع المملكة الحثّية، وكثرت المؤامرات الداخلية، وتعاقب أربعة ملوك على العرش، كان آخرهم الملك تيليبينو (١٤٦٥ – ١٤٥٠ ق.م)، وهو آخر ملك حثّى قوى فى المملكة الحثّية القديمة، وخلَفه بعد وفاته ملوك عديدون، ونشب الصراع بين أفراد الأسرة الحاكمة، وفقدت المملكة الحثّية سيطرتها على مقاطعات شمالى سوريا، وانتعشت المملكة الحورية ثانية بقيادة الطبقة الحاكمة الميتّانية[١].

وعلى ضوء هذه المعطيات يرى بعض الباحثين أن الميتّانيين ورثوا مكانة الحثيين فى سوريا بدءاً من الربع الثانى من القرن الـــ ١٤ ق.م، وحتى نهاية انهيارها قرابة عام ١٢٠٠ ق.م، وأن مملكة ميتّانى الحورية كانت تنمو على حساب تقلّص نفوذ الحثيين[٢]، ويقول الدكتور أحمد ارحَيِّم هُبُّو بشأن إفادة الميتّانيين من الظروف الإقليمية:

"وقد أفاد الميتّانيون من الظروف التى كانت تسود غربى آسية (انكفاء بابل على نفسها بعد توصّل الكاشّيين إلى حكمها، وتضعضع دولة الحثيين، وضعف آشور وانزواؤها)، وشرعوا باتّباع سياسة توسعية تضمن لهم دوراً رئيساً فى تقرير مصير الشرق القديم، وعندما عادت قوة المنطقة القديمة إلى وضعها السابق، ودبّت فى أَوْصالها روح النشاط من جديد، كانت دولة حورى- ميتّانى قد متّنت أسس كيانها، ووصلت إلى درجة من القوة العسكرية جعلتها تنتقل إلى دور جديد من سياسة التوسع وفرض النفوذ على المناطق المتاخمة لها"[٣].

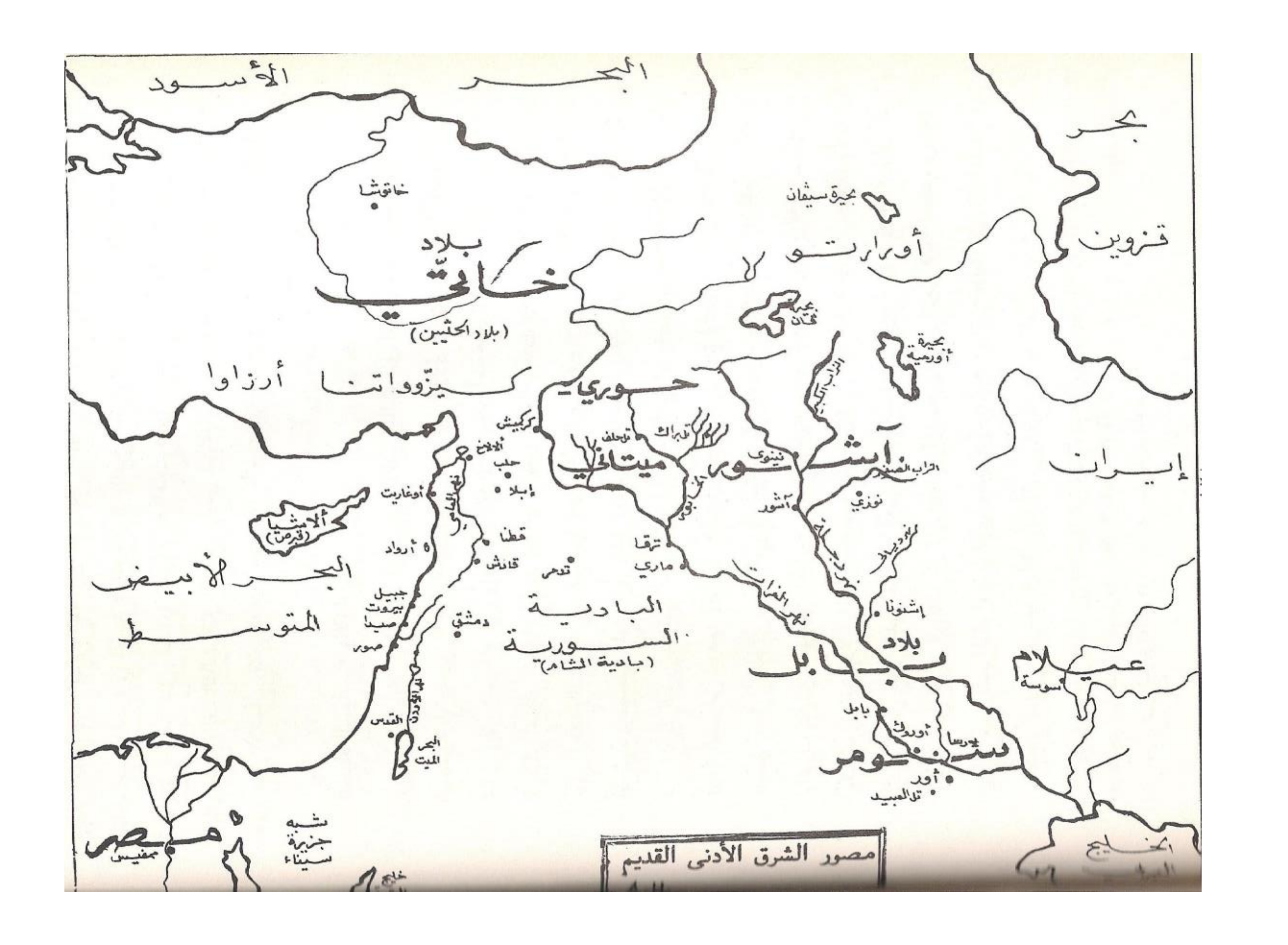
والحقيقة أنّ ضعف الدول والأمم المجاورة هو أحد عوامل انتصار دولة ما أو أمّة ما، وانتقالها إلى طور التوسع، لكنه قطعاً ليس العامل الأوحد، وإنما ينبغى أن نأخذ العامل الذاتى (الداخلى) أيضاً بالحسبان، بل إن العامل الذاتى يشكّل فى كثير من الأحيان هو العامل الأكثر فاعلية فى هذا المجال، ونقصد بالعامل الذاتى ظهور نخبة واعية ونشيطة ذات مشروع نهضوى، توحّد جماهير الأمّة تحت راية ذلك المشروع، وتثير الحماس فيها، وتقودها إلى طور القوة.

---

١ – هارى ساغز: عظمة آشور، ص ٥٤. توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٢٧١ – ٢٧٤.

٢ – أبراهام مالمات، وحاييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل ص ٧٢. وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٨٣/١.

٣ – أحمد هُبّو: تاريخ الشرق القديم، ص ١٧٠.


البحر الأسود
بحر قزوين
خاتوشا
بحيرة سيفان
أورارتو
بلاد خاتي
(بلاد الحثيين)
كيزووا تنا
أرزاوا
بحيرة فان
بحيرة أورمية
حوري
كركميش
حلب
إبلا
أوغاريت
ميتاني
آشور
نينوى
نوزي
إيران
الاشيا (قبرص)
أرواد
قطنا
قادش
تدمر
ترقا
ماري
البحر الأبيض المتوسط
جبيل
بيروت
صيدا
صور
دمشق
البادية السورية
(بادية الشام)
نهر الفرات
إشنونا
بلاد بابل
عيلام
سوسة
بابل
أوروك
سومر
أور
تل العبيد
القدس
البحر الميت
شبه جزيرة سيناء
مصر
ممفيس
مصور الشرق الأدنى القديم

وعلى سبيل المثال ليس من الواقعية إهمال دور نُخَب ميديا فى قيام مملكة ميديا بقياد دَياكو (دَهْياكو) وانتصارها على مملكة آشور، وليس من الواقعية إهمال دور نُخب العرب بقيادة النَّبىّ محمد ومن بعده بقيادة الخليفتين أبى بكْر وعُمر بن الخَطّاب فى توحيد العرب، وقيادتهم إلى الانتصار على إمبراطوريتى فارس والروم. وكذلك الأمر بالنسبة إلى مملكة ميتّانى الحورية، إذ لا بد أن ثمة عوامل ذاتية اجتماعية واقتصادية وعسكرية داخلية كانت وراء نهوض الحوريين، وانضوائهم تحت راية مملكة واحدة على خلاف عادتهم، ونعتقد أن طبقة الفرسان المعروفة بـــ (مارينو= ماريانو) كانت من أبرز هذه العوامل الذاتية[1].

طَوْرُ القُوَّةِ والتَّوَسُّع:

بلغ الميتّانيون ذروة المجد فى بداية القرن الرابع عشر ق.م، واتخذوا مدينة آشُوكانى (واشُّوكانى/ وَشُوكّانّى) Washukkanni عاصمة لهم، وهى لمّا تُكتشف بعدُ، ويُعتقَد أنها تقع على الخابور الأعلى، وتحديداً فى موقع (تل الفخّارية) Tell- Fekheriya الواقع حالياً على نهر الخابور فى شرقى گوزانا المعروفة باسم (تل حَلَف)، وهو التل المجاور لمدينة (رأس العين) الواقعة فى المنطقة الكوردية بشمال شرقى سوريا، وتحديداً قرب نهر الخابور على الحدود التركية- السورية. ورجّح جِرْنوت فيلْهِلْم أن مكان آشوكانى يقع فى منطقة أبعد شمالاً؛ أى فى نواحى مارْدِين، وعلى الأرجح فى غربى أو شمال غربى مارْدِين. وجدير بالذكر أن آشوكانى يعنى بالكوردية (نبع الطاحونة)، وقد سُمّيت فى العهد الآشورى (سِيكانى) Sikani، وتعنى بالكوردية (الينابيع الثلاثون)[2].

وبسط الميتّانيون سيطرتهم نحو الشرق باتجاه آشور (كانت تسمّى سُوبارْتو) ونحو المناطق الواقعة شرقى دجلة حتى جبال زاغروس ومنطقة أرّاَبْخا (كركوك حالياً)، ونحو الشمال فى

---

١ – المرجع السابق، ص ١٧٠.

٢ – وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٦٢/١. جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٦٢. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٧٧. جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٢٤٧/٢، ٢٤٨. محمد أبو المَحاسِن عُصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص ٢٩٢.

المنطقة التى سُمّيت بعد ذلک أرمينيا، وفى الغرب مدّوا نفوذهم إلى سوريا حتى البحر الأبيض المتوسط، قال جِرْنوت فيلْهِلْم مؤكّداً اتّساع ممتلكات الدولة الحورية- الميتّانية:

"تَكْثُر المصادر التاريخية، بدءاً من أواخر القرن الثامن عشر ق.م؛ ولا سيّما فى عهدى شَمْشى أَدَد ملک آشور، وحَمُورابى ملک بابل، وأبرزُها الوثائق المكتشَفة فى مملكة مارى الفراتية، وهى تقدّم لنا صورة شاملة عن وجود دولة حورية كانت تمتد من شمالى سوريا وشمالى بلاد الرافدين، حتى منطقة شرقى دجلة وجبال زاغروس. إن تمييزَ هذه الدولة ووصفَها بـــ (الحورية)، يعتمد على حورية أسماء ملوكها، وعلى حقيقة ملاحظة أن قسماً كبيراً من السكان كان يتحدث باللغة الحورية؛ وذلک اعتماداً على إحصاء أسماء الأشخاص المقيمين فى تلک المنطقة الواسعة الواقعة جنوبى السلسلة الجبلية العالية (طوروس)"١.

ويقول جورج رُو بشأن مملكة ميتّانى: "تتوفّر براهين كافية لأنْ تَحملنا على الاعتقاد بأن كافّة ملوک آشور الذين حكموا بين أعوام (١٥٠٠ – ١٣٦٠ ق.م)، كانوا خاضعين بالفعل لنفوذ المملكة الميتّانية، حيث يُعلمنا شاوشتّار [Saushshattar= ساوشّاتّار] بأنه غزا آشور، عندما تجرّأ أحد ملوكها على إعلان عصيانه، ونقل منها باباً إلى عاصمته واشوكانى صُنع من ذهب وفضة"٢.

وتفيد المصادر أنه فى الفترة الواقعة بين (١٤٥٠ – ١٣٧٥ ق.م)، كان ملوک آشور ملوكاً بالاسم فقط، فكان آشور رابى، وآشور نيرارى الثالث، وكذلک ولدا هذا الأخير آشور بيلنيشيشو، وآشور ريمنيشوشو، أتباعاً لملوک ميتّانى٣.

واتّسعت مناطق نفوذ مملكة ميتّانى نحو الغرب حوالى (١٤٧٠ ق.م)، وشملت مملكة حلب، وذلک فى الفترة التالية لاحتلال الملک الحثّى مورشيلى الأول لها، كما استطاعت مملكة ميتّانى أن تُخضع لحكمها دويلات وممالک صغيرة فى الغرب، ومنها مملكة مُوكِيش (أَلالاخ) التى كانت حدودها تبلغ شواطئ المتوسط. ويذكر جين بوترو وزملاؤه أنه فى أواسط الألف الثانى ق.م، و"من البحر المتوسط شرقاً إلى نُوزى [= قرب كركوک] كان كل

١ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٤٠.

٢ – انظر جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٦٢. محمد بَيُّومى مَهْران: تاريخ العراق القديم، ص ٣٤٣ – ٣٤٤. جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٢/٢٤٣، ٢٥٠.

٣ – جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٢/٢٥١.

شيء ضمن دولة واحدة؛ وهى الإمبراطورية الميتّانية التى حكم فيها طبقة عليا من الهندو-أوربيين شعباً من الخوريين"١.

وقال الدكتور محمد بَيُّومى مَهْران بشأن مملكة الميتّانيين:

"وأقاموا دولة قوية هى (الدولة الميتّانية)، واتخذوا من مدينة (واشوكّانّى) Washukkanni عاصمة لهم، وهى (تل الفخارية) Tell- Fekheriya الحالية، وقد استغلت الدولة الميتّانية ضعف الإمبراطورية الحيثية وانقساماتها الداخلية، فمدّت نفوذها على المناطق الواقعة فيما بين بحيرة (وان) Lake Van وأواسط الفرات، ومن جبال زاغروس وحتى الساحل السورى، وكانت بلاد آشور من المناطق التى وقعت تحت نفوذها وسيطرتها المباشرة، ومع ذلك ذكرت قائمة الملوك الآشوريين أسماء عدد من الملوك الذين حكموا فى بلاد آشور فى فترة السيطرة الميتّانية، وربما كانوا ملوكاً محلّيين تابعين للملوك الميتّانيين المحتلين"٢.

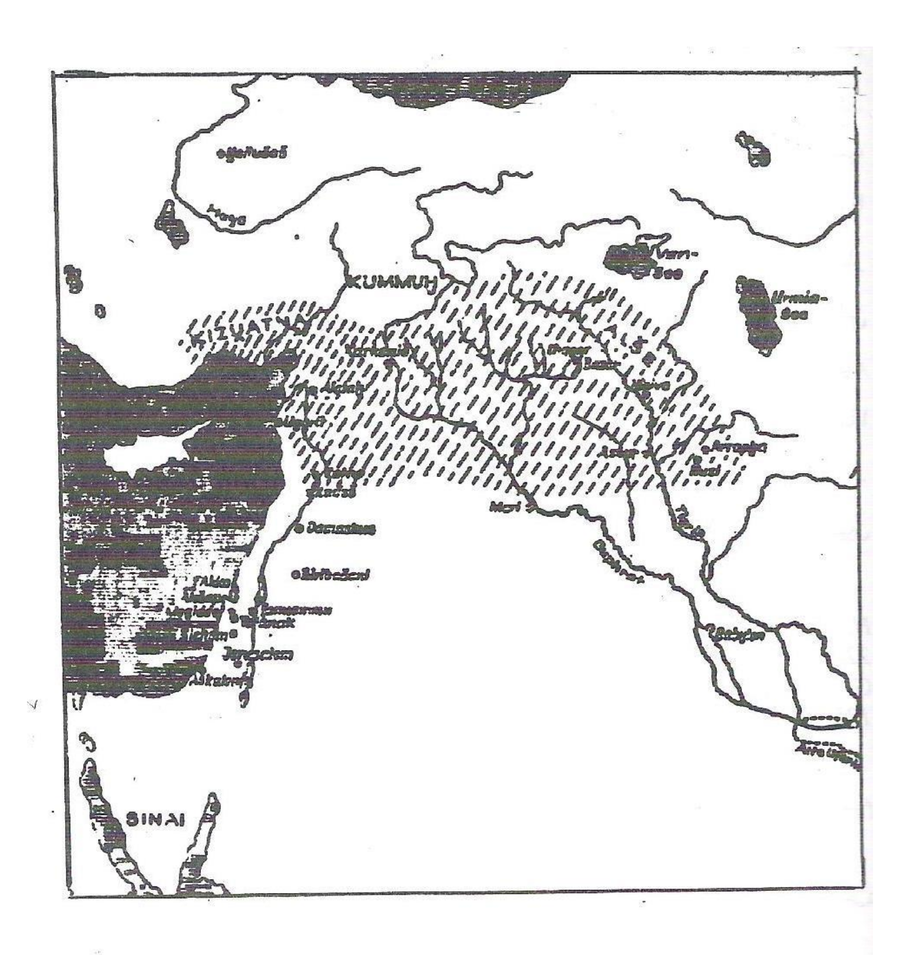
وذكر الدكتور جمال رشيد أحمد: "أن الإمبراطورية الميتّانية شملتْ فى أَوْج عَظمتها المقاطعات الواقعةَ بين سفوح جبال زاغروس، وسواحل البحر الأبيض المتوسط (كوردستان الجنوبية والوسطى والغربية)، وما اكتشافُ خاتم (مُهْر) ساوشّاتّار الملكى لتذييل الوثائق الإدارية بين مخلَّفات مدينة نُوزى، إلا دليلٌ على انتشار الآريين فى كل هذه المناطق التى نشأت فيها عن طريقهم أُولى بوادر القومية الكوردية"٣.

---

١ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٥٩. جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكِّرة، ص ٢٠١. محمد حرب فَرْزات، عيد مَرْعى: دول وحضارات الشرق العربى القديم، ص ١٦٥.

٢ - محمد بيُّومى مَهْران: تاريخ العراق القديم، ص ٣٤٣ – ٣٤٤.

٣ - جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٢٥٢/٢.



الأراضي التي إحتوتها مملكة ميتـانـي

وكانت نُوزى، خلال القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق.م، مقرّاً هامّاً للحكم فى مملكة ميتّانى، وكانت عاصمة سَاوشّاتّار هى مدينة وَشّوكّانّى، ويُعتقد أن هذا الاسم تطور إلى وُشُّوكّانى، ثم إلى سِيكانى، ويذكر اسم سِيكانى فى نقش آشورى، ويوصف بأنه اسم مدينة تقع عند (رأس نبع الخابور)؛ وهذا يعنى عند مدينة (رأس العين) الحالية، وبذلك يمكن الجزم بوجود مدينة سيكانى فى (تل فَخارية) أو فِخَيْرية[١].

وقال جرْنوت فيلْهِلْم بشأن توسّع نفوذ مملكة ميتّانى: "اتّسعت مناطق نفوذ مملكة ميتّانى نحو الغرب فى حوالى (١٤٧٠ ق.م)، وشملت مملكة حلب التى كانت قد استقلت ثانية خلال فترة حكم ملوكها الثلاثة (شَرَّ إيل، أبّا إيل، إليم إيليمّا)، وذلك فى الفترة التالية لاحتلال الملك الحثّى مورشيلى الأول لها، كما استطاعت أن تُخضع لحكمها دويلات صغيرة فى الغرب مثل: نِيّا Neyya، وأَمَأُ، ومُوكِيش (أَلالاخ) التى كانت حدودها تبلغ شواطئ المتوسط"[٢].

وقال الدكتور أحمد هُبُّو: "اتّسع نفوذ الميتّانيين فى الشرق الأدنى القديم، وغدت دولتهم قوة كبرى فى المنطقة، وضايقوا الآشوريين جيرانَهم فى الشرق، والحثّيين (الخاتيين) فى الشمال"[٣].

وقد تمكّن الملك الميتّانى پاراتّارنا Parattarna أن يمدّ مناطق نفوذ مملكة ميتّانى شرقاً إلى بلاد الرافدَين، وشمالاً إلى المنطقة التى سُمّيت بعدئذ أرمينيا، وبلغت قوة مملكة ميتّانى درجة أنها كانت تفرض نفوذها على المناطق والممالك المجاورة، وقد مرّ أن مملكة مارى كانت قد فقدت كثيراً من رونقها ونفوذها بعد أن دمّرها الملك البابلى الشهير حَمُورابى (عَمُورابى)، وكان من السهل على الميتّانيين أن يلحقوها بمملكتهم، فهى كانت تقع على الفرات، وعلى أحد الطرق التجارية الهامة التى تصل بين بلاد الرافدَين شرقاً والأناضول شمالاً وسواحل البحر المتوسط غرباً، وكانت فى الوقت نفسه جزءاً من المنطقة التى سُمّيت بعدئذ (الجزيرة

---

١ – أبراهام مالمات، وحاييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل، ص ١١٨. جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٦٢.

٢ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٥٩ – ٦٠.

٣ – أحمد هُبّو: تاريخ الشرق القديم (سورية)، ص ١١٨.

السورية)، والتى كانت موطن الحوريين الأساسى، منذ أن بدأوا انتشارهم غرباً منذ مطلع الألف الثانى ق.م، وما زالت موطن أحفادهم الكورد١.

وذكر هارى ساغز أن سيطرة ميتّانى امتدّت عبر بلاد آشور حتى زاغروس، وإلى الجنوب الشرقى من زاغروس، لتشمل منطقة كركوك الحالية، وهناك شواهد على وجودٍ نفوذ ميتّانى فى آشور فترة طويلة، وكان ملوك آشور تابعين لمملكة ميتّانى، و لم يكن حكمهم إلا بالاسم فقط٢.

لقد قال جِرْنوت فيلْهِلْم: "أعاد سوشْتَتَر [ساوشّاتّار] توحيد مملكة ميتّانى المضطربة، واحتل آشور التى كانت تفكر فى الاستقلال، ولذلك عقدت معاهدة التحالف مع مصر، كما فرض نفوذه على بلاد مُوكيش (ألالاخ) الممتدة حتى البحر المتوسط، وعلى أُوغاريت، وعلى مملكة كيزُّوفَّتْنا الواقعة فى كيليكيا، وشمل نفوذه حلب، وفى الشرق مَلَك أرّابْخا، وبذلك فإن مناطق نفوذه امتدّت من جبال زاغروس حتى البحر الأبيض المتوسط، وشمل كلَّ المناطق الحضارية الناطقة باللغة الحورية"٣.

وقال الدكتور توفيق سليمان بشأن مملكة ميتّانى: "وكان نفوذ هذه المملكة يَقوى ويتعاظم كلما ضعفت سلطة المملكة الحثّية، ... وقد بلغت ذروتها حوالى عام (١٤٥٠ ق.م)، خلال عهد الملك شاوشّاتار [=ساوشّاتّار]، إذ امتدت من أرّابْشا [=أرّابخا] فى مقاطعة كركوك الحالية شرقاً حتى إمارة مُوكيش بالقرب من حلب غرباً، ووصل عن هذا الملك أنه شنّ حرباً خاطفة ضد جيرانه الآشوريين فى الشرق، واحتل عاصمتهم آشور، ونهب معابدها، وعاد إلى عاصمته واشوكانّى محمَّلاً بغنائم الحرب، ومن بينها باب مرصَّع بالذهب والفضة"٤.

---

١ – جرنوت فلهلم: الحوريون، ص ٥٩، ٦٢. توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣١٣. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٧٨. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص ٥٦٣.

٢ – هارى ساغز: عظمة آشور، ص ٥٥، ٥٦.

٣ – جرنوت فلهلم: الحوريون، ص ٦٢.

٤ – توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣١٣، ٣١٩.

٣
النُّفُوذُ المِيتَّانى فى سُوريا

هل كان كافياً أن تبسط مملكة ميتّانى نفوذها على طرق التجارة الإقليمية فى شرقى ميثوپوتاميا فى منطقة الجزيرة السورية؟ أليس من لوازم بقائها قوية عسكرياً أن تكون قوية اقتصادياً؟ أليس من لوازم بقائها قوية اقتصادياً أن تسيطر على الطرق التجارية المتجهة عبر شمال شرقى سوريا نحو الأناضول شمالاً، ونحو سواحل شرقى المتوسط غرباً؟ أليس عليها تأمين سلامة حركة قوافلها التجارية فى هذه الاتجاهات، وعدم تركها تحت رحمة الممالك الأمورية فى الداخل السورى، وتحت رحمة الحثيين شمالاً والمصريين جنوباً؟

النّفوذُ المِيتّانى فى يَمْحاض وألالاخ:

كان حتماً على مملكة ميتّانى أن توجّه قواها كى تعبر نهر الفرات، وتبسط نفوذها على شمالى سوريا باتجاه البحر المتوسط، وجنوباً باتجاه الداخل (منطقة حِمْص) فى وسط سوريا، ومنطقة عقدة المواصلات المتجهة جنوباً نحو دمشق وفلسطين، ومن ورائها نحو مصر، وهذا يعنى أنه كان حتماً عليها الاصطدام بمملكة يَمْحاض (يَمْحَد) وعاصمتها حلب، أقوى ممالك الأموريين فى شمالى سوريا، وقد مرّ أن نفوذ مملكة يَمْحاض تَنامى تحت سلطة ملكها يَريم لِيم، وسيطرت على كَرْكَميش (بوّابة الأناضول) شمالاً، وعلى ألالاخ (بوّابة سواحل شرقى المتوسط) غرباً، وشهدت قدراً كبيراً من الازدهار الاقتصادى، واستمر الوضع كذلك فى عهد حمورابى الأول بن يَريم لِيم، وفى عهد ملكها الثالث أبّا إيل Abba el ابن حمورابى الأول، إلى أن ظهر الحثيون فى آسيا الصغرى، وتطلّعوا إلى التمدّد جنوبى جبال طوروس١.

---

١ - أحمد هُبُّو: تاريخ الشرق القديم (سوريا)، ص ١٦٨ – ١٦٩.

ويبدو أن مملكة ميتّانى لم تتدخّل مباشرة فى مملكة يَمْحاض، وإنما استقطبت أنصاراً لها فى حلب عاصمة المملكة، ولا ريب فى أنهم كانوا من الأسرة المالكة، أو من الشخصيات ذات النفوذ فيها، ودفعتهم إلى الثورة على حاكمها إدْريمى Idrimi بن إيليميليمّا Ilimilimma، فاضطر هذا الأخير إلى الهرب من حلب بأسرته إلى إيمار Emar (مَسْكَنَة- حالياً)، لكنه غادرها بعد وقت قصير، بعد أن خذله إخوته، وهذا يعنى أن النفوذ الميتّانى فى المنطقة كان أقوى من أن يُقاوَم، وبعد سبع سنوات قضاها إدْريمى مشرَّداً بين بدو يُسمَّون (سوتو)، وهم الذى يسمّيهم المؤرخون (أحلامو، وآرامى)، وبين جماعات عُرفوا بـــ (عَبيرو) يذكر المؤرخون أنهم العبرانيون، تلقّى أخباراً شجّعته على التوجّه نحو ألالاخ، قائلاً، وذكر ذلك قائلاً:

"عبرتُ البحر إلى بلاد مُوكيش [عاصمتها ألالاخ]، ووصلتُ إلى أرض جرداء مقابل جبل خازى (الأقرع)، ونزلتُ إلى اليابسة، وعندما سمع أهل بلدى بوصولى قادوا إلىّ الثيران والخراف (تعبيراً عن مودّتهم لى)، وفى يوم واحد عادت إلىّ كل بلاد نيا Niya [Neya]، وبلاد أماؤو Ama'u، وبلاد مُوكيش Mukish، ومدينة ألالاخ عاصمتى"١.

وهذا يعنى أن إدريمى عاد إلى السلطة وخضعت له جميع المناطق التى كان والده يحكمها ما عدا حلب، وكانت مناطق نفوذه تشمل بلاد مُوكيش التى تصل أراضيها إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط فى الغرب، وبلاد نِيا Niya فى الجنوب التى تصل إلى حدود مدينة أَفامْيا على نهر العاصى، وتجاور بلاد نُوخاش فى الجنوب الشرق وتجاور دويلة كيزُّوواتنا التى عقد إدريمى مع حاكمها معاهدة حدودية بإشراف الملك الميتّانى باراتّارْنا Parattarna، ويُعتقَد أن حدود ألالاخ كانت تلامس حدود مملكة أوغاريت فى الغرب والجنوب الغربى.

ومع ذلك فإن إدريمى ما كان يستطيع أن يصبح ملكاً على ألالاخ قبل أن يحصل على موافقة الملك الميتّانى باراتّارْنا ويحوز على رضاه، ولذلك تفاهم مع الميتّانيين، وتخلّى عن حلب، لقاء بقائه حاكماً على ألالاخ وعلى المناطق التابعة لها، ولعل بداية عهد الأسرة الثامنة عشرة على الحكم فى مصر، وإحياء التوسع المصرى فى سوريا هو الأمر الذى دفع الملك الميتّانى إلى الإبقاء على إدريمى فى ألالاخ١.

---

١ - المرجع السابق، ص ١٧٦ – ١٦٨.

١ - أحمد هُبُّو: تاريخ الشرق القديم (سوريا)، ص ١٧٧. محمد حرب فَرْزات، عيد مَرْعى: دول وحضارات الشرق العربى القديم، ص ١٦٥.



سورية في الألف الثاني قبل الميلاد

وباتّباع سياسة المهادنة مع مملكة ميتّانى حقّق إدريمى الهدوء فى مملكة مُوكيش، وتوصّل إلى تثبيت حالة السلم عن طريق إقامة المعاهدات بينه وبين جيرانه الحوريين فى الشرق ممثَّلين بالملک الميتّانى پاراتّارنا الذى يسمّيه إدريمى "الملک القوى، ملک القوات الحورية" معترفاً بسيادته العليا، وعقد اتفاقية مع بيلييّا ملک دويلة كِيزُّوواتْنا Kizzuwatna الفاصلة بين مملكة مُوكيش والحثيين فى الشمال، ويبدو أنه عقد هذه الاتفاقية بعد توقيع اتفاقيته مع مملكة ميتّانى؛ إذ أُشير فيها إلى اتفاقيته مع باراتّارنا فى بداية القرن الخامس عشر ق.م١.

وبقى نفوذ دولة ميتّانى بارزاً فى عهد نيقْميبا بن إدريمى، بل يتضح من الوثائق أن الملک الميتّانى كان المرجع الأعلى فى معظم القضايا السياسية والاقتصادية، إذ يَظهر ختمُه الخاص على عدد من الوثائق لتأكيد سلطانه، وخاصة فى عهد الملک الميتّانى ساوْشّاتّار الذى كان يتدخّل فى جميع الأمور السِّيادية، وتكون على صلة بالمناطق المحيطة بمملكة مُوكيش، إنه كان يحكم فى القضايا التى تُعرَض عليه فى هذا الشأن، ومنها قضايا كان المواطنون يرفعونها إليه ضد الملک نيقميبا نفسه، لكن هيمنة الملک الميتّانى لم تصل إلى الدرجة التى صارت إليها بعدئذ هيمنة ملوک الحثيين على تابعيهم من الحكام السوريين لاحقاً، وكان بإمكان ملک ألالاخ التصرف بحرية محدودة، كأن يعقد اتفاقية سياسية واقتصادية مع جاره فى الجنوب حاكم تُونيب، تنصّ على حق اللجوء السياسى لمواطنيها وللاجئين عامة، وتعالج قضايا الاعتداء الشخصى والسرقات وغيرها من الأمور ذات العلاقة بالجوار، ومع ذلک فإنه ما كان يغفل الإشارة فى هذه الاتفاقيات إلى سيادة الملک الميتّانى٢.

ويبدو أن الملک نيقميبا كان استمراراً لعهد والده إدريمى من حيث الاستقرار السياسى والازدهار الاقتصادى والتبعية لجيرانه الميتّانيين، وبما أن مملكة مُوكيش كانت واقعة على تخوم مناطق النفوذ المصرى فى وسط سوريا، كان من الطبيعى أن تتأثّر بالصراع الميتّانى- المصرى، حينما عملت مصر لتوسيع نفوذها فى شمالى سوريا خلال عهد الأسرة المالكة الثامنة عشرة، وخاصة منذ عهد الفرعون تُحوتْموس الأول (١٥٢٨ – ١٥١٠ ق.م.)، وبعدئذ فى عهد حفيده تُحوتْموس الثالث (١٤٦٨ – ١٤٣٦ ق.م)، وإن اسم ألالاخ يَرِد بين أسماء المدن التى كان عليها أن تدفع الجزية إلى مصر بعد قيام تُحوتْموس الثالث بحملته الثالثة عشرة على شمالى

---

١ – أحمد هُبُّو: تاريخ الشرق القديم (سوريا)، ص ١٧٨.

٢ – المرجع السابق، ص ١٨٠.

سوريا فى العام الثامن والثلاثين من حكمه، وهذا دليل على أن ألالاخ صارت بين المناطق السورية الخاضعة للحكم المصرى فى عهد تُحوتْموس الثالث١.

لكن هذا الوضع لم يستمر طويلاً، فقد جنح الفرعون آمونْحوتَب الثانى خليفة تُحوتْموس الثالث إلى السلام مع مملكة ميتّانى كما سنرى، بعد أن تأكد من عدم جدوى الصراع بين المملكتين، وخاصة بعد نموّ القوة الآشورية فى الشرق، ونهوض القوة الحثية فى الشمال، وأدّى السلام بين مصر وميتّانى إلى التخفيف من وطأة الحكم المصرى فى الشمال، وعودة النفوذ الميتّانى من جديد بقوة إلى شمالى سوريا، وترسّخ ذلك النفوذ بعد اتفاق الجانبين المصرى والميتّانى على الصلح، وعلى عقد اتفاقية صداقة وتحالف ضد الحثيين فى عهد الفرعون المصرى تُحوتْموس الرابع والملك الميتّانى أَرْتاتاما٢.

وقد تولّى الملك إيميليمّا الثانى الحكم فى مملكة مُوكيش بعد والده نيقيمبا، ولعله كان معاصراً للمك الميتّانى أَرْتاتاما، وللملك الحثى تُودْخاليا الثانى أو خليفته خاتوشيلى الثانى، وفى عهده كانت مملكة مُوكيش ما تزال مرتبطة بمملكة ميتّانى، لكنها ما كانت تعادى الدولة الحثية كعداء جارتها مملكة يَمْحاض للحثيين، وهذا دليل على أن مملكة يَمْحاض كانت أكثر وقوعاً تحت النفوذ الميتّانى، وأن مملكة مُوكيش كانت تتمتّع بقسط من الاستقلالية عن النفوذ الميتّانى، حتى إن إحدى الوثائق الكتابية فى ألالاخ تذكر زيارة الملك الحثى لألالاخ وتُونيب، مما يؤكد أن العلاقات الحسنة كانت سائدة بين ألالاخ والمملكة الحثية، ولعل ملك مُوكيش كان يتوخّى إقامة التوازن فى علاقاته مع القوتين الكبريين، والإفادة من العداوة بينهما لتأمين قسط من الاستقلال عنهما، وحماية بلاده من تدخلهما. وعلى العموم كان النفوذ الميتّانى أقل إضراراً باستقلال مملكة مُوكيش وسيادتها من النفوذ الحثّى، وأبرز دليل على ذلك أنه بمجرد قيام الملك الحثى شوبيلوليوما بتقليص النفوذ الميتّانى، تدخّل بقوة فى مملكة مُوكيش فى عهد ملكها الأخير إيتور أدّو خليفة إيميليمّا الثانى، وعزل إيتور أدّو، وقضى على استقلال مملكة مُوكيش، وأُلحقتها مباشرة بالمملكة الحثية٣.

---

١ - المرجع السابق، ص ١٨١.

٢ - المرجع السابق، ص ١٨٢.

٣ - المرجع السابق، ص ١٨٣.

النُّفُوذُ المِيتَّانى فى قَطَنا:

يبدو من سياق الأحداث أن ملوك ميتّانى كانوا ذوى بصيرة سياسية نفّاذة، إن الموقع الجيوسياسى لمملكتهم (التوسط بين بلاد الرافدَين شرقاً، والأناضول شمالاً، والبحر المتوسط غرباً، وفلسطين ومصر جنوباً) فرض عليهم أن يبسطوا نفوذهم على جميع المناطق والمنافذ التى تُوصل إلى هذه الجهات الإقليمية الرابع، بل كان يهمّها ألا تترك تلك المناطق والمنافذ تقع فى قبضة الدول المنافسة لها حينذاك (دولة آشور شرقاً، ودولة الحثيين شمالاً، ودولة مصر جنوباً)، ولذلك كان يهمّها أن يتمدّد نفوذها جنوباً إلى ما وراء أراضى مملكة أَلالاخ التابعة لها، كان يهمّها أن يصل نفوذها إلى سوريا الوسطى المتمثّلة الآن فى محافظة حِمْص.

كانت مملكة قَطَنا (قَطْنا) الأمورية تقع مملكة فى منطقة حِمص الحالية، إن موقع قَطَنا الآن يسمّى (تل المِشْرِفة)، وهو يقع على بعد (١٤) كم شمال شرقى مدينة حمص، وكانت قطنا تقع فى سهل خصب يجود المحاصيل الزراعية كبقية سهول شمالى سوريا، وكانت تقع على الطريق الرئيسة التى تصل شمالى سوريا بجنوبيها، ومن بعدُ بفلسطين ومصر، وكانت فى الوقت نفسه مركز تقاطع عرضانى يصل بلاد الرافدَين مباشرة عن طريق مارى وتَدْمُر عبر البادية السورية بمدن الساحل الشرقى للبحر الأبيض المتوسط، ومنها إلى جزر بحر إيجَه ومصر عن طريق البحر، ولذلك كانت قطنا تقوم بدور الوسيط التجارى[١].

وحينما بدأت مملكة ميتّانى نهوضها فى النصف الأول من الألف الثانى ق.م، ونافسها النفوذ المصرى فى وسط سوريا وشماليها، كانت مملكة قطنا تقع بين منطقتى نفوذ هاتين المملكتين، وبما أنها كانت متاخمة لمناطق النفوذ المصرى فى جنوبى سوريا، فإنها كانت عرضة للاحتكاك بالجيوش المصرية إبّان الحملات المصرية على سوريا فى عهود فراعنة الأسرة الثامنة عشرة، وخاصة فى عهد الفرعون آمُونْحُوتَب الثانى (١٤٣٦ — ١٤١٣ ق.م)، إن هذا الفرعون اشتبك مع قوات مملكة قطنا التى هاجمته حينما كان يهمّ بعبور نهر العاصى، وهذا دليل على أن مملكة قطنا ما كانت تعترف بالسيادة المصرية، بل كانت تقاومها، ويبدو أنه

١ - المرجع السابق، ص ١٨٧.

خلال عهد نهوض مملكة ميتّانى ما كانت مملكة قطنا تخضع لحكم الأسرة الأمورية التى ينتمى إليها ملكها القوى أموت بيئيل، بل كانت تخضع مثل مملكة يَمْحاض ومملكة مُوكيش للنفوذ الميتّانى، على الرغم من أن ملوكها كانوا ساميّين، ويحملون أسماء ساميّة، وفى بعض الفترات كانت تتأرجح بين النفوذين الميتّانى والمصرى، كما هى عادة المناطق التى تقع فى منطقة تقاطع نفوذين متنافسين١.

النُّفوذُ المِيتَّانى فى أُوغارِيت:

كانت مدينة أُوغاريت تقع على الساحل الشرقى للبحر الأبيض المتوسط، شمالى مدينة اللاذقية الحالية، وهى تبدو على علاقة طيبة مع بلاد الرافدَين فى الشرق ومع مصر فى الجنوب، وقد نشأت فيها المَلَكية مع بداية الألف الثانى ق.م، ظهر ذلك فى رسالة من الملك حمورابى الأول ملك يَمْحاض إلى معاصره الملك زِيمْرى لِيم ملك مارى، ومن ملوك أوغاريت بحسب الترتيب الزمنى: أَمِّيستامْرو الأول، ونيقمادّو الثانى، وأَرْخالْبا، ونِيقْمِيا، وأمِّيستامْرو الثانى، وإبيرانو، ونيقمادّو الثالث، وحمورابى، وقد انتهت أُوغاريت إلى الدمار فى الربع الأول من القرن الثانى عشر ق. م، وكان ذلك فى الأرجح على أيدى شعوب البحر أو نتيجة لتعرضها لكارثة طبيعية حسبما يرى بعض المؤرخين٢.

إن موقع أُوغاريت على ساحل البحر الأبيض المتوسط كان يضمن لها القيام بدور الوسيط التجارى بين الشعوب المطلّة على هذا البحر، وكانت السلع التجارية تصلها عن طريق البحر من مدن الساحل السورى، ومن مصر، وكِريت، وقُبرص، وسواحل كيليكيا، وجزر بحر إيجَه، وبلاد اليونان، وكانت السفن تصل إلى مرفئها (مدينة البَيْضا- حالياً) من جميع هذه الجهات. إن تجّار أوغاريت والتجّار الأجانب المقيمين فيها كانوا ينقلون السلع عن طريق البر عبر سهل العَمْق إلى حلب، ومنها إلى إيمار (مَسْكَنَة- حالياً) وكَرْكَميش على نهر الفرات، ومنها كانت تُنقَل إلى بابل وآشور شرقاً عبر النهر أو عبر البرّ من مارى. وكانت هناك طريق

---

١ - المرجع السابق، ص ١٩٢ – ١٩٣.

٢ - المرجع السابق، ص ١٩٦ – ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٢٠.

تجارية برّية أخرى تتّجه من أوغاريت إلى الأناضول عبر مملكة مُوكيش (ألالاخ) فى الشمال، وكانت طريق تجارية برية ثالثة تنطلق منها محاذية للبحر باتجاه فينيقيا وفلسطين ومصر جنوباً١.

وكعادة المدن التجارية كانت أُوغاريت حريصة على إقامة علاقات طيبة مع مناطق الجوار: مع مملكة مارى شرقاً، ومملكة يَمْحاض (حلب) ومملكة مُوكيش (أَلالاخ) شمالاً، ومع جزر بحر إيجَه فى الشمال الغربى، ومع مصر فى الجنوب. لكن موقعها الإستراتيجى ونشاطها التجارى جعلاها فى دائرة اهتمامات الدول المجاورة، كى يكون لها نفوذ فى هذا المركز التجارى المهم، وقد جاء فى أحد النصوص اسم ملك أوغاريتى يدعى إبيرانو، ولعله كان معاصراً لإدريمى ملك مُوكيش وخليفته نيقْميبا، وهذا يعنى أنه كان معاصراً لتصاعد النفوذ الميتّانى فى شمالى سوريا ووسطها، ولتقاطعات النفوذ الميتّانى والمصرى والحثى هناك، وكان على أوغاريت أن تساير تغيّر أوضاع المنطقة بوصول النفوذ الميتّانى إلى تخومها الشرقية، وهيمنة ممكلة ميتّانى على مملكة مُوكيش، وبعد أن أصبحت مناطق سوريا الشمالية ومناطق شمالى بلاد الرافدَين تخضع للسيطرة الميتّانية، ومعها طرق التجارة الدولية المارة فى تلك المناطق، ومع ذلك لم يتحرك الميتّانيون لغزو أوغاريت، ما دامت الطرق التجارة الأساسية كانت قد أصبحت تحت إشرافهم وسيطرتهم٢.

لكن الوضع الإقليمى تغيّر بدءاً من القرن الرابع عشر ق.م، وكان من الحتمى أن تتأثّر أُوغاريت بالصراع بين مصر وميتّانى على سوريا مع أول حملة عسكرية قام بها الفرعون المصرى تُحوتْموس الأول على سوريا، ووصل بقواته إلى نهر الفرات، ثم فى عهد حفيده تُحوتْموس الثالث الذى فرض السيطرة المصرية الكاملة على الساحل السورى والمناطق الواقعة إلى الشرق منها حتى الفرات، ونتيجة لذلك صارت أوغاريت جزءاً من مناطق النفوذ المصرى فى سوريا. لكن الميتّانيين ما كانوا يرضون بأن تصبح سوريا غنيمة سهلة فى أيدى المصريين، وكانوا يثيرون المشكلات والاضطرابات فى وجه السلطات المصرية، ويحرّضون حكّام الممالك السورية على التمرد، وربما اشتركت أوغاريت فى بعض تلك الانتفاضات، حسبما يُستنتَج من أخبار الحملة العسكرية التى قادها الفرعون آمونْحوتَب الثانى فى العام السادس من حكمه٣.

---

١ – المرجع السابق، ص ١٩٦ – ١٩٧، ٢٠١.

٢ – المرجع السابق، ص ١٩٩، ٢٠٢.

٣ – المرجع السابق، ص ٢٠٠.

وحينما تراجع النفوذ المصرى فى سوريا أمام عودة النفوذ الميتّانى، وبعد التفاهم المصرى الميتّانى منذ عهد الفرعون تُحوتْموس الرابع، وخاصة فى عهد الفرعون آمُونْحُوتَب الثالث وابنه آمُونْحُوتَب الرابع (أخناتون)، بقيت صلة أوغاريت بمصر قوية، ولاسيّما عن طريق البحر، غير أن مناطقها الشرقية بقيت خاضعة للنفوذ الميتّانى، وظلت تابعة لمملكة ميتّانى. لكن بعد أن دبّت الخلافات الداخلية فى مملكة ميتّانى، وغزاها الملک الحثى شوپيلوليوما، وقضى على نفوذها، وتراجع النفوذ المصرى، وأصبحت مملكة الحثيين سيّدة سوريا الشمالية كما سنرى لاحقاً، اضطرت مملكة أوغاريت إلى الاعتراف بالقوة الجديدة، وفرض عليها الحثيون أن يحارب جنودها تحت إمرهم، ضدّ مملكة خانى جالبات (اسم مملكة ميتّانى بعد أن تقلّصت)، وضدّ مملكة كارْدُونياش الكاشّية فى بابل، وضد جميع أعداء مملكة خاتى (الحثيين)، وهذا ما لم نجد له مثيلاً فى العلاقة بين مملكة ميتّانى وأوغاريت١.

وعلى أية حال لم تكن العلاقة بين الحوريين ومملكة أُوغاريت مقتصرة على عهد نهوض مملكة ميتّانى، ولا على العلاقات السياسية والنفوذ الميتّانى فى أوغاريت، ولم يكن وجوده الحوريين فيها مقتصراً على جاليات لأغراض تجارية، إن وجودهم فى أوغاريت كان بنسب كبيرة، إلى درجة يمكن معها القول بأنهم كانوا جزءاً أساسياً من تكوين المجتمع الأوغاريتى على جميع الأصعدة، وفيما يلى بعض ما جاء فى المصادر بهذا الشأن، يقول الدكتور عبد الحميد زايد:

"وفى فترة هجمات الهكسوس على الشرق استقر الحوريون فى أوجاريت، وهناک من يقول: إن السبب فى حركة الهكسوس وضغْطهم على مصر هو فى الواقع تَمَكُّنُ استقرار الحوريين فى أوغاريت؛ إلاّ أن هذا الاستقرار كان لفترة بسيطة، إذا ما علمنا أن مصر قد استطاعت طرد الهكسوس، واستعادت نفوذها فى ميناء أوغاريت"٢.

إذاً فالدكتور عبد الحميد زايد يقرّ بوجود الحوريين فى أوغاريت قبل قيام مملكة ميتّانى؛ أى إبّان الانتشار الحورى فى سوريا شمالاً وداخلاً وساحلاً، لكنه يربط ذلک الوجود بغزو الهكسوس لمصر، وبناءً على ذلک يرى أن الوجود الحورى فى أوغاريت لم يكن دائماً، باعتبار أن الهكسوس حكموا مصر بين سنتى (١٧٥٠ – ١٥٥٠ ق.م) تقريباً، أو بين سنتى (١٧٢٠

---

١ – المرجع السابق، ص ٢١١.

٢ – عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٢٧٠.

– ١٥٧٠ ق.م). والحقيقة أن مصادر أخرى تؤكد ديمومة الوجود الحورى فى أوغاريت، يقول الدكتور سيّد محمود القِمْنى:

"تمّ العثور– على الأقل– على مدينة واحدة من مدن شرقى المتوسط، كان أهلها خليطاً من عدّة أجناس، وكانت تلك المدينة هى أوغاريت، على الساحل السورى قرب اللاذقية، وتحمل الآن اسم تل شَمْرا"١.

بل إن الدكتور سيّد القِمْنى يذهب إلى أبعد مما سبق، ويرى أن اسم أوغاريت نفسها هو فى الأصل اسم حورى، فيقول بشأن ملك صَيْدا الفينيقى: "كارت ملك صَيْدُون/ صَيْدا شنّ حملة على بلاد آدُوم الكبرى، ولا يفوتنا أن اسم (كارت) يلتقى مع اللغة الكارية، ومع اسم مدينة أُوغاريت التى هى (أوكارت)، وورد اسمها فى سجلاّت تل العَمارِنَة (أوركات)، فالاسم كارت يعنى إذن الكارى أو الحورى"٢.

وقد توسّع الدكتور أحمد هُبُّو بشأن الوجود الحورى فى أوغاريت قائلاً:

"على الرغم من أن السكّان– ولا سيّما سكان المدينة نفسها– لا يشكّلون وحدة متجانسة الأصل، فقد كان ثمة جماعات ينتمون إلى أصل حورى، ويشكّل هؤلاء جزءاً كبيراً من السكان، وآخرون ينتمون إلى أصل حثى، وغيرهم يعودون إلى أصل إيجى، ويؤكد تعدّدَ سكان أوغاريت أسماءُ الأعلام التى تَرِد فى الوثائق التجارية الكثيرة التى تشتمل على أسماء حورية فى كثير منها، بحيث يبدو العنصر الحورى واضحاً أكثر من غيره من العناصر التى يتكوّن منها سكان أوغاريت بعد العنصر السامى الذى يشكّل الجزء الأعظم من سكّان المدينة والدولة، ويتأكد ذلك من خلال استخدام اللغة الحورية فى الكتابة إلى جانب اللغة الأكّادية التى تحتل المقام الأول بين لغات الكتابات الغريبة عن البلاد، ... ثم تليها اللغتان الحورية والحثية وغيرهما من اللغات، من مثل السومرية واللغة المصرية والقُبرصية والكِريتية"٣.

وأضاف الدكتور أحمد هُبُّو قائلاً:

"ولا ينبغى أن تثير كثافة الوجود الحورى فى أوغاريت استغرابنا؛ لأن الحوريين كانوا يشكّلون نسبة كبيرة من سكان سورية وبلاد الرافدين منذ بداية الألف الثانى قبل الميلاد، وقد

---

١ – سيّد القِمْنى: النبى موسى وآخر أيام تل العَمارنة، ج ٢، ص ٢٥٩.

٢ – المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٦٥.

٣ – أحمد هُبُّو: تاريخ الشرق القديم (سوريا)، ص ٢٢٥.

لعبوا دوراً هامّاً فى تاريخ سورية القديم السياسى والحضارى، ولا سيّما فى عصر قيام دولة حورى- ميتّانى فى منتصف الألف الأول قبل الميلاد[1]، ولا يعنى وجود أناس من أصول مختلفة فى أوغاريت غير الأوغاريتية، ولا سيّما الحوريين منهم، أن المجتمع الأوغاريتى كان مفكّكاً تتنازعه الفرقة والتنافر، بل كان المجتمعَ الأوغاريتىَّ الذى عُرف بنشاطه التجارى والزراعى وبحضارته ذات الطابع المحلى الخاص المطعَّم بإنجازات الشعوب المجاورة"[2].

والحقيقة أن اهتمامات ملوك ميتّانى لم تنصبّ فقط على مناطق مملكة يَمْحاض (حلب) وتوابعها فى الغرب كمملكة مُوكيش، بل اهتمّوا أيضاً ببسط نفوذهم على مناطق الشمال الغربى، وتحديداً مملكة كيزُّوواذْنا Kizzuwadna (كيزُّوواتْنا = كيزُّوفَتْنافى شمالى كيليكيا)، وكان سكّانها حوريين أو جماعات هندو آرية أخرى- فقد عقد پاراتارنا Paratarna معاهدة مع ملكها پيلّيا Pelliya، ونتيجة لذلك حُرم الحثيون حوالى قرن من ثروات السهول الواقعة جنوبى مرتفعات طوروس[3].

وكان الميتّانيون وحلفاؤهم يبسطون سيطرتهم التامة على النشاط التجارى فى المنطقة، ويُستخلَص من بعض النصوص التاريخية أن الناطقين باللغة الحورية كانوا جزءاً أساسياً من سكان دويلات سوريا الوسطى والجنوبية، وكانوا يشكّلون الطبقة الاجتماعية العليا وطبقة السادة فيها، ولذلك من الممكن جداً تصوّر أن الصلات الحضارية بينها كانت نتيجةً طبيعية للعلاقات السياسية، وأن التحالف السورى كان يحظى بدعم من مملكة ميتّانى[4].

وذكر الدكتور عبد الحميد زايد أن تُوشْراتّا نصب نفسه ملكاً على بلاد ميتّانى، وبسط نفوذه على بلاد آشور وما جاورها من إمارات فى الشرق، وعلى القسم العلوى من بلاد الرافدين (الجزيرة العليا)، وعلى أجزاء من سوريا، وكيزُوادنا (كِيزُّوفَتْنا)، وكانت تقع تحت نفوذ الحثيين تارة، وتحت نفوذ الميتّانيين تارة أخرى، ولم تستقل مملكة كَرْكَميش ولا مملكة يَمْحاض (حلب) عن الميتّانيين فى هذه الفترة، وتوطّدت العلاقة بين الميتّانيين ومملكة مُوكِيش

---

١ - كذا، والصواب: الألف الثانى.

٢ - المرجع السابق، ص ٢٢٥.

٣ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٥٩. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٦٩.

٤ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٦٠.

Mukish وعاصمتها أَلالاخ Alalakh. أما أوغاريت Ugarit فيشكّك العلماء فى وجود علاقات بينها وبين الميتّانيين فى هذه الفترة.

وكانت بلاد نُوخاش Nukhash، الواقعة بين منعرج الفرات ونهر العاصى، خاضعة لمملكة ميتّانى فى هذه الفترة، وكانت المناطق الواقعة فى حوض نهر الأورنت وهى: نِيا Neya (Neca) وآراختُو Arakhtu، وأُوكُولْزات Ukulzat، تحت حكم الميتّانيين، وكانت لها علاقات طيبة مع ملك ميتّانى. أما المدن التى تقع فى جنوبى سوريا: قَطْنا Qatna، وكِينْزا Kinza، وكِدْسا Kidsa (قادِش على العاصى) وأمورو Amurru؛ فتأرجحت العلاقة بين ميتّانى ومصر، فبعضهم مال إلى المصريين، وآخرون مالوا إلى الميتّانيين، والجميع كان ينافق مضطراً[١].

وفى عهد الملك الحثّى شوبيلوليوما (١٣٨٠- ١٣٤٦ ق.م)، كان يوجد للميتّانيين أنصار فى نِيا Niya وأراختُو Arakhtu، وبدا أن مناطق ساحل سوريا وفلسطين، بما فى ذلك منطقة دمشق، كانت تعترف بسلطان مصر، أما بقية سوريا فكانت تعتبر خاضعة لنفوذ الميتّانيين[٢].

---

١ - عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٧٨.

٢ - المرجع السابق، ص ٤٧٩، ٤٨٢.

الفَصْل الثّالث

العَلاقاتُ المِيتَّـــانيّـــة- المِصْرِيّة

١
الصِّراع المِيتَّـــــانى- المِصْرى

الصِّراعُ على سُوريّا:

مرّ أن عهد الأسرة المصرية الثامنة عشرة يبدأ من تاريخ حكم أوّل ملوكها أُحْمُس (أماسيس) الأول (١٥٧٥ – ١٥٥٠ ق.م) الذى طرد الهِكْسوس من مصر، وينتهى فى عهد ملكها الثانى عشر والأخير تُوت عَنْخ أمُون (١٣٤٧ – ١٣٣٩ ق.م). وبعد ذلك تعاظمت قوة الدولة المصرية، وتطلّع ملوكها إلى السيطرة على سوريا، وعلى هذا الأساس أقاموا علاقات إستراتيجية مع المملكة الكاشّية فى بابل، وهذا واضح فى رسائل الملك الكاشّى كاداشْمان- خارْبى الأول (١٤١٠ – ١٣٨٦ ق.م) إلى الملك المصرى أَمْنُوفِيس (آمُونْحُوتَب) الثالث (١٤٠٥ – ١٣٧٠ ق.م)، ثم تخلّوا عن المملكة الكاشّية حينما دبّ فيها الضعف، وتحوّلوا إلى بناء علاقة إستراتيجية مع الدولة الآشورية الناهضة والمنافسة للكاشّيين، ويتضح ذلك فى رسالة من الملك الكاشّى بُورْنا بُورْياش الثانى (١٣٦٧ – ١٣٤٦ ق.م)، إلى الفرعون آمُونْحُوتَب الرابع المعروف باسم أخناتون (١٣٧٠ – ١٣٥٢ ق.م)، يعاتبه فيها على استقبال وفد آشورى، معتبراً ذلك الاستقبال عملاً غير ودّى١.

١ – أبراهام مالمات، وحاييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل، ص ١٢١. جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكِّرة، ص ٣٨٨. توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣٢٠، ٢٥٤ – ٢٥٥.

ومنذ نهاية القرن السادس عشر ق.م، ومثل أيّة قوة سياسية ناشئة وناهضة، تطلّعت دولة ميتّانى الحورية إلى أن يكون لها دور سياسى إقليمى مؤثّر فى الشرق الأدنى القديم، وتصاعد ذلک الطموح فى النصف الأول من القرن الخامس عشر ق.م، ونتيجة للمصالح الجيوسياسية، دخل ملوک مصر من الأسرة الثامنة عشرة فى صراع طويل ضد مملكة ميتّانى، بشأن السيادة على سوريا، ويبدو أن ذلک الصراع تصاعد فى الفترة (١٥٥٠ — ١٥٠٠ق.م)، والدليل على ذلک أن الفرعون المصرى تُحوتْموس الأول (١٥٢٨ — ١٥١٠ ق.م) كان قد غزا سوريا، ووصل إلى مملكة ميتّانى، وأقام له نُصباً هناک يخلّد فيه انتصاراته، وهذا يعنى أنه كان معاصراً للملک الميتّانى الثانى شُوتّارنا (شُتَّرْنا) الأول Shuttarna 1، ابن كِيرْتا Ki- ir-ta، حوالى نهاية القرن السادس عشر ق.م. قال الدكتور عبد العزيز صالح:

"واتّجه تُحوتْمُوس ناحية الشام وأطراف العراق، ووجّهه إليها عاملان: عامل القوة الدافعة التى صبغت سلوكه وروح شعبه وعصره، وعامل تحرُّک الجماعات الميتّانية التى ذكرها نصوصُ عهد سلفه، قرب نهر الخابور والفرات وفى شمال شرق الشام. وكان فى كلٍّ من العاملَين ما شجّعه على تنفيذ المرحلة الثالثة من السياسة الخارجية للدولة؛ ألا وهى السيطرة على أبواب التجارة الدولية ومداخل هجرات الشعوب فى شمال الشام، وأطراف العراق. ولم تكن أحوال بلاد الشام حينذاک مما يمكّنها من صدّ هجرات جديدة، أو كسر شدّة الهجرات الموجودة على أطرافها، دون دفع خارجى أو عون خارجى"[١].

وأضاف الدكتور عبد العزيز صالح يقول:

"وحين تطلّع تُحوتْموس الأول إلى جمعها [سوريا] تحت رايته اعتمد على جرأته واستعداد جيشه، واستعان بسلاح المبادرة والتحركات القوية الخاطفة، فمَرَق بجيشه من مصر عبر الشام فى سرعة غريبة ودون معارضة كبيرة حتى بلغ نَهْرِينا فى منطقة المِيتّان. ثم عبر نهر الفُرات، وأرسى على ضفّته الشرقية نُصْباً حدّد به تخوم دولته الناهضة التى امتدّت على حدّ تعبير نصوص عهده من قرن الأرض فى الجنوب إلى أطراف المياه المعكوسة فى الشمال؛ أىْ من

---

١ - عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

جبل بَرْقَل[1] والشلاّل الرابع حتى أطراف مياه الفرات التى استغرب المصريون جريانها من الشمال إلى الجنوب على عكس جريان مياه نيلهم"[2].

ويبدو من سياق الأحداث أيضاً أن تُحُوتْموس الأول وخَلَفَه تُحُوتْموس الثانى (١٥١٠ – ١٤٩٠ ق.م) لم يستطيعا إيقاف تعاظم قوة مملكة ميتّانى، وتزايد نفوذها فى سوريا، والدليل على ذلك أن النصف الشمالى من سوريا انفصل عن السلطة المصرية فى عهد الملكة حاتْشِبْسُوت (١٤٩٠ – ١٤٦٨ ق.م)، باعتبار أن سياسة هذه الملكة توجّهت نحو إفريقيا (القرن الإفريقى) أكثر من توجّهها نحو آسيا، واقتصر النفوذ المصرى فى سوريا خلال عهدها على النشاط التفتيشى. وعندما تسلّم تُحوتْمُوس الثالث (١٤٦٨ – ١٤٣٦ ق.م) مقاليد الأمور فى مصر- وكان مشارِكاً فى الحكم مع حاتْشِبْسُوت فى السنوات التسع الأخيرة من حكمها- كان أول ما اهتم به هو العمل لاستعادة النفوذ المصرى فى النصف الشمالى من سوريا، والقضاء على نفوذ مملكة ميتّانى، فتزعّمت مملكة ميتّانى حلفاً قوياً ضده[3].

يقول الدكتور عبد العزيز صالح بشأن تحوتموس الثالث:

"عندما اعتلى العرش منفرداً واجه مشكلة واسعة هدّدت زعامةَ مصر وسُمعتَها الدولية فى الشرق الأدنى، وكان عليه أن يتحدّاها ويُثبت كفاءته لحلها، وتفرقت مواطن هذه المشكلة فى نواحٍ من بلاد الشام وأطراف بلاد النهرين، وكانت عواملها ثلاثة، وهى:

اهتمام عهد حاتْشِبْسُوت بسياسته الإفريقية أكثر من اهتمامه بسياسته الآسيوية، مما باعد بعض الشيء بين مصر وبين جيرانها أهل الشام.

وأمل دولة الميتّانيين التى بدأت تُلملم شملها، وتعترف بمَلك واحد فى أن يصبح لها ضلع فى توجيه أحوال الشرق الأدنى وتجارته، لا سيّما أن موقعها على الفرات، وامتدادها إلى شرقه

---

١ - جبل بَرْقَل (بَركَل) Barkal: منطقة أثرية بين الشلالَين الثالث والرابع فى دَنْقَلَة بالسودان، وهو جبل هرمى الشكل قليل الارتفاع، سمّاه المصريون القدماء: "الجبل المقدس"، ويُطلَق اسمُه فى بعض المؤلفات الأثرية على كل ما حوله من المعابد والأهرامات.

٢ - المرجع السابق، ص ٢٢٧.

٣ - توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣٦٤ - ٣٦٥. أحمد هُبّو: تاريخ الشرق القديم (سورية)، ص ١١٩.

نحو دجلة، سمح لها بمركز تجارى متوسط يمكن أن تتحكّم به فى مداخل التجارة السورية العراقية، ويمكن أن تنافس مصر به.

ثمّ اتّجاه حكّامها [= مملكة ميتّانى] إلى شَغل مصر عنهم بإثارة الاضطرابات ضدها، وقد استجاب لتحريضاهم بالفعل بعض حكّام الشام وشيوخ بدوها، لا سيّما أنه كانت لا تزال تعيش بينهم بقية من ذرارى الهِكْسوس الذين طردهم المصريون من بلاد شرَّ طِردة"١.

التَّحالف المِيتّـــانى- السُّورى ضدّ مِصر:

إن العوامل الثلاثة السابقة الذكر أدّت إلى قيام تحالف ضدّ مصر، ضمّ عدداً من حكّام الممالك السورية بزعامة حاكم قادِش (تل النبى مَنْد قرب حِمص على ضفّة العاصى الشرقية)، ومن المحتمل أن هذا الحاكم كان ميتّانياً، أو كان على الأقل من كبار المستجيبين للسياسة الميتّانية، وقد اتجه بالقوات المتحالفة جنوباً نحو شمالى فلسطين، واتخذ مدينة مَجِدُّو (تل المُتَسلِّم، شمال شرقى طُولْكَرم- حالياً) مركزاً لقيادته، ومّد نفوذه حتى مدينة شارُوحِين معقل الهكسوس القديم، وكانت أهمّية مَجِدُّو تتمثّل فى أنها تتحكّم فى الممرات الجبلية التى تجتازها طرق التجارة الدولية بين جنوبى سوريا وجنوبى بلاد الرافدين من ناحية، وبين فلسطين ومصر من ناحية أخرى٢.

وردّاً على سياسات مملكة ميتّانى وحلفائه فى سوريا، قاد تُحوتْمُوس الثالث ستّ عشرة غزوة ضد بلاد رِيتينو (النصف الشمالى من سوريا)، وانتصر فى الغزوة الأولى سنة (١٤٦٨ ق.م) على الحلف السورى، ثم تفقّد سوريا فى أربعة أعوام متتالية بجيوش ضخمة على نحو سلمى، مستعرضاً قواته الحربية، ومؤكداً لأعدائه أنه قادر على البطش بهم إذا أثاروا المشكلات، وكانت استعراضاته العسكرية موجَّهة إلى مملكة ميتّانى فى الدرجة الأولى، باعتبارها كانت القوة الإقليمية المنافسة لمصر. وفى الحملة السادسة قرر تُحوتْموس الثالث مهاجمة حاكم قادِش فى عُقْر داره، لأنه كان يقود المقاومة السورية ضد النفوذ المصرى (صورة تحوتموس الثالث).

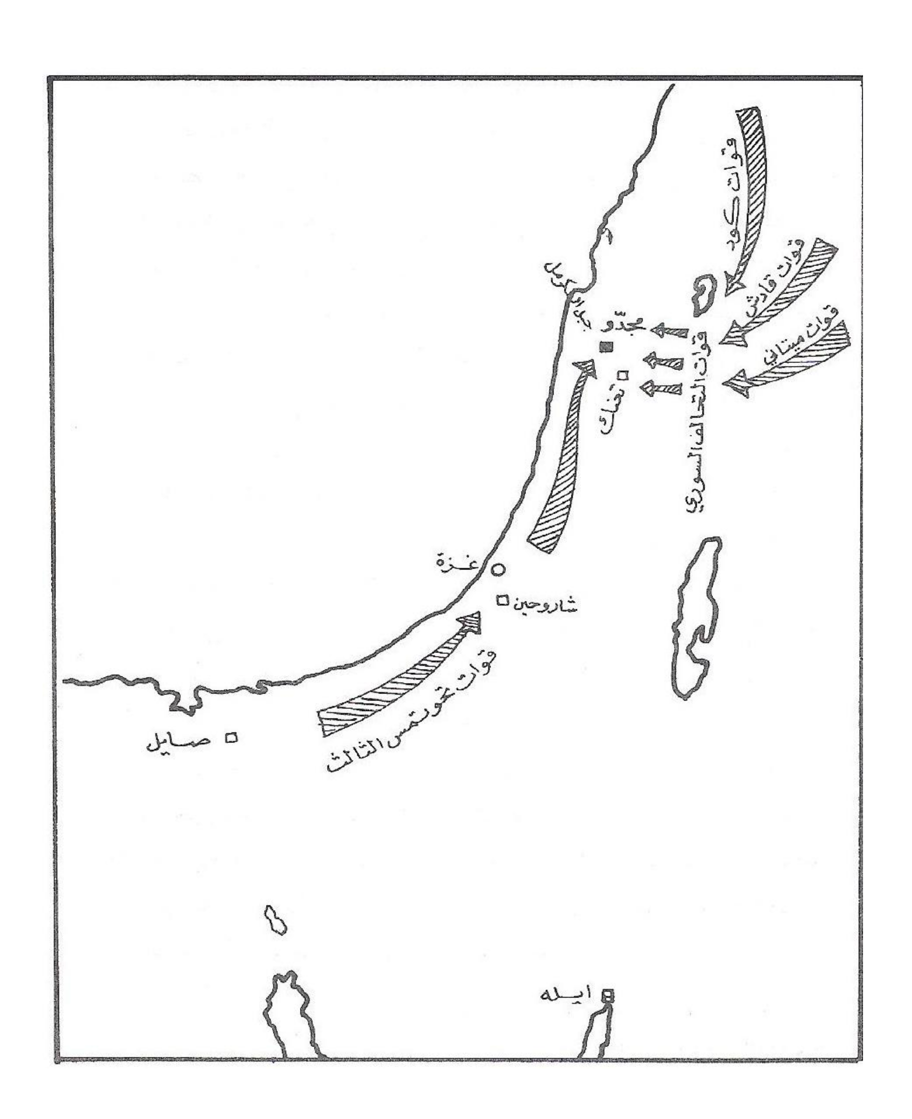
---

١ - المرجع السابق، ص ٢٢٩.

٢ - المرجع السابق، ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

تحوتموس الثالث

وكان حِصن قادِش ذا موقع إستراتيجى مهم، إنه كان يتحكّم فى المدخل الشمالى لوادى البِقاع المؤدّى إلى قلب سوريا، ويشرف على وادى النهر الكبير المؤدّى على ساحل البحر المتوسط، ويُطلّ على طريق تجارى رئيسى يصل بين بلاد الرافدَين وسوريا، ويقع على بُعد حوالى (٥٥) كم معسكر قَطَنا (قَطْنا) أكبر معسكرات الهِكْسوس، وبعد صعوبات كبيرة ألحق تُحوتْموس الثالث الهزيمة بخصمه حاكم قادِش، واحتل الحصن. ورغم هذا النصر يبدو أن الملك المصرى لم يستطع فرض نفوذه على جميع أمراء وسط سوريا، وظلت المقاومة نشيطة؛ الأمر الذى جعل تحوتموس الثالث يهاجم سوريا مرة بعد أخرى (انظر خريطة معركة مجدّو).


قوات كوند
قوات قادش
قوات ميتاني
قوات التحالف السوري
مجدو
تعنك
غزة
شاروحين
صايل
قوات تحوتمس الثالث
ايله

إن تحوتموس الثالث كان يعلم أن خصمه الأكبر والأكثر خطورة هو مملكة ميتّانى المهيمنة على شمالى سوريا، وأنها تثير حكام سوريا فى الوسط والجنوب ضد النفوذ المصرى، وكان ملك ميتّانى حينذاك يُدعى ساوْشّاتّار Saushshattar بن پارْساشاتار Parsashatar، فاضطر تُحوتْموس الثالث إلى أن يغزو النصف الشمالى من سوريا فى السنة الثلاثين من حكمه، وهاجم مملكة قادِش للمرة الثانية، وتوغّل فى أراضى شمالى سوريا، متوجّهاً نحو مناطق مملكة ميتّانى الواقعة غربى الفرات مباشرة، ووصل فى عام (١٤٤٧ ق.م) إلى مناطق كَرْكَميش، وعبر الفرات إلى الضفة اليسرى (الشرقية) دون أن يلقى مقاومة تُذكر من الجانب الميتّانى، وذكر فى إحدى حملاته على ميتّانى أنه جاء لوضع لوحة شرقى الفرات بجوار لوحة جدّه تُحوتْموس الأول١.

وفى السنة الثالثة والثلاثين من حكمه؛ أى حوالى سنة (١٤٣٥ ق.م)، جرّد تُحوتْموس الثالث حملة عسكرية ضد مملكة ميتّانى، عازماً على أن يغزوها فى عُقر دارها، ويأمن تحريضاتها، كى يستقرّ الأمن على التخوم الشمالية للنفوذ المصرى، وتحضيراً لحملته الجديدة، ولضمان النصر على ميتّانى، زوّد الموانئ السورية بما يلزم من المواد الغذائية، وطلب إلى رجاله أن يجهّزوا أسطولاً كبيراً من أخشاب لبنان، وينقلوا السفن مفكّكة عن طريق البر، على عربات تجرّها الثيران، إلى قرب نهر الفرات، والتقى تُحوتْموس بالجيش الميتّانى فى كَرْكَميش (فى شمالى سوريا على نهر الفرات عند جَرابْلُس- حالياً)، بعد أن عبر الفرات عند كَرْكَميش، ولاحق "عدوَّه الخاسئ فى جبال ميتّانى" حسبما قال فى حولياته، وانتصر على الملك الميتّانى ساوْشّاتّار Saushshattar، وأجبره على الفرار، وأقام لنفسه نُصْبين تذكاريين بالقرب من النُّصب الذى كان قد أقامه تُحوتْموس الأول، وسجّل عليهما أخبار نصره، وحدّد بهما حدود بلاده فى الشمال، ولم يتوغّل فى أراضى مملكة ميتّانى، واكتفى بالاصطدام مع جيشها، وتخريب مناطق حدودها الغربية والجنوبية٢.

---

١ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٦١. توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣٦٥ . محمد حرب فَرْزات، عيد مَرْعى: دول وحضارات الشرق العربى القديم، ص ١٦٦.

٢ - أبراهام مالمات، وحاييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل، ص ٨٠. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص ٢٣٣.

غير أن احتلال المصريين لهذه المناطق النائية لم يتخذ سِمة الدوام؛ إذ استطاع ملك ميتّانى فى السنوات التالية تكوين جبهة معادية للمصريين داخل سوريا الشمالية والداخلية، وما كاد تُحوتْموس الثالث يصل إلى مصر حتى عادت مملكة ميتّانى من جديد للتدخل فى شؤون مناطق شمالى سوريا الأخرى، وتحريض سكانها على النهوض ضد السلطات المصرية؛ لذلك خرج تُحوتْموس الثالث ثمانى مرات أخرى إلى الأقاليم الشمالية؛ تارة للاستطلاع، وتارات أخرى للإصلاح وتوطيد الأمن وإرهاب العصاة١.

وفى السنة السابعة والأربعين من حكمه، قاد تُحوتْموس الثالث بنفسه جيشاً ضخماً، واجتاح سوريا، حتى وصل إلى الفرات وعَبَره، وتوغّل داخل الأراضى الميتّانية، وذكر فى إحدى كتاباته أنه دمّر الجيش الميتّانى فى ساعة واحدة، وقال:

"وخرّبتُ مدنَهم ومستوطناتهم، وجعلتُها طعاماً للنيران، وحوّلتُها إلى أماكن لم يَعُدْ باستطاعة الإنسان أن يسكن فيها، وألقيتُ القبض على سكانها، وجعلتُهم من بين الأسرى... وغنمتُ مواشيهم، واغتصبتُ منقولاتهم بأعداد لا تُحصى، وأخذتُ حبوبهم، واقتلعتُ شَعيرهم من جذوره، ودمّرتُ حدائقهم، واقتلعتُ أشجارها المُثمِرة". وورد فى الكتابة أيضاً أن تُحوتْموس الثالث حطّم نَهارينا، فتحوّلت إلى أرض لا تنبت فيها الأشجار٢.

---

١ – توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣٦٥ – ٣٦٦. أحمد هُبّو: تاريخ الشرق القديم (سورية)، ص ١١٩. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص ٢٣٣.

٢ – توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣٦٦.

٢

الصَّداقَةُ المِيتّــــانِيّة– المِصْريّة

مَرْحَلةُ العَلاقات القَلِقَة:

استمرّت حدّة الصراع بين ميتّانى ومصر، وكانت الغلبة معظم الأحيان لمصر، وأدرك تُحوتْمُوس الثالث أنه غير قادر على إخضاع مملكة ميتّانى، وإفقادها جميع أوراقها الإقليمية، وخاصة أن المسافة بين مصر ومركز مملكة ميتّانى بعيدة، وتؤثّر سلباً على عمليات الإمداد والتموين، فعقد تُحوتْمُوس الثالث معاهدة مع مملكة ميتّانى بقيادة ساوْشّاتّار، معترفاً بسلطانها على شمالى سوريا بما فيها مملكتا حلب وكَرْكَميش، مقابل أن تقوم مملكة ميتّانى بتأمين منطقة نفوذ لمصر على نهر الفرات، وفى ساحل بلاد الكنعانيين (ساحل فلسطين) حتى مصبّ نهر العاصى، وإبقاء الممالك السورية الأخرى على حالها بشرط أن تدفع الجزية للمصريين، وهكذا اتفق الملك المصرى والملك الميتّانى على تقسيم سوريا وفلسطين إلى منطقتى نفوذ فيما بينهما [١].

ويُستفاد من المراجع أن سوريا قُسمت مناصفة بين مصر وميتّانى، كان نصفها الجنوبى تابعاً لمصر، ونصفها الشمالى تابعاً لميتّانى، يقول الدكتور عبد الحميد زايد فى هذا الشأن:

"كان لكسل المصريين فى سورية أثرُه فى بقاء الصداقة قائمة بين تُوشْراتّا وأَمْنُوفيس [آمُونْحُوتَب] الثالث، وذلك فى الفترة الباقية من حكم أَمْنُوفيس الثالث. ولّما كان هذا الوضع مفهوماً بالرغم من الاتجاهات التوسعية للميتّانيين فى سورية، فيحسّ الإنسان أن ساحل سورية وفلسطين، بما فى ذلك منطقة دمشق، كان يَعترف بسلطان مصر، أمّا بقيّة سورية فكانت

---

١ – عامر سليمان، وأحمد مالك الفِتْيان: محاضرات فى التاريخ القديم، ص ٢٨٢.

تُعتبَر خاضعة لنفوذ الميتّانيين. وقد لوحظ فى الفترة الأخيرة من حكم تُوشْراتّا تَوَطُّدُ العلاقات بين مصر [وميتّانى]، بشكل واضح؛ وذلک لوجود شخصية قوية اعتلت عرش الحثيين"١.

ويبدو من سياق الأحداث لاحقاً أن الملک الميتّانى ساوْشّاتّار لم يكن راضياً عن جميع بنود المعاهدة مع مصر، وعدّها انتقاصاً من النفوذ الميتّانى فى سوريا، والدليل أنه لما توفّى تُحوتْموس الثالث عام (١٤٣٦ ق.م)، وخلفه ابنه آمُونْحُوتَب (أَمْنُوفِيس) الثانى (١٤٣٦ – ١٤١٣ ق.م)، اغتنمت مملكة ميتّانى الفرصة، وحرّضت أمراء سوريا من جديد للثورة على المصريين لتقليص النفوذ المصرى فى سوريا، وشكّل الأمراء السوريون حلفاً جديداً ضد مصر، فسارع آمُونْحُوتَب الثانى فى العام التالى من حكمه إلى الزحف بجيشه على سوريا، ووصل إلى لبنان، وانتصر على تحالف أمراءِ سوريا، وزحف شمالاً فاصطدم بجيش نَهارينا (مملكة ميتّانى)، ووقع سبعة من أمرائها فى الأسر، وسيطر آمُونْحُوتَب الثانى من جديد على تلک المناطق، وعاد ومعه غنائم كثيرة، منها ما يعادل (٥٠) طُنّاً من الماس، و(٨٣٠) كيلو غراماً من الأوانى الذهبية٢.

وكان سبب إحدى الانتكاسات الخطيرة أن أحد كبار قادة ميتّانى، واسمه أُوتْخى Utkhi– ولم يكن ينتمى إلى الأسرة المالكة– تآمر على الملک أرْتاشُوارا Artashuwara ابن شُوتّارْنا الثانى، واغتاله، وكان أُوتْخى يتزعّم الحزب المعادى لمصر، ويميل إلى الانحياز للجانب الحثّى، وتوّج ابنَ شُوتّارْنا القاصر، واسمه تُوشْراتّا Tushratta (تُشْرَتّا) ملكاً على البلاد، ليكون طَوْعَ يديه، وكان ذلک حوالى سنة (١٣٦٠ ق.م). لكن الأمور تغيّرت فيما بعد، فقد رسّخ تُوشْراتّا سلطته، وأعدم الثوارَ الذى ذبحوا أخاه أَرْتاشُوارا، وأعاد التحالف مع مصر ضد الفريق الميتّانى المتحالف مع المملكة الحثية٣.

وبالرغم من انتصارات آمُونْحُوتَب الثانى على مملكة ميتّانى، وعلى أمراء سوريا، أدرک عدم جدوى شنّ الحروب المتواصلة، لأسباب ثلاثة:

---

١ – عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٧٩. والمقصود بالشخصية الحثية القوية: الملک الحثّى شوبيلوليوماش.

٢ – توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣٦٦. أبراهام مالمات، وحاييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل، ص ٧٨، ٨٢.

٣ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٦٤. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٧٨. توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣٦٧.

١ – عناد قادة مملكة ميتّانى، وإصرارهم على التصدّى للنفوذ المصرى.

٢ – بُعد مصادر تموين الجيش المصرى عن ساحات المعارک فى أقصى شمالى وشمال شرقى سوريا.

٣ – عدم قدرة البلاط المصرى على تمويل تلک الحرب الباهظة التكاليف.

وسرعان ما عادت علاقات الصداقة بين المملكتين إلى سابق عهدها، وخاصة أن آمُونْحُوتَب الثالث (١٤٠٥ – ١٣٦٧ ق.م) ابن تُحوتْموس الرابع تسّلم السلطة فى مصر، وقد مرّ أنه ابن الأميرة الميتّانية جيلو- خِيپا، وكان من الطبيعى أن يزيد علاقات القرابة والصداقة مع أخواله قوة، كما توطّدت العلاقات أكثر بين آمُونْحُوتَب الثالث والملک الميتّانى الجديد تُوشْراتّا، وتزوّج الفرعون من الأميرة الميتّانية تادو- خِيپّا أخت تُوشْراتّا، وفى دار محفوظات العَمارِنَة سبعة خطابات من تُوشْراتّا إلى آمُونْحُوتَب الثالث، تدل على عمق الصداقة فيما بينهما[١].

وقد درس ريدل Riedel الرسائل المرقَّمة من ١٧ إلى ٢٩، وتبيّن له أن الرسائل السبع الأولى من هذه المجموعة كانت مرسلَة من ملوک ميتّانى إلى نب- مأ- رع (آمُونْحُوتَب الثالث)، وهناک رسالة عزاء خاصة إلى الملكة تِيا (تِى) تسلّمتها بمناسبة وفاة زوجها، وشوهدت ثلاث رسائل أخرى مرسلَة إلى أخناتون صُنّفت تحت رقم (٢٨٠)، ومحتوى الرسائل المرقَّمة بـــ (٢٧) يشبه محتويات الرسائل المرقَّمة بـــ ١ و ١٢، ويشير ريدل إلى أن جميع هذه الرسائل كانت مرسَلة من تُوشْراتّا خلال الفترة الأخيرة من حكم آمُونْحُوتَب الثالث وبداية حكم أخناتون[٢].

---

١ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٦٤. جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٢٤٦/٢، ٢٥٥. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٧٨– ٤٧٩.

٢ – جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ١٥٩/١.



تحوتمس الثالث متعبدا

مَرْحَلةُ التَّحالُف والمُصَاهَرَة:

لقد فتح آمُونْحُوتَب الثالث عهداً جديداً من العلاقات الحسنة مع ملوك ميتّانى، والأرجح أن ذلك كان فى عهد الملك الميتّانى أَرْتاتاما (أرْتاداما) الأول Artatama 1، والأرجح أنه ابن ساوْشّاتّار، وكان قد تولّى العرش حوالى سنة (١٤٠٠ ق.م)، واعتمد آمُونْحُوتَب الثانى على صديقه أَرْتاتاما الأول فى تهدئة الأوضاع بشمالى سوريا، بدل أن يشكّل هذا الأخير الأحلاف ضد حكام مصر، يقول الدكتور عبد العزيز صالح:

"استمرت العلاقات بين الدولتين، مصر والميتّان، علاقات عدائية حتى نهاية عهد الفرعون آمُونْحُوتَب الثانى، ثم مالت كلٌّ منهما إلى سياسة التقارب، وليس من المستبعَد أن يكون التقارب قد بدأ من ناحية الميتّان بعد أن أحسّوا باستيقاظ الآشوريين فى شرقهم، واستعداد الخاتيين (الحثيين) فى شمالهم الغربى، وتمخّض التقاربُ بين الدولتين عن مصاهرة بيتيهما الحاكمين منذ عهد الفرعون المصرى تُحوتْموس الرابع، ثم فى عهد ولده آمُونْحُوتَب الثالث، وعهد حفيده أخناتون، واستقرت حينذاك صداقة بين الدولتين، وراسل حكّامُهما بعضَهم بعضاً بلفظ الأخوّة، واعتاد كلٌّ منهم أن يسأل الآخر فى رسائله عن أهله وداره وخيوله وأتباعه، وتسامح المصريون مع ديانة أصدقائهم، ولم يرَ آمُونْحُوتَب الثالث بأساً فى أن يتقبّل فى قصره تمثالين صغيرين للمعبودين العراقيين [كذا] شِمِش وإشْتار أرسلهما الملك الميتّانى مع ابنته عروس آمُونْحُوتَب؛ لتستعين ببركاتهما على إقرار حبها فى قلبه، فضلاً عن ٣١٧ من النساء والخدم. ولم يجد الفرعون بأساً كذلك فى أن يتقبّل مثالاً آخر لإشْتار أتته هديةً من صديقه الملك الميتّانى، ليتبرّك به فى مرضه"١.

وثمة رواية تفيد أنه فى نهاية عهد آمُونْحُوتَب (أَمْنوفِيس) الثانى أرسل ملك ميتّانى أَرْتاتاما الأول بعثة إلى مصر، تناشد فرعون السلام، ونتيجة لذلك جاءت رسل فرعون إلى أَرْتاتاما، تطلب منه رباطاً يؤكد التحالف الذى قام بينهما، فأرسل أَرْتاتاما ابنته جيلو خيبا Gilu – hipa المشهورة فى مصر بـــ (موت أوم أويا) Mutemuya، لتتزوج من الملك تُحوتْمُوس

---

١ – عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص ٥٦٣.

الرابع الذى تولّى العرش فى مصر بعد وفاة والده آمُونْحُوتَب (أمْنوفِيس) الثانى، وولدت آمُونْحُوتَب الثالث[1]. هذا ما ذكره الدكتور جمال رشيد أحمد، لكنه قال فى مكان آخر من كتابه:

"لقد أدّت سياسة تقوية العلاقة مع مصر التى قام بها الملك تُوشْراتّا إلى عواقب وخيمة لمصير المملكة الميتّانية منذ زمن الفرعون آمُونْحُوتَب الثالث [وأنّ تُوشْراتاّ] زوّج أخته گيلو حيپا [كذا] من هذا الفرعون، وكذلك ابنته تادو حيپا Tadu hepa من آمُونُحوتب الرابع التى قَبلت كُنية (نَفَرْتِيتى)"[2].



تادو حيبا (نفرتيتي)
بنت الملك الميتاني توشراتا

---

١ – عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٧٤ – ٤٧٥. جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ١/157.

٢ – جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٢/255 - 25. وانظر أحمد هُبّو: تاريخ الشرق القديم (سورية)، ص ١٢٠.

والحقيقة أن ثمة اختلافاً بين المؤرخين فى تحديد أسماء ملوك مصر الذين تزوّجوا من الأميرات الميتّانيات، وتحديد أسماء أولئك الأميرات، فقد ذكر جرِنُوت فِيلْهِلْم مرة أن الملك الميتّانى أرتاتاما الأول خليفة ساوْشاتّار- وربما ابنه- أرسل إلى الفرعون آمُونْحُوتَب الثانى (أَمْنُوفيس الثانى) (١٤٢٨ — ١٤٠٠ ق.م) واحدة من بناته لتكون زوجة له، وليس لابنه تُحوتْموس الرابع كما مرّ، ولم يذكر جرِنُوت اسم تلك الأميرة الميتّانية١.

وذكر الدكتور رمضان عبده على أن تُحوتْموس الرابع تزوجّ من أميرة ميتّانية سُمّيت فى مصر (موت أوم أويا)، ولم يذكر اسمها الميتّانى الأصلى، وأضاف أن آمُونْحُوتَب الثالث تزوّج من الأميرة الميتّانية جيلو هبى [كذا ؟] ابنة الملك شوتّارنا، وأنها وصلت إلى مصر ومعها (٣١٧) وصيفة، وبعد وفاة شوتّارنا أرسل ابنُه الملك شوتّارْنا إلى آمُونْحُوتَب الثالث أميرة ميتّانية صغيرة السن، وكان آمُونْحُوتَب حينذاك مريضاً بسبب كبر سنّه٢.

وذكر الأستاذ أحمد فخرى أن تُحوتْموس الرابع تزوّج ابنة ملكٍ ميتّانى، من غير أن يذكر اسم الملك ولا اسم ابنته، ثم أضاف أن آمُونْحُوتَب الثالث تزوّج ابنة هذا الملك أيضاً، ثم ضمّ إليها أخته بعد أن كاتبه بشأنها ستّ مرات، واللافت للانتباه فى هذا المجال- حسبما ذكر الدكتور عبد العزيز صالح- أن تُحوتْموس الرابع جعل زوجته الميتّانية من زوجاته الرئيسيات فى قصره، فى حين كان أسلافه يُنزلون زوجاتهم الآسيويات منزلة الزوجات الثانويات٣.

وما لا شك فيه أن المصاهرة بين ملوك مصر وملوك ميتّانى استمرت ثلاثة أجيال حتى عهد كلٍّ من آمُونْحُوتَب الثالث وتُوشْراتّا ضمناً، هذا مؤكَّد فى إحدى رسائل تُوشْراتّا إلى آمُونْحُوتَب الثالث، وذكر تُوشْراتّا فى رسالته أنه يرسل ابنته تَتُو خِيِبا (تادو خِيبا) هدية وزوجة لآمُونْحُوتَب الثالث، وذكر أيضاً أنه سبق أن وصلت عمّة له إلى البلاط المصرى كزوجة، وتبعتها أخته أيضاً، وها هو يرسل ابنته، وذكر الدكتور عبد الحميد زايد أن تَتُو خِيِبا انتقلت بعد وفاة آمُونْحُوتَب الثالث إلى حريم أَمْنوفِس الرابع (أخناتون)٤.

---

١ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٦٤.

٢ – رمضان عبده على: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته، ص ٢٤١ – ٢٤٢.

٣ – أحمد فخرى: دراسات فى تاريخ الشرق القديم، ص ٨٣. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص ٢٣٧.

٤ – عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٨٠.

ويمكن ترتيب زواج فراعنة مصر من الأميرات الميتّانيات كالآتى:

زواج آمُونْحُوتَب الثانى من ابنة ساوْشاتّار (أخت أَرْتاتاما الأول وعمّة تُوشْراتّا)، اسمها غير معروف.

زواج تُحوتْموس الرابع من ابنة أرتاتاما الأول تسمّى (جيلو خِيپا، وهى أخت تُوشْراتا).

زواج آمُونْحُوتَب الثالث من تَتُو خِيپا (تادو خِيپا) ابنة تُوشْراتّا.

زواج آمُونْحُوتَب الرابع (أَخْناتون) من أميرة تدعى (تادو خِيپا) أو (جيلو خِيپا)، ولعلها ابنة أخرى لتُوشْراتّا.

ولمقاربة الحقيقة فى هذا الشأن قدر المستطاع دعونا نُلق نظرة على أسماء وتواريخ حكم أبرز ملوك مصر وميتّانى فى تلك العهود:

فراعنة مصر	ملوك ميتّانى
١ - آمُونْحُوتَب الثانى (١٤٣٦ – ١٤١٣ ق.م)، أو (١٤٢٨ – ١٤٠٠ ق.م)	پارْساشاتار Parsashatar، حوالى (١٤٧٠ - ١٤٤٠ ق.م).
٢ - تُحوتْموس الرابع (١٤١٣ – ١٤٠٥ ق.م). أو (١٤٠٠ – ١٣٩٠ ق.م)	ساوْشّاتّار Saushshattar، حوالى (١٤٤٠ – ١٤٠٠ ق.م)،
٣ - آمُونْحُوتَب الثالث (١٤٠٥ – ١٣٦٧ ق.م).	أَرْتاتاما Artatama الأول، حوالى (١٤٠٠ – ١٣٨٠ ق.م).
٤ - آمُونْحُوتَب الرابع/ أخناتون (١٣٦٧ – ١٣٥٠ ق.م).	شُوتّارْنا Shuttarna الثانى، حوالى (١٣٨٠ - ١٣٦٦ ق.م).

ومهما يكن فالمؤكَّد أن علاقات المصاهرة كانت قائمة بين الأسرتين المالكتين فى مصر وميتّانى، وعلى الدوام كان الملك مصرياً والأميرة ميتّانية، وليس العكس، والمؤكَّد أيضاً أن تلك المصاهرة كانت لأغراض سياسية، تهدف إلى الربط بين العائلتين المالكتين برباط وثيق، وقد قال جِرْنُوت فيلْهِلْم بشأن المصاهرة:

"إننا نعرف ذلك بفضل ما ورد فى رسالة كُتبت بعد ذلك بجيلين، وهى تذكر أيضاً أن تلك المصاهرة تمّت بعد سبع دعوات؛ أى بعد مباحثات طويلة، ويشير ذلك إلى وجود توازن بين القوتين العُظميين، ولا بدّ أنه تم فى هذا السياق تنظيم الحدود المشتركة بينهما فى سوريا، وقد بقيت ثابتة خلال العقود التالية، فقد كانت حدود مناطق السيادة المصرية تمتد فى المناطق

الساحلية أكثر من الداخلية، وتشمل أوغاريت حاضرةَ سوريا التجارية. وفى وادى العاصى كانت الحدود فى منطقة سهل حِمْص تقريباً، وبقيت تُونيب وقَطَنا ضمن مناطق النفوذ الميتّانى، بينما امتدّت السيادة المصرية حتى قادِش وبلاد أَمُورّو"[1].

وأضاف جِرنُوت فيلْهِلْم قائلاً:

"لقد تمّ ربط معاهدة السلام بين ميتّانى ومصر غالباً مع ظهور خطر حثّى، إن المرحلة التاريخية الحثية التى تسبق عصر المملكة العظمى (الحديثة) مباشرة غير جليّة بعدُ، ولا يمكن تأريخ الأحداث القليلة التى وصلتنا أخبارها، وذلك بشكل موازٍ لتاريخ ميتّانى؛ ولذلك لا يمكن الاقتناع بأن الحثيين كانوا يشكّلون فى العَقدين الأولين من القرن الرابع عشر ق.م [١٤٠٠ — ١٣٨٠ ق.م] خطراً حقيقياً على ميتّانى أو مصر، بل يمكن بالأحرى افتراضُ أن السيطرة على الأوضاع الداخلية فى المملكتين باتت أكثر صعوبة، ولم تساعد على القيام بحملات توسعية أخرى. كما نلاحظ أن المملكتين شهدتا بعد حوالى جيلين اضطراباً داخلياً وعسكرياً، وهو أمر لا يمكن إرجاعه إلى ظهور مفاجئ لعدوّ خارجى"[2].

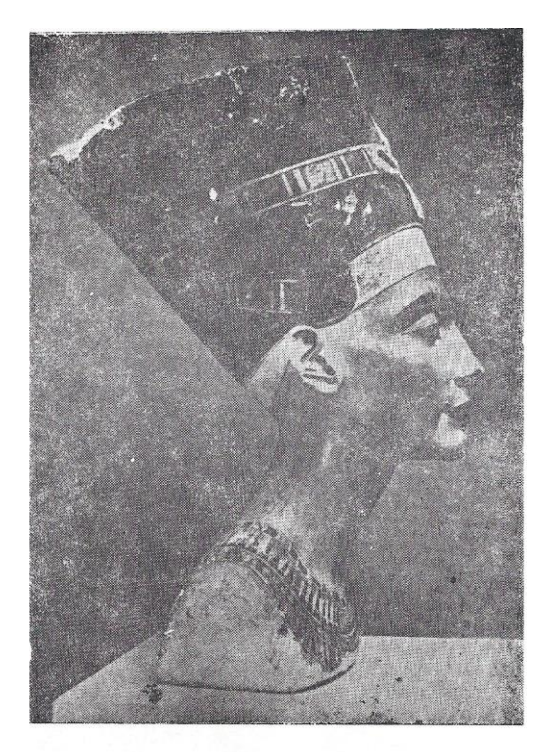
والأرجح أن علاقات المصاهرة بين الأسرتين المالكتين المصرية والميتّانية استمرت لا أقل من ثلاثة أجيال، وثمة معلومات بأن أم الملك آمُونْحُوتَب الثالث كانت ميتّانية من أعالى الفرات، وقد تزوج هو نفسه بأكثر من واحدة من الأميرات الميتّانيات، وحضرت إحداهن، وهى چيلو- خِپا (گِلو خِپا)، ومعها جهاز ضخم قيّم، و(٣١٧) وصيفة، وتزوّجت معظم الوصيفات من رجال البلاط المصرى، كما أن آمُونْحُوتَب الثالث زوّج ابنه وولىّ عهده آمُونْحُوتَب الرابع (أخناتون) من الأميرة الميتّانية تادو خِيپا التى اشتهرت فى مصر بلقب (نَفَرْتِيتى)، ويعنى بالمصرية (الجميلة وصلت)، وهى ابنة الملك الميتّانى شُوتَّارْنا[3].

---

١ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٦٤.

٢ - المرجع السابق، ص ٦٤ — ٦٥.

٣ - أحمد فخرى: دراسات فى تاريخ الشرق القديم، ص ٤٤، ٨٣. توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣١٤. محمد حرب فَرْزات، عيد مَرْعى: دول وحضارات الشرق العربى القديم، ص ١٦٠.



نفرتيتى فاتنة عصرها

وبما أن المملكة الحثية الحديثة بدأت بالظهور مرة أخرى كقوة عظمى على مسرح الأحداث السياسية والعسكرية فى غربى آسيا، وبدأت بتوسيع مناطق نفوذها فى شمالى سوريا، فقد تقاسم آمُونْحُوتَب الثالث مناطق النفوذ فى سوريا مع مملكة ميتّانى الصديقة، وكان النصف الشمالى من نصيب مملكة ميتّانى، واكتفى آمُونْحُوتَب الثالث بالسيطرة على النصف الجنوبى. والأرجح أن الدافع الأساسى لعملية التقسيم هذه هو عدم رغبة مصر فى الصدام المباشر مع الحثّيين، ووضع عبء الصدام مع المملكة الحثّية الناهضة على كاهل مملكة ميتّانى؛ إذ كان الحثّيون يعملون بإصرار على احتلال سوريا، وخاصة نصفها الشمالى التابع للنفوذ الميتّانى[1].

مَرْحَلَةُ تَراخِي العَلاقَات:

تولّى عرشَ مصر آمُونْحُوتَب (أَمْنوفِيس) الرابع الذى عُرف باسم أخناتون، فانصرف إلى تنفيذ برنامج دينى، وتغيّرت علاقات مصر مع مملكة ميتّانى، وانتهى إرسال الذهب المصرى إلى الملك الميتّانى، وتوقّف إرسال المبعوثين والمندوبين الخاصين من الطرفين، وانقطعت العلاقات تماماً، ولعل استخفاف الفرعون أخناتون بالعلاقات مع ميتّانى يعود إلى أن مملكة ميتّانى كانت محاصرة جزئياً أو كلياً من قِبل الحثّيين، ولم تَعُدْ تتمتّع بمكانتها السابقة كواحدة من القوى السياسية فى غربى آسيا، هذا إضافة إلى أن أخناتون انشغل بفلسفته الدينية الجديدة، وإحلال عقيدة (آتون) التوحيدية محل عقيدة (أمون) المصرية العريقة.

ونتيجة لانشغال أخناتون بثورته الدينية، وبالمشكلات الخطيرة الناجمة عن تلك الثورة، وأيضاً نتيجةً لبرودة العلاقات فى عهده بين مصر وميتّانى، ترك أخناتون حليفه الميتّانى يسقط فريسة الغزو الآشورى، وفى رسالة له إلى الفرعون أخناتون ساوى الملك الآشورى آشور أُوبالّيت (١٣٦٣ – ١٣٢٨ ق.م) نفسه بالملك الميتّانى، بل يبدو أن أخناتون رحّب بخلاص

---

١ – توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣٦٧ – ٣٦٨.

مملكة آشور من التبعية لمملكة ميتّانى، وهذا ما تحقق فى عهد الملك الآشورى شَلْمانَسَر الأول حوالى (١٢٧٤ — ١٢٤٥ ق.م) الذى أزال دولة ميتّانى من الوجود١.

وصحيح أن العلاقات بين ميتّانى ومصر كانت تهدف إلى كبح جماح أطماع العدوّ المشترَك (الدولة الحثّية)، غير أن العلاقات الميتّانية المصرية لم تقتصر على الجانب السياسى، وإنما كانت ذات أبعاد ثقافية أيضاً، وقد أثمرت تلك العلاقات فى عهد الفرعون آمُونْحُوتَب الرابع (أَخْناتون) (١٣٧٥ — ١٣٥٨ ق.م) أو (١٣٦٧ — ١٣٥٠ ق.م) ابن آمُونْحُوتَب الثالث، ولعله ابن الأميرة الميتّانية جيلو- خِيپا؛ فقد أحدث



اخناتون داعية التوحيد

١ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٧٣. محمد حرب فَرْزات، عيد مَرْعى: دول وحضارات الشرق العربى القديم، ص ١٩٦ — ١٧٠.

انقلاباً جوهرياً فى الدين المصرى، وأحلّ عبادة الإله الواحد (أَتُون)- مرموز إليه بقرص الشمس- محلَّ عبادة (أَمُون) المرموز إليه بالعجل أَبِيس، وأطلق على نفسه لقب (أَخن آتون/أخناتون)، ومعناه (أَتُون راض)، أو (حبيب أَتُون)، ولعل هذه الموجة الجديدة من الديانة الشمسانية التوحيدية انتقلت مع الأميرات الميتانّيات ووصيفاتهن إلى البلاط المصرى، فأحيا فى مصر الإرث الدينى الشمسانى القديم، المتمثّل فى الإله (رَعْ) قبل سيادة ديانة آمون[1].

---

١ - ول ديورانت: قصة الحضارة، ٦٨/٢ – ٧٩. وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٤٩/١. إيمانويل فلايكوفسكى: عصور فى فوضى، ص ٢٤٨ . عامر سليمان، وأحمد مالك الفِتْيان: محاضرات فى التاريخ القديم، ص ٢٨٥.

٣
المُراسَلات المَلَكيّةُ بَين مِيتّانى ومِصْر

إن علاقة ملوک الميتّانيين بملوک مصر کانت أقوى من العلاقات التى ربطت ملكَى مصر آمُونْحُوتَب الثالث وآمُونْحُوتَب الرابع (أخناتون) بالأسرة الكاشّية المالكة فى بابل، والدليل على ذلک اللهجة الودّية الحارّة السائدة فى الخطابات المتبادَلة بين الملک شُوتّارْنا الثانى بن أَرْتاتاما الأول وفرعون مصر تُحوتْموس الرابع، والتى يخاطب فيها کل ملک صاحبه بصيغة (الأخ)، وهى تعبير عن التكافؤ بين الاثنين، وجاء فى رسالة من تُوشْراتّا إلى الملک المصرى ما يلى:

"إلى نيموريا[1] الملک الكبير، ملک مصر، أخى، صهرى، إلى الذى أحبّه ويحبّنى، أنا بخير، لعلّک بخير، لعلّ بيتَک وأختى وبقيّةَ نسائک وأطفالک وعرباتک وأحصنتک، وبلادَک وكلّ ما تملک، لعلّهم جميعاً بخير وفير وفير جدّاً. كانت صداقة متينة تربط فيما مضى بين آبائک وآبائى، وقد وطّدتَها، وكانت صداقةٌ متينة جدّاً تربطک مع والدى، وبما أننا الآن فى علاقات صداقة متينة جدّاً، فقد جعلتَها أنت أقوى بعشرة أضعاف عمّا كانت عليه فى عهد والدى، لعلّ الآلهة تزيدها قوّةً عمّا نحن فيه الآن من صداقة، ونزولاً عند رغبة سيّدى تِشُّوب[2] وسيّدى عَمُون[3] ستبقى إلى الأبد.

---

١ - نيموريا، وورد بصيغة (نيمّوريّا) أيضاً، هو اسم آمُونْحُوتَب الثالث قبل اعتلائه العرش.

٢ - تِشّوب: كبير آلهة الحوريين.

٣ - عَمُون: هو أمون كبير آلهة مصر، وما زال اسمه باقياً فى صيغة (آمين) التى تَرِد فى الابتهالات عند المسيحيين والمسلمين.

وعندما بعث أخى رسوله مانى، قال أخى: ''ابعثْ لى ابنتك زوجةً لى وسيّدة لمصر''، وبما أنى لا أريد أن أسبّب الألم لقلب أخى قلت بسرور: ''سأحقق له ذلك''، ولقد أَرَيتُ مانى المرأةَ التى رغب فيها أخى، وعندما شاهدها امتدحها جيّداً، لعلّها تصل بخير إلى بلاد أخى، لعلّ عَشتار وعَمون يجعلان أخى مسروراً.

ونقل إلىّ رسولى جيليا كلمات أخى، ولّما سمعتُها بدتْ لى طيّبة جداً، وسررتُ للكميات١ وعقبتُ على ذلك: ''انظر، بناءً على هذه الكلمات سنظل فى علاقات صداقة أبدية''. وعندما أرسلتُ إلى أخى قلت أيضاً: عشرةُ أضعاف ما كان لوالدى، ورجوتُ من أخى ذهباً كثيراً، حيث قلت: ''لعلّ أخى يخصّص لى أكثرَ ممّا أرسله لوالدى ويرسله عادةً إلىّ''. ألم ترسلْ لوالدى ذهباً كثيراً، أوعيةَ أضاحى ذهبيّة كبيرة، وأباريقَ ذهبيّة كبيرة، وأرسلتَ له لوحات ذهبيّة كبيرة؟ لقد أرسلتَ له (من ذلك) كثيراً كالنحاس... ولعلّ أخى يرسل لى ذهباً كثيراً، بكميات كبيرة، لعلّ أخى يرسل إلىّ، لعلّ أخى يرسل ذهباً أكثر مما أرسله لوالدى"٢.

وجاء فى رسالة أخرى من تُوشْراتّا إلى آمُونْحُوتَب الثالث، بشأن زواج الفرعون من إحدى بنات تُوشْراتّا تدعى تادو- خِپا (تُتو —خِپا)، وهى غير (تادو- خِپا) التى تزوّجها أخناتون، يقول تُوشْراتّا:

"لـــ (نيمّوريّا)، لملك مصر، لأخى، لصهرى الذى أحبّ، الذى يحبّنى، قل ما يأتى: هكذا يقول تُوشْراتّا ملك بلاد ميتّانى، حَمُوكَ الذى يحبّك، أخوكَ، أحوالى جيّدة، أتمّنى أن تكون أحوالك جيّدة أيضاً، يا صهرى، أتمّنى أن تكون أحوال نسائك وأبنائك وشيوخك (كبارك) وخيولك وعرباتك الحربية وقوّاتك العسكرية وبلادك وممتلكاتك جيّدة...

وتمّنى أخى زوجةً له، والآن ها قد أعطيتُها، وقد سارت إلى أخى، ... والآن ها قد أعطيتُها، وقد سارت إلى أخى... والآن ها قد أعطيتُ أخى زوجةً، وقد سارت إلى أخى، وعندما تصل سيراها أخى، ... وستصل، وهى مُبهِجة لأخى مناسبة لرغبة قلب أخى، وسيتلقّى أخى مرة أخرى مَهْراً، ...

---

١ – المقصود كميات الذهب.

٢ – توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣١٤ – ٣١٥.

وإذا ما وصلتْ زوجةُ أخى وأظهرتْ نفسها لأخى، فليت (هديّتى) تُكشَف، وليت أخى يجمع كلَّ البلاد وجميعَ البلاد الأخرى والوجهاء، وليكن كلُّ الرسل حاضرين، وليُعرَضْ على أخى مَهْرُه، ليت كلَّ شىء يكون فى نظر أخى مُثيراً للسعادة...وليت المَهْرَ يكون مُثيراً للسعادة، وليتها هى [العروس] تكون مُبهجة.

والآن ها هى ابنة أبى، أختى هناك، والرَّقِيم الذى يتضمّن مَهرَها موجود، وها هى ابنة جدّى، أخت أبى هناك أيضاً، والرَّقِيم الذى يتضمّن مَهرها موجود أيضاً، ليت أخى يطلب رَقِيمَيهما، ويسمع الكلمات المدوَّنة عليهما، وليتَه يطلب رَقيمى، رَقيمَ المَهر الذى قدّمتُه أنا، وليتَه يسمَع أن المَهْرَ كبير، أنه جميل، أنه لائق بأخى.

أودّ أن أقول لأخى أمراً آخر، وليت أخى يسمعه... إنّ الأشياء التى حقّقها أَرْتَتَما جَدّى لأبيك هى...، وقد جعلتُها أكثرَ فيما أرسلتُه إليك وضاعفتُها عشرَ مرّات... وليت أخى يجعلنى غنيّاً فى نظر بلادى، وليت أخى لا يُمْرِضُ قلبى! لذلك... تمنّيتُ من أخى تمثالاً لابنتى مسكوباً من الذهب. أنا أعلمُ أنّ أخى يحبّنى من أعماق القلب بدرجة كبيرة جدّاً جدّاً، وأعلمُ أيضاً أنّ فى بلاد أخى ذهباً... كثيراً...

ومن ناحية ثانية؛ ليتَ أخى يقدّم... تمثالاً من العاج. (وأتمنّى أن أسمع ما يأتى) : ''هذا التمثال المسكوب من الذهب هو تمثال تَتو- خِبا ابنة تُشْرَتّا سيّد ميتّانى؛ التى أعطاها لإيمُّوريّا١ سيّد مصر زوجةً له. وقد صنع إمّوريّا تمثالاً مسكوباً من الذهب، وقدّمه بكل حبّ لتُشْرَتّا''.

ولهذا كله فإننا نحبّ بعضنا، بشكل كبير جدّاً جدّاً، ويسود فى بلادنا السلام، أتمنّى ألاّ يوجدَ عدوٌّ لأخى، ولكن إذا ما حصل أن تغلغل عدوٌّ لأخى فى بلاده فليرسلْ إلىّ خبراً، وسوف تكون البلاد الحورية، والمدرّعات والأسلحة وغيرها، تحت تصرّف أخى لمواجهة العدوّ. من ناحية ثانية إذا ما وُجد عدوّ لى- وأتمنّى ألاّ يوجد- فسأرسل إلى أخى خبراً، وسوف يضع أخى البلاد المصرية، والمدرعات والأسلحة وغيرها، مما يخصّ صديقى تحت تصرّفى.

...وإذا ما قال شخصٌ ما لأخى أيَّ كلام سوء عنّى أو عن بلادى، فعسى أخى لا يصدّقُ تلك الكلمات إنْ لم يقلها مانِ وكِليّا٢. أما الكلمات التى يقوها مانِ وكِليّا عنّى أو عن بلادى فهى حقيقة وصحيحة، وعسى أخى يصدّقها. ومن ناحية ثانية؛ إذا ما قال شخصٌ ما

---

١ - كذا، والمقصود: نيمّوريّا.

٢ - المبعوثان المصرى والميتّانى.

لى أيَّ شىء عن أخى أو عن بلاده فلن أصدّقه، إنْ لم يقله كِليّا ومانِ، أمّا ما يقوله كِليّا ومانِ عن أخى أو عن بلاده فهو حقيقى وصحيح، وسأصدّقه.

والآن لقد حقّقتُ كلَّ ما ذكره أخى وتمنّاه، وجعلتُه فى عشرة أضعاف، وحرصتُ على ألاّ أُزعج قلبَ أخى بأىّ شىء، وأعطيتُ أخى زوجةً تُبهج قلبَه، وأرسلتُ مانِ مبعوثَ أخى، وكذلك كِليّا وأرتشّوب وأَسَلى مبعوثِىّ- كِليّا هو من الكبار وأَسَلى هو كاتب رَقيمى...- إلى أخى بشكل لطيف جدّاً، وسوف يراهم أخى.

عسى أخى لا يُوقف مبعوثِىّ...، وعسى أخى يَدَعُهم يأتون بأقصى سرعة...، فأنا أودّ أن أسمع ما يُطَمْئن عن صحة أخى وحالته الجيّدة، وسأفرح كثيراً لسلامة أخى.

قد يقول أخى: ''أنت نفسَك أوقفتَ مبعوثِىّ أيضاً''! لا، لم أُوقفهم،... عسى أخى يَدَعُ مبعوثِىّ يأتون بأقصى سرعة، ومن المفروض أن ينطلقوا، وعسى أخى يرسل معهم مانِ، ولْينطلقْ مع مبعوثىّ. وليت أخى لا يرسل مبعوثاً آخر، ليته يُرسل مانِ فقط، وإذا لم يرسل أخى مانِ، وأرسل غيره، فأنا لا أودّ ذلك، وليت أخى يعرف ذلك. لا، أتمنّى أن يرسل أخى مانِ.

إننى أتمنّى من قلبى وبدرجة كبيرة أنْ أكون جيّداً مع أخى، وأنْ أصون المودّةَ المتبادَلة، وأنْ يرعى أخى هذا الإخلاص بدرجة كبيرة. إننا نريد أنْ نكون جيّدَين مع بعضنا، ونرغب من قلبَينا أنْ نحبّ بعضنا...، وكما يحدّد شِرى وإلهُك حياتَنا ومصيرَنا، ليتهما يتوسّطان لنا لدى الإلهين تِشّوب وأمانُ[1] سيّدَينا وأبَوَينا، ولنكنْ محمِيَّين...، ولْنحبّ بعضَنا بشكل أخوىّ وحميم، كما يحبّ المرءُ إلهَ الشمس...؛ هكذا نريد أنْ نحبّ بعضنا"[2].

وقال تُوشْراتّا فى رسالة أخرى إلى آمُونْحُوتَب الثالث:

"إلى آمُونْحُوتَب العظيم ملك مصر، وأخى وصهرى الذى أحبّه ويحبّنى، أقول أنا دُوشراتّا ملك ميتّانى العظيم وأخوك ووالدُ زوجتك الذى يحبّك، صحتى جيّدة، وإنّى أبعث إليك بتحيّاتى يا أخى وصهرى، وكذالك إلى أقاربك وزوجاتك وأبنائك ورجالك،... "[3].

---

١ - كذا، والأرجح أن المقصود: آمون.

٢ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٧٠ – ٧٣.

٣ - أحمد فخرى: دراسات فى تاريخ الشرق القديم، ص ٨١.

وثمة مجموعة رسائل أرسلها الملك تُوشْراتّا (والد تادو- خيپا) إلى أحد فراعنة الأسرة الملكية الثامنة عشرة فى مصر، والأرجح أنه آمُونْحُوتَب الثالث، واكتُشفت جميعُها أثناء الحفريات فى موقع تل العَمارِنة، يقول تُوشْراتّا فى إحداها:

"... وفى النهاية ليسمحْ لى أخى؛ لأقول الكلمة لكى يسمعه أخى، فما يتعلق بمناسبة مصاريف الزفاف التى أُرسلتْ من قِبل أخى بيد مانى قد وصلت،... وهكذا أرسلتُ حقاً تمنّياتى، لأن أخى قد أرسل لى الهديّةَ التى أَوصيتُ به مانى... وتلك الرسائل التى بعثها أخى [فيما لو يرسل أخى هدايا لى] سأكون بناءً على ذلك فرحاً جدّاً جدّاً من كل قلبى، وبهذه الطريقة يا أخى هو هذا كلُّ الصدق الذى قلتُه"١.

وفى رسالة أخرى ذات الرقم (٢٥)، يتضح أن الملك الميتّانى تُوشْراتّا قد استلم هدية تزويج ابنته، فيقول: "هذا التمثال الذهبى المصبوب هو تادو- خيپا ابنة تُوشْراتّا، ملك ميتّانى التى أصبحت زوجاً لإموريا ملك مصر، وصنع إموريا تمثالاً لها من الذهب، ومنحه لتُوشْراتّا مع كل المحبّة"٢.

لا ريب فى أن هذه رسالة أخوية ودبلوماسية مهمّة بين ملكين لقوّتين إقليميتين كبيرتين فى الألف الثانى قبل الميلاد، وقد علّق جِرْنوت فيلهِلْم عليها قائلاً: "ثمّة ملاحظة مهمّة؛ هى أنّ رجاء تُوشْرَتّا المتكرّر تزويده بذهب أكثر هو ذو علاقة بعزمه على بناء ضريح (فى الحورية: كَرَشْک) لجدّه أَرْتَاتَاما الأول، وأن تأكيده على الاهتمام بالسلف الملكى يرجع إلى حرصه على إزالة التشكيک بشرعية حكمه"٣.

وأورد الدكتور عبد العزيز صالح رسالة من الملك الميتّانى- لم يذكر اسمه، والأرجح أنه تُوشْراتّا-إلى صهره آمُونْحُوتَب الثالث يقول فيها:

"أخى، أرجو أن تُهدِيَنى ذهباً كثيراً لا يُحصى، وإنى على ثقة من أن أخى سوف يحقق ذلك، ويُهدينى ذهباً أكثر من الذهب الذى حصل والدى عليه، أليس الذهب فى بلد أخى كتراب الأرض؟ بارک الأربابُ فيه حتى يصبح الذهب فى أرض أخى أضعافَ ما هو عليه

---

١ - جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٩٢/٢.

٢ - المرجع السابق، ٩٤/٢.

٣ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٧٣.

الآن، وعسى ما أطلبه لا يضايق أخى ولا يضيق به قلبه، ... وسوف أردّ لأخى فضله عشر أمثال مما يشتهيه، فهذه الأرض أرض أخى، وهذا البيت بيت أخى"١.

والحقيقة أن رسالة الملك الميتّانى تحمل كثيراً من الدلالات السياسية فى طيّات مشاعر الصداقة الجيّاشة، وفيما يلى أهم النقاط التى ركّز عليها الملك الميتّانى:

تذكير الفرعون بأن الصداقة بينهما ليست مستحدَثة، وإنما هى تراث عريق، يرجع إلى عهود الأجداد (هذا يوحى ضمناً بأن من الضرورى استمرارها، وأن التخلّى عنها هو خروج عن النهج الذى رسمه الأجداد).

ظهور قدر كبير من التقوى فى خطاب الملك الميتّانى، وهو لا يميّز بين الإله الوطنى الحورى تِشّوب والإله الوطنى المصرى أمون، فيصف كلاً منهما بلقب (سيّدى)، (هذا يوحى بأن الصداقة بين الملكين والمملكتين هى مقدّسة باركها كل من الإله الحورى والإله المصرى)

الفرعون المصرى هو طالب الزواج من الأميرة الميتّانية تُتُو-خِبّا ابنة تُوشْراتّا، وهذا الزواج هو تقليد سنّه الفراعنة الذين قبله، إذ سبق أن زُفّت عمّة تُوشْراتّا وأخته إلى فراعنة سابقين (هذا دليل على أن ملوك مصر كانوا يرغبون فى الزواج من الأميرات الميتّانيات، ونعتقد أن السبب لم يكن يقتصر على جمالهنّ الأخّاذ، وإنما أيضاً لتميّزهن بقدر رفيع من السلوك الحضارى بمقاييس ذلك العصر).

حرص الملك الميتّانى على الإشادة المتكررة بجمال ابنته، وبأنها ستُدخل البهجة على قلب الفرعون المصرى (هذا يعنى ضمناً أن الملك الميتّانى كان حريصاً على كسب قلب الفرعون من خلال جمال ابنته).

أرسل الملك الميتّانى مع ابنته مَهراً ثمين القيمة جداً، ويطلب من الفرعون أن يقارن بين هذا المهر والمهر الذى أرسله كلٌّ من جدّه وأبيه لكل من عمته وأخته سابقاً (وهذا يعنى ضمناً أن الملك الميتّانى كان راغباً فى تطوير العلاقة نحو الأفضل).

لقاء المَهر المرسَل، يطلب الملك الميتّانى من الفرعون كثيراً من الذهب، لكن بلباقة وليس بطريقة فجّة، فهو يطلب أن يرسل له الملك تمثالاً للعروس الميتّانية مسكوباً من الذهب، وأخر من العاج (هذا يعنى أن الملك الميتّانى كان بحاجة ماسّة إلى الذهب، وأن ملوك مصر كانوا يمتلكون كميّات كبيرة منه، باعتبار أنهم كانوا يسيطرون على مناجم الذهب فى جنوب

---

١ – عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص ٢٣٨.

مصر، والملاحَظ أن ملوك مملكة كاشّو كانوا يلحّون أيضاً على طلب كميّات كبيرة من الذهب من فراعنة مصر).

يحرص الملك الميتّانى على أن تكون القوة الحربية المصرية بخير، ويؤكد من خلال رسالته التزامَه المطلق بمضمون معاهدة الصداقة والدفاع المشترك بين المملكتين، وأنه على أُهبة الاستعداد للوقوف إلى جانب الفرعون ضدّ كل عدوان على مصر، ويتوقّع أن يعامله الفرعون بالمثل (وبطبيعة الحال كانت مملكة الحثيين فى الأناضول العدوَّ المشترَك للمملكتين، وكانت مملكة ميتّانى أكثر عرضة لاعتداءات الحثيين، لذلك كان الملك الميتّانى حريصاً على أن يقف حليفه المصرى إلى جانبه فى المستقبل).

يبدو الملك الميتّانى راغباً فى السلام مع الجميع، فهو يتمنّى فى رسالته ألاّ يكون له عدوّ (الملاحَظ أن هذا النهج يسود فى معظم عهود تاريخ أسلاف الكورد قبل الميلاد، ويسود فى جميع عهود تاريخ الكورد بعدئذ، وهو دليل على أن الأمة الكوردية ترغب فى السلام والوئام مع الآخرين، وكانت فى معظم تاريخها فى موقف الدفاع عن النفس).

يبدو من خلال العبارات الواردة فى آخر الرسالة أن ثمة جهات إقليمية- وربما مصرية- كانت تعمل لتعكير صفاء الصداقة بين الملكين، ويحرص الملك الميتّانى على إزالة الشكوك، والتأكيد بأن صداقته راسخة).

وفى رسالة بعثها الملك الميتّانى تُوشْراتّا الثانى إلى الفرعون المصرى آمُونْحُوتَب (أَمْنُوفِيس) الثالث، يتضح أن الفرعون كان يعانى من تقيّح مؤلم فى أسنانه، وأن الملك الميتّانى أرسل تمثال الإلهة عَشتار لتشفيه من مرضه، ويُفهم من الرسالة أن تمثال عَشتار كان قد أرسل إلى مصر فى عهد أَرْتاتاما الأول والد تُوشْراتّا، وبعد فاتحة طويلة قال الملك الميتّانى فى رسالته:

"هكذا تقول عشْتار نِينَوَى، سيّدة البلدان: سأذهب إلى مصر، البلاد التى أحبّها، ... واعلمْ أننى أرسلتُها، وأنها جاءت فى طريقها إليكم، واعلمْ أن السيّدة كانت قد ذهبت إلى تلك البلاد فى زمن أبى، ... ومثلما كرّمها الناس عندما نزلتْ فى المرة السابقة، عسى أن يكرّمها أخى عشر مرات أكثر من الأيام السابقة، وأن يرعاها ومن ثَمّ يُرجعها، وعسى أن تَحفظ عَشْتارُ سيّدةُ السماء أخى، وتحفظنى مئة ألف عام، وعسى أن تُعطى هذه الإلهة لكلينا صداقة متينة. إنّ عَشْتار بالنسبة لى هى إلهتى، أما بالنسبة لأخى فهى ليست إلهته"[1].

---

١ - فاضل عبد الواحد علي: من سومر إلى التوراة، ص ١٥٨.

وكان من الطبيعى أن يحرص تُوشْراتّا على بقاء العلاقات الميتّانية- المصرية راسخة، وأن يتأثّر بشدّة حينما عرف أن صديقه وصهره آمُونْحُوتَب الثالث توفّى، خوفاً من أن تتعرض العلاقات بين المملكتين إلى التراخى وربما إلى الضرر، ولذلك بادر إلى مراسلة الملك المصرى الجديد آمُونْحُوتَب الرابع (أخناتون) ابن آمُونْحُوتَب الثالث، معبّراً عن حزنه الشديد على الفقيد الراحل، وعن ارتياحه التام لكون أخناتون هو الذى تولّى العرش، قائلاً له ومعزّياً:

"حينما مات والدك بكيتُ يوم علمتُ بوفاته، وسقطتُ مريضاً، وأشرفتُ على الهلاك، ولكن عندما علمتُ بأن أكبر أنجال الملك آمُونْحُوتَب والملكة تى قد جلس على العرش، قلتُ الآن لم يمتْ آمُونْحُوتَب"[١].

---

١ - أحمد فخرى: دراسات فى تاريخ الشرق القديم، ص ٨٢.

الفَصْلُ الرَّابِع

مَمْلَكَـــــــةُ مِيتَّـــــــــانى

(طَوْرُ الانْحِـــــــــــدار والزَّوال)

١
مَمْلَكَة مِيتَّانى فى طَوْر الانْحِدار

تَوازُناتُ القِوَى الإقْلِيميَّة:

إن تصاعد قوة مملكة ميتّانى تحقّق بفضل ملوك أقوياء من الفرع الميتّانى الحورى، وكان ذلك التصاعد معاصراً لضعف المملكة الآشورية الوسطى (١٥٢١ – ٩١١ ق.م) فى الشرق، ولضعف المملكة الحثية القديمة (١٦٠٠ – ١٣٨٠ ق.م) فى الشمال الغربى خلال النصف الثانى من عهدها، إضافةً إلى أن مملكة كاشّو فى بابل كانت تنزع إلى السلام مع دول الجوار، واكتفى ملوكها بحكم وسط بلاد الرافدَين وجنوبها ومواطنهم الأصلية فى جبال زاغروس الوسطى، ولم يكونوا راغبين فى التوسع غرباً نحو سوريا والأناضول. وأما مملكة مصر فصحيح أنها نهضت من جديد فى أوائل عهد الأسرة الثامنة عشرة (١٥٧٥ – ١٢١٤ ق.م)، لكن ملوكها الأوائل اكتفوا بالسيطرة على فلسطين وعلى النصف الجنوبى من سوريا، ولم تظهر تطلعاتهم نحو شمال شرقى سوريا إلا فى عهد الفرعون تحتمس الثالث (١٤٩٠ – ١٤٣٦ ق.م).

لكن موازين القوى بدأت بالتغيّر فى القرن (١٤ ق.م)، فمن جانب ظهرت المملكة الحثية الحديثة بقوتها الفتيّة الطامحة إلى التوسع شرقاً نحو بلاد الرافدَين وجنوباً نحو جنوبى سوريا، وظهر ملوك أقوياء فى مملكة آشور أيضاً، وراحوا يتحيّنون الفرصة المناسبة للخلاص من قبضة مملكة ميتّانى، وتنفيذ مشروع التوسّع غرباً للوصول إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط، إضافة إلى رغبة ملوك مصر الأقوياء فى التوسع نحو الشمال والشمال الشرقى، ووجد ملوك مملكة ميتّانى أنفسهم فى مواجهة قوى إقليمية ناهضة وقوية تنافسهم شرقاً وشمالاً وجنوباً، وكانت النتيجة أن المملكة خسرت مواقعها الجيوسياسية حيناً بعد آخر، إلى أن انتهى بها الأمر إلى السقوط على أيدى الحثيين من الشمال، ثم أجهز عليها الآشوريون من الشرق.

ويمكن القول بصورة عامة: إن الصراع الحثّى والآشورى ضد مملكة ميتّانى كان صراع وجود؛ إذ كان ملوک الحثّيين وملوک آشور يعملون بكل وسيلة للقضاء على مملكة ميتّانى، وضمّ ممتلكاتها ذات الموقع الجيوسياسى المهم إلى دائرة نفوذهم. أما الصراع الميتّانى- المصرى فكان صراعاً على المصالح؛ إذ كان يهمّ المصريين أن يكون لهم نفوذ فى القسم الجنوبى من بلاد الشام على الأقل، وأن تتحقّق مصالحهم التجارية فى شمالى سوريا وفى مملكة ميتّانى بشكل عام، وقد مرّ أن الصراع بدأ حامياً بين المصريين والميتّانيين، لكنّ الفريقين الميتّانى والحثّى توصّلا إلى الحل عبر تفاهمات سياسية وعبر المصاهرة. وفيما يلى تفاصيل الصراع.

الصِّراعُ المِيتَّـــــانى- الحِّثِّى:

مرّ أن الميتّانيين طبقة حاكمة من الحوريين، ضخّوا دماء جديدة فى جسد المجتمع الحورى، وورثوا نفوذها الجيوسياسى، بما فيه السيطرة على شبكة الطرق التجارية العالمية، وخاصة الطريق التجارى الواصل بين بلاد الرافدَين ومصر عبر شمالى سوريا ووسطها، وكان من الطبيعى أن يصطدموا بالمملكة الحثّية فى الأناضول (آسيا الصغرى). وفى الوقت الذى نشأت فيه مملكة ميتّانى، وشهدت نهوضاً قوياً (خلال القرن ١٥ ق.م)، كانت الإمبراطورية الحثّية القديمة قد ضعفت بسبب الصراعات الداخلية، فبسط الميتّانيون نفوذهم على شمالى سوريا، ولكن ما لبثت الإمبراطورية الحثّية الحديثة أن نهضت بين (١٣٨٠ – ١١٩٠ ق.م)، وصارت قوة إقليمية ذات شأن، وصارت تقارع الدولة الميتّانية من جانب، وتقارع الدولة المصرية من جانب آخر، وكان الهدف- كما مر- هو السيطرة على شبكة طريقى الحرير والبخور فى غربى آسيا عامة، وفى شرقى البحر المتوسط خاصة.

لقد بدأت الإمبراطورية الحثية الحديثة بالنهوض فى عهد الملک الحثّى شوپّيلوليوما (١٣٨٠- ١٣٤٦ ق.م)، إنه تولّى العرش بعد فترة ضعف، وأعاد بسط النفوذ الحثى على شرقى آسيا الصغرى وغربيها، ولم يكتفِ بذلک بل اجتاز جبال طوروس، ووصل إلى لبنان، وغزا مناطق الأموريين فى وسط سوريا وعلى سواحلها، وأصبح معظم الشمال السورى خاضعاً للنفوذ الحثى.

لكن مع ذلک ظلت مملكة ميتّانى تشكّل عَقَبة وحيدة فى طريق السيطرة الحثية الكاملة على النصف الشمالى من سوريا، إضافة إلى أن مصر كانت العدو الأشدّ خطورة على المصالح الحثّية، بسبب الصراع على سوريا وفلسطين، وكان من المهم بالنسبة للحثّيين ضربُ الصداقة القائمة حينذاک بين مصر وميتّانى، والقضاء على النفوذ والمصالح المصرية فى شمالى سوريا،

وقد ساءهم أن يحصل تقارب بين ملوك ميتّانى وفراعنة مصر، وبما أن علاقات الصداقة والمصاهرة بين ملوك ميتّانى وملوك مصر كانت عميقة ووثيقة، و لم ينجرّ ملوك ميتّانى إلى دائرة النفوذ الحثّى، بادر الحثيون إلى العمل على تقويض مملكة ميتّانى وإزالة نفوذها، كى يخلو الجو للمشروع التوسعى الحثى.

وقد نشط الحثيون على محورين: محور سياسى ومحور عسكرى.

المِحْوَر السِّياسى: كانت مملكة ميتّانى قد بلغت فى عهد الملك شُوتّارنا Shuttarna (شُتَّرْنا) الثانى (حوالى عام ١٣٨٠ ق.م) درجة عالية من الشهرة والنفوذ، إلى درجة أنه صادق الفرعون أمنوفيس (آمُونْحُوتَب) الثالث، وزوّجه من ابنته تادو- خِيبّا (تاتو-خِيپا)، لكن بدأ الانحدار بعد هذا الملك مباشرة؛ إذ كان أحد كبار الضباط الميتّانيين، واسمه أُوتْخى Utkhi- من أعداء التحالف مع المصريين- فاغتال ولىّ العهد أَرْتاشُوارا Artashuwara، ونصب الابن الأصغر لشُوتّارْنا الثانى، واسمه تُوشْراتّا Tushratta ملكاً على ميتّانى حوالى سنة (١٣٦٠ ق.م)، كى يكون طوْع يديه، لكنّ بعد أن تولّى تُوشْراتّا العرش رسّخ سلطته، وقضى على قتلة أخيه بما فيهم أُوتْخى، واستقلّ بالسلطة، وحرص على أن يعيد للمملكة قوتها ومكانتها الإقليمية، ويجعلها منافسة لكلّ من المملكة الحثية فى الشمال وللمملكة المصرية فى الجنوب.

وقد مرّ فى الفصل الأول أن الحوريين كانوا ينتشرون فى مناطق واسعة جداً، تمتد من أرّابْخا (كركوك) شرقاً إلى البحر الأبيض المتوسط غرباً، ويبدو أنه كان ثمة صراع داخلى بين الطبقات الحورية الحاكمة، وكان ملوك فرع ميتّانى ينافسون الحكام الذين سمّوا أنفسهم (ملوك بلاد حورى/خورّى) Khurri، وعلى الغالب كان نهر الفرات هو الحدّ الفاصل بين البلاد التى كانت تحت نفوذ ملوك حورى وتلك التى كانت تحت نفوذ الميتّانيين١.

ولذلك لم تسر كما شاء لها تُوشْراتّا، وخاصة أن النزاعات الداخلية أطلّت برأسها داخل الأسرة الحاكمة، وظهر أمير منافس يُدعى أَرْتاتاما Artatama (أرتاداما) الثانى، وتزعّم حزباً معادياً لتُوشْراتّا، وتمرّد على حكومة المركز، مستفيداً من الدعم الآشورى له، وأقام مملكة صغيرة تدعى (هانيجَلْبات/خانى جَلْبات) فى المنطقة التى سُمّيت بعدئذ (طُور عَبْدِين)،

---

١ – عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٧٨.

وصارت منافسة لمملكة ميتّانى الأم، وتحالف أرتاتاما الثانى مع الملك الحثّى شوبيلوليوما، فى الوقت الذى كان فيه تُوشْراتّا متحالفاً مع الفرعون أَمْنُوفيس (آمُونْحُوتَب) الثالث[1].

وهكذا بات واضحاً أن مملكة ميتّانى فقدت قرارها السياسى المستقل، وصارت منقسمة على نفسها، ودائرة فى فلك نفوذ أكبر قوتين إقليميتين حينذاك: مملكة الحثيين والمملكة المصرية. وقد عدّ تُوشْراتّا تصرّف أرتاتاما إذلالاً لشخصه، وتحدّياً صارخاً لنفوذه، وبدأ التوتّر بين الملكين الميتّانى والحثّى، وازداد التوتّر عندما أعلنت مقاطعة (شى) المجاورة لأراضى مملكة ميتّانى الولاء للملك الحثى، واضطر الملك الميتّانى تُوشْراتّا إلى الدخول فى عداء صريح ضد مملكة الحثيين[2].

المِحْوَرُ العَسْكَرى: بعد أن نجح الملك الحثى شوبيلوليوما فى استفزاز الملك الميتّانى تُوشْراتّا، ودفْعه إلى الدخول فى عداء ضد الحثيين، انتهز الفرصة، وظل طوال ستّة أعوام يشنّ الحملات على بلاد الحوريين فى شمالى سوريا.

ـــ فى الحملة الأولى هاجم أحد قادة الحثيين سهل البقاع فى لبنان التى كانت موالية لمصر، ويبدو أنه كان يريد تطويق مملكة ميتّانى من الجنوب الغربى، وقطْع الطريق بين الحليفين (مصر وميتّانى)، وقطْع طرق مواصلاتها مع الموانئ السورية فى شرقى المتوسط، لتضييق الخناق عليها اقتصادياً، وتمهيداً للقضاء عليهما.

ـــ وفى الحملة الثانية توجّهت جيوش الحثيين نحو الفرات فى عمق مملكة ميتّانى، حيث توجد مملكة كَرْكَميش ذات الموقع الجيوسياسى والتجارى، وكانت تلك الجيوش بقيادة تيليبينو Telipinu ابن الملك شوبيلوليوما، والذى كان يشغل وظيفة كاهن كُومانى عاصمة إقليم كيزُّوواتْنا (كيزُّوفَتْنا التى تشمل كِيليكْيا وما حولها)، وكان لنجاحه المفاجئ أثره فى خضوع مملكتى أَرْزِيا Arziya (أَرْزاوا Arzawa فى أقصى جنوب غربى آسيا الصغرى) وكَرْكَميش، لكن مدينة كَرْكَميش لم تسقط.

---

١ – جِرْنُوت فيلْهِلْم: الحوريون، ص ٧٤.

٢ – توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٢٧٥ – ٢٧٦، ٣١٦.



الأناضول في عهد الحثيين

وقد عاد تيليپينو إلى بلاده لحضور بعض الطقوس الدينية العاجلة، تاركاً إدارة الحملة للقائد لوپاكّى Lupakki، وقد سهّلت عودة تيليپينو للفرق الحربية الميتّانية الهجوم على الجيش المعسكر فى خُورْمُوريجا Khurmuriga، فطوّقتها وحاصرتها، وقام المصريون فى الوقت نفسه بمهاجمة قادِش (تل النبى مَنْد)، وهذا دليل على أن ميتّانى ومصر كانت قد شعرتا بالخطر الحثّى الزاحف نحوهما، وبضرورة التصدّى له، فنسّقتا فيما بينهما للقيام بالعلميات الحربية ضد الهجمات الحثية، وهو ما يسمّى فى العلوم العسكرية بالهجوم المضادّ[١].

ـــ وفى الحملة الثالثة جهّز شوپيلوليوما ضربته الحاسمة بعناية تامة، إنه قام بتجميع قوات جديدة فى تِجارْما Tegarma، (كانت تقع جنوبى مَلاطِيا الحالية)، وعند حلول الربيع أرسلها إلى سوريا تحت إشراف ولىّ العهد أَرْنُووَانْداش Arnuwandash، يساعده قائد

---

١ – عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٨٨. محمد حرب فَرْزات، وعيد مَرْعى: دول وحضارات الشرق العربى القديم، ص ١٧٠.

عسكرى يُدعى زِيداش Zidash، وألحق الجيشُ الحثى الهزيمةَ بالميتّانيين، ورفع الحصار عن خُورْموريجا، وتقدم لمحاصرة كَرْكَميش، وفى الوقت نفسه أرسل بعض الفرق العسكرية لمهاجمة المصريين فى قادِش وإبعادهم واحتلال البقاع فى شرقى لبنان١.

ونتيجة الحملات المتتالية اجتاح شوپيلوليوما بجيوشه مناطق سوريا الشمالية، وقضى على نفوذ الملك الميتّانى فى سوريا، وقام بعزل جميع الولاة الحوريين الذين كان الميتّانيون يعتمدون عليهم، ونصب بدلاً منهم ولاة آخرين يثق بهم، ويكونون تابعين للدولة الحثية، وبطبيعة الحال أدّى ذلك إلى تقويض توازن القوى بين الخصوم الأقوياء (مصر والحثيين والميتّانيين)، وإلى ازدياد التنافس على ولاء ملوك الدويلات السورية والكنعانية.

الصُّمُودُ المِيتّـــانِى:

لم يستسلم الملك تُوشْراتّا للأمر الواقع الذى فرضه شوپيلوليوما، وظل مُصرّاً على مقاومة النفوذ الحثّى، وقام بحملة مضادّة فى عمق الأراضى السورية، وخاصة فى المناطق الساحلية، وحاول الاستيلاء على بيبْلوس (جُبَيْل) فى لبنان، ولا تخفى الأهمية التجارية التى تمتاز بها المناطق التى هاجمها، ولكنه تقهقر بعدئذ، وعاد من حيث أتى، تُرى هل كانت تحركات تُوشْراتّا العسكرية مجرّد استعراض لقوته، أم أنه كان يحاول الاتصال بالأمراء الحوريين فى جنوبى سوريا، أو ربما أيضاً الاتصال بفرعون مصر؟ لعل الفرضيات الثلاث صحيحة، يقول الدكتور عبد العزيز صالح:

"لكن ملكهم تُوشْراتّا استعان بصهره الفرعون المصرى آمُونْحُوتَب الثالث، فأعانه بجيوش ردّت الخاتيين [الحثيين] على أدبارهم، واحتجز الملك الميتّانى عربة وخيولاً من الغنائم لصهره آمُونْحُوتَب المصرى وبعض الحُلِىّ لأخته (زوجة آمُونْحُوتَب)"٢.

وقد انشغلت مصر بعدئذ بمشاكلها الخاصة، كما أن الملك الحثى شوپيلوليوما عمل من جانبه لتأليب بعض الأمراء الميتّان على ملكهم، واستمالة ودّ الآشوريين للوقوف معه ضد مملكة

---

١ – عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٨٨.

٢ – عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص ٥٦٤.

ميتّانى، وقام بعدئذ بعملية التفاف كبيرة على الحدود الشمالية والشرقية للمملكة الميتّانية، من جهات مَلاطيا وآمَد (دياربكر)، إنه عبر بقواته نهر الفرات عند مجراه العلوى، فاحتل إيسوا (إشُوّا، كانت تقع جنوب غربى بحيرة وان)، ووصل حتى حدود بلاد أَلْش (أَلْشى= أَلْزِ، ويبدو أنها كانت قرب منطقة آمَد الحالية)، حيث سلّم ملكها أَنْتَر- أَتْلى مدينة كُتْمَر.

ثم سار شوپيلوليوما نحو مركز مملكة ميتّانى، فاصطدم بالقوات الآشورية التى كانت تعمل بدورها للسيطرة على ميتّانى، وردّها إلى داخل حدود أرضهم الأصلية، ثم عاد فاجتاح الأراضى الميتّانية فى طريقه إلى العاصمة واشّوكانّى، وخاض معارك عسكرية ضد تُوشْراتّا، وانتصر عليه، وسيطر على سوريا الشمالية، وراح يهدّد مناطق النفوذ المصرى فى النصف الجنوبى من سوريا، ويدل على ذلك ما جاء فى رسالة حاكم جُبَيْل (فى لبنان حالياً) الموالى لفرعون مصر، إذ كتب فيها: "فليعلمْ سيّدى الملك أنّ ملك الحثيين قد استولى على الدول التى اشتركت مع ملك بلاد ميتّانى؛ أى ملك ناخْريما [= نَهْرِينا]"١.

وجاء فى مصادر أخرى أن تُوشْراتّا تجنّب الاصطدام بشوپيلوليوما، فتوجّه شوپيلوليوما نحو الغرب، وعبر الفرات، واحتل جميع المناطق الميتّانية الواقعة بين منعطف الفرات والبحر الأبيض المتوسط، ومن ضمنها مدينة كَرْكَميش (عند مدخل الفرات، شمالى مدينة جَرابْلُس فى سوريا حالياً)، وفرض سلطته على الحكام المحليين، وألزمهم بالتبعية له، وكانت الطبقة الحاكمة فى ميتّانى من أصل حورى، لذلك لم يطمئن شوپيلوليوما إليهم، فنفى معظمهم إلى الأناضول، ثم توجّه لاحتلال الدويلات الأمورية فى سوريا الداخلية، ومن أبرزها دويلة قادِش، فاستنجدت هذه بمصر، وبما أن مصر صمتت و لم تردّ على استغاثات الحكام الأموريين، اضطرت تلك الدويلات أخيراً إلى الرضوخ للملك الحثّى٢.

---

١ – هارى ساغز: عظمة آشور، ص ٥٧. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٨٠ – ٤٨١.

٢ – جِرنُوت فيلْهِلْم: الحوريون، ص ٧٥. توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣١٦.

سِياسَةُ المَلك الحِثّى شُوپِيلُولِيُوما:

مرّ أن شوپيلوليوما ترک أمر إخضاع بقية الدويلات السورية لابنه تيليپينو Telipinu الذى كان يحمل لقب (كاهن)، وكان كاهناً لإله الطقس فى مدينة كُمَّنّى (كُومانى عاصمة كيزُّوفَتْنا/كيزُّوواتْنا فى شمالى كِيليكْيا)، وأوكل الأمر نفسه إلى أحد قادته العسكريين المدعوّ لُبَكّى (لوپاكّى Lupakki). لكن الميتّانيين والمصريين اتفقوا معاً على التصدّى للحثيين، وعملوا لاسترداد سوريا من قبضة الحثيين، ويبدو أنهم قد أفلحوا فى ذلک إلى حدّ كبير، واستردّوا بعض المواقع الإستراتيجية المهمة، ومنها مدينة كَرْكَميش، فاضطر شوپيلوليوما إلى الظهور بنفسه على مسرح المعارک فى سوريا ثانية، ويبدو أن مملكة ميتّانى بقيت قادرة على المقاومة فى هذه المرحلة من الصراع، والدليل على ذلک أن تُوشْراتّا بقى حيّاً و لم تنته سيادته بشكل نهائى[1].

وقد فرض شوپيلوليوما الحصار على كَرْكَميش، وفى الوقت نفسه انصرف قائده لُبَكّى إلى صدّ القوات المصرية التى حاولت استعادة قادِش، وأفلحت القوات الحثية فى احتلال كَرْكَميش التى كانت أهم معقل على الفرات، وكانت ذات مكانة إستراتيجية مهمّة، كما كانت تتمتّع بمكانة متميّزة؛ لأنها كانت مركزاً دينياً لعبادة الإلهة الأم كُبَبا Kubaba أو (كُبَبات)، وكانت معبودة فى آسيا الصغرى منذ عصر المراكز التجارية الآشورية، لذلک اكتفت القوات الحثية بنهب الجزء السفلى من المدينة، و لم تتعرض للجزء العلوى الذى كانت فيه المعابد الدينية.

إن مدينة كَرْكَميش الواقعة على نهر الفرات، كانت عقدة مواصلات تجارية بين بلاد الرافدَين شرقاً والأناضول شمالاً وموانئ شرقى المتوسط غرباً، لذلک اختار شوپيلوليوما لحكمها ابنه بِيَّشِّيلى الذى تلقّب هناک بالاسم الحورى شَرّى كُشُخ، وقد حمل كلُّ خلفائه أسماء حورية، وهذا دليل على أن التقاليد الحورية كانت راسخة فى كَرْكَميش، أما ابنه الثانى

---

١ – جرِنُوت فيلْهِلْم: الحوريون، ص ٧٦.

تليپينو- وكان كاهناً- فقد تولّى حكم حلب، وكانت حلب المركز الدينى الأساسى لعبادة إله الطقس الحورى تِشُّوب الذى عبده الحثّيون، بعد أن أسبغوا عليه صفة محلية خاصة[1].

أما تُوشْراتّا فبعد أن فقد الجزء الواقع غربى الفرات من مملكته اغتيل نتيجة مؤامرة دُبّرت ضده، ويبدو أن ولده شتّى وازا (ماتّى وازا)- يسمّى فى بعض المصادر كُورْتيوازا Kurtiwaza- كان من بين المتآمرين، ولعله كان يهدف من وراء ذلك إلى الخلاص من التيّار المتشدّد الذى كان يحرّض والده ضد الحثّيين[2].

واغتنم شُوتّارْنا (شُتَّرْنا) الثالث بن أَرْتاتاما الثانى الفرصة، فسيطر بمساعدة حلفائه الآشوريين والأَلْشيين على ميتّانى وعاصمتها وخرّب ودمّر فى الأراضى الميتّانية التى كانت تابعة للملك تُوشْراتّا، ونُقلت كنوز القصر الملكى إلى آشور، ونُقل عدد كبير من الوحدات العسكرية الميتّانية المختصّة باستخدام العربات الحربية إلى أَلْشِ، وحُبست فى تَئيد (قرب أوركيش)، وهذا دليل واضح على أن شُوتّارْنا كان أداة سهلة فى أيدى حلفائه، وما أكثر أمثال هؤلاء فى التاريخ الكوردى القديم والحديث[3]!

وبطبيعة الحال لم يكن الملك الحثى شوپيلوليوما راضياً عن التوسّع الآشورى فى مملكة ميتّانى، وعن وصول الآشوريون إلى منعطف الفرات، بل كان ناقماً على ذلك، لأنه يمثّل تهديداً مباشراً للمجال الحيوى الحثى فى شمالى سوريا، ولم يتردّد فى استغلال أول فرصة مناسبة لتغيير الموقف الجديد، وانتزاع ميتّانى من النفوذ الآشورى، وإعادتها إلى حظيرة النفوذ الحثى.

وقد سنحت الفرصة لشوپيلوليوما عند ظهور ابن آخر لتُوشْراتّا يُدعى شَتّى وازا، ويسمّى (كيلى تِشُّوب) أيضاً، وكان شُوتَّارْنا الثالث يطارده للقضاء عليه، كى ينفرد بالعرش الميتّانى، ويبدو أنه استعان فى ذلك بحلفائه الآشوريين، لكن شَتّى وازا نجا من الاغتيال، وفرّ على رأس وحدة عربات حربية صغيرة العدد، وحاول الحصول على اللجوء السياسى فى مملكة كاشّو فى بابل، لكنه أخفق فى

---

١ - جرِنُوت فيلْهِلْم: الحوريون، ص ٧٦ - ٧٧. محمد حرب فَرْزات، وعيد مَرْعى: دول وحضارات الشرق العربى القديم، ص ١٧٠.

٢ - جرِنُوت فيلْهِلْم: الحوريون، ص ٧٥. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٨٢، ٤٨٥. أبراهام مالمات، وحاييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل، ص ٨٨.

٣ - جرِنُوت فيلْهِلْم: الحوريون، ص ٧٧. أحمد هُبّو: تاريخ الشرق القديم (سورية)، ص ١٢٠ - ١٢١. محمد حرب فَرْزات، وعيد مَرْعى: دول وحضارات الشرق العربى القديم، ص ١٧٠.

ذلک، وقد مرّ أن سياسة ملوک الكاشيين كانت تقوم على مهادنة الجيران وعدم الدخول فى الصراعات الإقليمية، فلم ير شتّى وازا بُدّاً من اللجوء إلى الملک الحثى شوپيلوليوما، والتقى به على ضفاف نهر هاليس (قيزيل إرماق) فى وسط الأناضول، راجياً منه المساعدة١.

وكان من الطبيعى أن يسرع شوپيلوليوما إلى انتهاز هذه الفرصة الثمينة، ولا يضيّعها من يده، فإن شَتّى وازا هو خير من يكون مرشَّحاً للعرش الميتّانى، باعتباره ابن الملک السابق تُوشْراتّا، وهو خير من ينتزع العرش من قبضة شُوتّارْنا مرشَّح الآشوريين، فحماه شوپيلوليوما وزوّجه من إحدى بناته ليوثّق ارتباطه به، وكان كثيرون من الملوک القدماء يفعلون ذلک، لأن بناتهم سيكنّ أمينات على مصالح ممالكهم فى بلاطات الملوک الذين كانوا يتزوّجونهن، وسيكنّ عيوناً على أزواجهن الملوک عند اللزوم أيضاً.

إن شوپيلوليوما كان يهدف إلى إقامة حزام من الدول التابعة للمملكة الحثية، لحماية أراضيها من الأطماع الآشورية، لذلک عقد مع شَتّى وازا معاهدة صداقة ودفاع مشترک، تنصّ على وجوب وقوف كل منهما إلى جانب الآخر، عندما تصبح أراضى أىّ من الدولتين عُرضة لهجوم من دولة ثالثة، وكان المقصود الدولة الآشورية أولاً، والدولة الكاشّية ثانياً، وخطر الاجتياح الآرامى القادم من الجنوب (من البادية السورية) ثالثاً، وإن شوپيلوليوما أرجع شَتّى وازا معزَّزاً مكرَّماً إلى ميتّانى، وأمر ابنه شَرّى كُشُخ حاكم كَرْكَميش بدعمه عسكرياً.

المُعاهَـــدَةُ الحِثّية- المِيتَّـــانيّة:

لقد بات واضحاً أن مملكة ميتّانى أصبحت دولة ضعيفة وهامشية، يقع بعضها فى دائرة النفوذ الآشورى، وصار بعضها الآخر تابعاً للإمبراطورية الحثّية، وصارت حاجزاً يحمى ممتلكات الإمبراطورية الحثّية من أطماع دولة آشور التى كانت قد استعادت نهوضها، وباشرت مشروعها التوسعى، وفى الوقت نفسه أقام شوپيلوليوما علاقات حسنة مع مملكة كاشّو فى بابل٢.

---

١ - جِرْنُوت فيلْهِلْم: الحوريون، ص ٧٧.

٢ - جِرْنُوت فيلْهِلْم: الحوريون، ص ٧٧. جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٢/٢٥٥. توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٢٧٦، ٣١٦.

وجدير بالذكر أن مصر كانت تمر حينذاک بحالة ضعف شديد، فلم تستطع الوقوف فى وجه الأطماع الحثية، حتى إنه بعد موت آمُونْحُوتَب الرابع (أخناتون) طلبت أرملته من الملک الحثى شوبّيليولوما أن يرسل أحد أبنائه ليكون زوجاً لها وملكاً على مصر، ولبّى شوبّيليولوما طلبها، لكن الأمير الحثى قُتل فى أثناء سيره إلى مصر، والأرجح أن ذلک كان بتدبير من بعض قادة المصريين، هذا فى حين كان ملوک مصر السابقون يرفضون تزويج أخواتهم أو بناتهم أو أية أميرة من الأسرة المالكة من أىّ ملک أو أمير غير مصرى،" وأصبحت أنظار ملوک وأمراء وشعوب هذه البلدان موجّهة إلى خاتُّوشا بدلاً من مِمْفيس أو آشور أو بابل"١.

ويبدو أن شَتّى وازا تمكّن من إعادة بسط سيطرته على المدن المهمّة فى ميتّانى، وتمّ توقيع معاهدة بينه وبين شوپيلوليوما دُوّنت فيها هذه التغييرات، وحدّدت معالَم المملكة الخاضعة لحكمه، لكن كان ذلک فى ظل السيادة العليا للملک الحثّى، ويظهر فى حاشية النسخة الباقية من المعاهدة أن شَتّى وازا اختار بنفسه لقبه الملكى وهو (ماتّى وازا)، وهو لقب هندو أوربى، وليس معروفاً إلى أىّ مدى بلغت مملكة ميتّانى الجديدة فى الجهات الشرقية، ولكن يُفترَض أنها تقلّصت كثيراً بسبب التوسع الآشورى.

واللافت للنظر فى المعاهدة أنها أقرّت بحق أرتاتاما الثانى فى الحكم، وعبّرت عن احترامه، وحدّدت حق شَتّى وازا فى وراثة العرش، والسرّ فى ذلک أن شوپيلوليوما لم يرغب فى إلغاء معاهدة سابقة كان قد عقدها مع أرتاتاما الثانى؛ كى لا يَحْنَث بالقسم الذى أدّاه أمام الآلهة، ولا يعرِّض نفسه للعناتها، ولذلک فهو لم يتعرّض لأرتاتاما الثانى بسوء، وأشار إليه بلقب عامّ يلمّح إلى سيادته على جميع البلاد الحورية التى كانت ميتّانى أهمّ جزء منها، وبناء على ذلک صار من حق شَتّى وازا أن يكون وريثاً لعرش مملكة ميتّانى بدلاً من شُوتّارْنا الثالث ابن أَرْتاتاما الثانى، ويكون فى الوقت نفسه تابعاً للحثيين٢.

وجدير بالذكر أن الأمور لم تسر فى المملكة الحثّية كما كان يودّ لها شوپيلوليوما أن تسير، فقد مرّت المملكة بحالة من التمزّق الشديد، إذ انتشر فيها وباء فتّاک عاماً كاملاً، وظهرت حركات تمرد فى الأناضول، وأُصيبت المملكة أيضاً بضربة خطيرة حينما توفّى شوپيلوليوما، وتوفّى خليفته أَرْنُووانْدا Arnuwanda الثانى، ولذلک انخفض مستوى العمليات القتالية فى

---

١ – جرِنُوت فيلْهلْم: الحوريون، ص ٧٦. توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٢٧٧.

٢ – جرِنُوت فيلْهِلْم: الحوريون، ص ٧٨. جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٢٥٦/٢.

الجيش الحثّى، و لم يكن ممكناً القيام بهجوم فعّال على مناطق شرقى الفرات، وعجزت المملكة الحثّية عن استكمال مشروعها التوسعى وبسْط نفوذها على بقيّة مملكة ميتّانى والبلاد الحورية بشكل عامّ[1].

ولا نعرف بدقة أخبار شَتّى وازا فى هذه الفترة، لكن يبدو أنه حقّق بعض التماسك الداخلى فى مملكة ميتّانى، ويبدو أن الضغط الآشورى، الذى برز فى أواخر عهد الملك آشور أوبالّيت ashur Uballit (١٣٦٣ – ١٣٢٨ ق.م)، جعل شَتّى وازا يعتقد أن بإمكانه الاستغناء عن دعم سيّده الحثّى، فأعلن العصيان، وتخلّى عن الولاء للمملكة الحثّية، وكان ذلك فى مطلع حكم الملك الحثّى مورشيلى الثانى (حوالى ١٣٢٥ ق.م)، وقد ورد فى دعاء لهذا الملك أن ميتّانى "مستعدةٌ للصراع، لا إلهَ لها، حانثةٌ بالقَسَم"، ويعنى هذا الوصف إلى أن مملكة ميتّانى نقضت المعاهدة التى عقدها شَتّى وازا سابقاً مع شوپيلوليوما، وهذا الدعاء هو من الوثائق الأخيرة التى ورد فيها اسم "ميتّانى"، أما أحدث الشواهد إطلاقاً فيعود إلى عهد الملك الآشورى تِغْلات پلاسَر الأول (١١١٤ – ١٠٦٧ ق.م)[2].

ولا تقدّم المصادر المكتشفة فى العاصمة الحثية خاتُّوشا معلومات مفيدة بشأن الأحداث التى جرت فى مملكة ميتّانى فى الفترات اللاحقة، وتوجد رسائل كان الملوك الحثيون تبادلوها مع ملوك خانى جَالْبات (جَلْبَت)- وهو اسم مملكة ميتّانى بعد أن تقلّصت جغرافياً وسياسياً- ولكن لا يمكن تأريخ تلك الرسائل بدقّة، وليست فيها معلومات مؤكَّدة. أما المصادر الآشورية التى تعود إلى القرن الثالث عشر ق.م فهى غنيّة بالمعلومات المفيدة، وهذا دليل واضح على أن اهتمامات مملكة الحثيين بمملكة خانى جَلْبات كانت قد ضعفت، واستلم ملوك آشور زمام المبادرة والتوسع فى غربى آسيا، وكانت مملكة خانى جالبات فى مقدمة اهتماماتهم[3].

---

١ – جِرنُوت فيلْهِلْم: الحوريون، ص ٧٨.

٢ – المرجع السابق، ص ٧٨ – ٧٩.

٣ – المرجع السابق، ص ٧٩.

٢
مَمْلَكَةْ مِيتَّانى فى طَوْرِ التَّقَلُّص والزَّوال

تَقَلُّصُ مَمْلَكَةُ مِيتَّانى:

يمكن القول بأن ملوك الحثيين قاموا بدور إضعاف مملكة ميتّانى، وقام ملوك آشور بالقضاء عليها، وإزالتها من خريطة الشرق الأوسط، والحقيقة أن الصراع الميتّانى- الآشورى بدأ خلال العهد الآشورى الوسيط، وحينما سيطر الميتّانيون على مقاليد الأمور فى البلاد الحورية، وقضوا على الدويلات والإمارات الحورية المتنازعة، ووحّدوها تحت لواء مملكة ميتّانى، شرعوا يتطلّعون إلى توسيع نطاق نفوذهم شرقاً فى بلاد الرافدَين، وغرباً فى سوريا، وكان من الطبيعى أن يصطدموا بالآشوريين، ويعملوا لإخضاعهم، وقد حدث ذلك فى عهد الملك ساوْشّاتّار (ساوْشاتار)، أشهر ملوك ميتّانى، إذ إنه هاجم بلاد آشور، وسيطر عليها حوالى منتصف القرن الخامس عشر ق.م، وجعلها تابعة لمملكة ميتّانى، واستمرت تلك السيطرة حوالى قرن من الزمان[١].

ويبدو من سياق الأحداث أن محاولات الآشوريين للخلاص من السيطرة الميتّانية بدأت على يدى الملك الآشورى إيريبا (أَريبا) – أَدَد الأول (١٣٩٠ – ١٣٦٤ ق.م)، وهو الابن الثانى للملك آشور بيلنيشيشو، وآخر ملوك العهد الآشورى القديم، وكان معاصراً لكلٍّ من الملك الحثى شوپيلوليوما، وللفرعون المصرى آمُونْحُوتَب الرابع (أخناتون)؛ إنه استغل الصراع الحثى- الميتّانى من جانب، واغتيال الملك الميتّانى تُوشْراتّا من جانب آخر، فبدأ بتحرير بلاده من الهيمنة الميتّانية، واستكمل ابنه الملك آشور- أوبالّيت (١٣٦٥ – ١٣٣٠ ق.م)، مشروع

---

١ – عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٨٢.

التحرير، وهو الملک الذى بدأ به العهد الآشورى الوسيط، کما أنه الملک الذى عمل للقضاء على المملکة الکاشّية، واستمرّ العمل بتلک السياسة فى العهود اللاحقة١.

وجدير بالذکر أن المصادر الآشورية، التى تعود إلى القرن الثالث عشر ق.م، غنيّة بالمعلومات فى هذا المجال، ويظهر من خلالها أن الهدف الأکبر لدولة آشور فى مجال السياسة الخارجية، خلال حکم ملوکها المتميّزين، کان يتمثّل فى احتلال شمالى بلاد الرافدين حتى الفرات، وأولئک الملوک هم: أَداد نِيرارى Adad nairari الأول (١٢٩٥ ١٢٦٤ ق.م)، وشَلْمانَسَر الأول (١٢٦٣ – ١٢٣٤ ق.م)، وتُوکُولْتى نِينُورْتا الأول (١٢٣٣ – ١١٩٧ ق.م)، وقد هاجم أداد – نيرارى الأول المملکة الکاشّية، وضمن ولاءها من جديد للتاج الآشورى، ثم اتجه غرباً وغزا کامل المنطقة الممتدة من حَرّان حتى کَرْکَميش، وسيطر على الطريق التجارية التى کانت تصل بلاد ما بين النهرين بالأجزاء الغربية من آسية الصغرى٢.

ويظهر فى نقش لأداد نيرارى الأول اسمُ ملک کان يحکم خانى جَلْبات Khanikalbat (الاسم الآشورى لمملکة ميتّانى بعد أن تقلّصت)، فى مطلع الألف الثالث عشر ق.م، هو شَتُّوارا (شاتُّوآرا) Shattuara الأول، ويظهر اسمه موافقاً لتقاليد ملوک ميتّانى فى التلقّب بأسماء آرية (هندو أوربية)، وهو على الأرجح خليفة شَتّى وازا (ماتّى وازا)، ثم حکم بعده ابنه وازا شَتّا، ويبيّن النقش أيضاً أن اسم العاصمة واشُّوکّانى أصبح (أُشُّوکانى)، وبما أنها کانت قد تعرّضت للاحتلال والنهب عدة مرة، فإنها لم تعد المرکز الأهم فى ميتّانى، وحلّت محلّها مدينة (تَئِيد) غير البعيدة عن أُورْکيش کثيراً، وکانت هذه المدينة قبل ذلک مرکزاً لشُوتَّارنا الثالث حليف الآشوريين وخصم شَتّى وازا٣.

ونظراً للتهديد الآشورى حاول وازا شَتّا الحصول على المساعدة من الحثّيين، وکانوا قد وعدوه بذلک، لکنهم لم يفوا بوعدهم، ولعل السبب هو تجدّد الصراع بينهم وبين المصريين فى هذه الفترة، وبلوغه مستوى جديداً تمثّل فى معرکة قادِش عام (١٢٧٥ ق.م)، وثمة نص

---

١ – توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣٢٠. جمال رشيد أحمد: ظهور الکورد فى التاريخ، ٢/٢٥١.

٢ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٧٩. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٨٢. توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣٢٠، ٣٢١.

٣ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٧٩ – ٨٠.

آشورى يتحدّث عن القصر الجديد الذى بناه أَداد نِيرارى الأول فى مدينة تَئِيد (قرب أوركيش) بعد احتلالها، وقد جاء فيها:

"عندما عزم شَتُّورا ملك خانى جَلْبَت على معاداتى، وشرع فى ممارسات عدائية، قبضتُ عليه بأمرٍ من الإله آشور سيّدى ومُعينى، ومن الآلهة العظام موجِّهِىَّ، وأحضرتُه إلى مدينتى آشور. لقد جعلته يُقْسِم، ثم تركته يعود إلى بلاده. وصرتُ أستلم منه سنوياً – طوال حياته – هدايا يرسلها إلى مدينتى آشور.

تمرّد بعده ابنه وازا شَتّا، وعزم على المعاداة، وشعر فى ممارسات عدائية، لقد سار إلى بلاد خَتّى (الحثيين) طالباً المساعدة، استلموا منه هدايا، ولكنهم لم يقوموا بمساعدته. بفضل الأسلحة الجبّارة للإله آشور سيّدِى؛ وبحماية الآلهة آنُ وإنليل وإيا وسِين وشَمْش وأَدَد وعَشتار ونرجال الأقوياء بين الآلهة؛ الآلهة المرعبة؛ سادتى، احتللتُ تَئِيدِ كبرى مدن مملَكته، وكذلك أَمَسَكو، وكَخَت، وشُورو، ونَبُلو، وخَرّو، وشُدُوخو، وأُشّوكانو. لقد نهبتُ ثروات هذه المدن وممتلكات آبائها وكنوز قصورها، وأحضرتُها إلى مدينتى آشور.

نعم لقد احتللتُ تَئِيدِ، وأحرقتها وخرّبتها، وبذرتُ فيها الأعشاب الضارّة، وأعطتنى الآلهةُ العظام كلَّ المناطق من تَئِيدِ حتى إرِّيدِ، إلُخَت وكُشِيّارى (طُور عابْدِين) حتى حدودها البعيدة، مقاطعة شُودو، مقاطعة حَرّان حتى ضفاف الفرات. وقد سيطرتُ عليها، وكلّفتُ بقيّة قواته بأعمال شاقّة (أعمال تؤدّى بالفأس والرَّفش وسلّة حمل الأتربة). أما هو (وازا شَتّا) فقد أخرجتُ نساء قصره وأبناءه وبناته وقواته من إرِّيدِ، وأحضرتهم أسرى مقيَّدين إلى مدينتى آشور. نعم لقد احتللتُ إرِّيدِ والقرى الواقعة فى منطقتها، وأحرقتها، وخرّبتها"[1].

وثمة ما يستدعى الشك فى بعض محتويات هذا التقرير، وفى أن أَداد نيرارى الأول تمكّن فعلاً من إخضاع هذه المناطق البعيدة التى يصعب عبور بعض أجزائها، وأنه نهبها وأخضعها للسلطة الآشورية، لكن لعله استطاع تحقيق مراقبة ثابتة على مناطق نهر الخابور وروافده، وبعض أجزاء طُور عابْدِين، وكان إنشاء قصر جديد له فى مدنية تَئِيد يخدم هذا الغرض. كما أن وازا شتّا لم يقع فى قبضة الملك الآشورى، بل استطاع أن يؤكد سيادته، وخاصة أن

١- المرجع السابق، ص ٨٠ – ٨١.

السياسة الخارجية الحثّية- بعد عقد معاهدة السلام مع مصر- كانت تركّز على ضرورة التصدّى للحملات الآشورية١.

وبقيت مناطق شرقى مثلّث الخابور الخصيبة- وكانت فيها المراكز الحضارية والاقتصادية فى مملكة ميتّانى- خاضعة للاحتلال الآشورى، واضطر الملك الحثّى رغماً عنه إلى الاعتراف بمكانة آشور كقوة عظمى. وقد تمكّن شتُّوارا الثانى- خليفة وازا شَتّا- أن يُثبت وجوده فى وجه الملك الآشورى شَلْمانَسَر الأول (١٢٦٣ – ١٢٣٤ ق.م)، وذلك بفضل دعم الحثّيين وقبائل أَخْلامو الآرامية التى اكتسبت- لأول مرة- فى هذه الفترة أهمية متميّزة٢.

وزعم شَلْمانَسَر الأول فى أحد نقوشه أنه حقق نصراً ساحقاً على ملك خانى جَلْبَت (مملكة ميتّانى)، لكن ثمة ما يرجّح أن هذا القول مشكوك فيه، ومن الأدلة على ذلك أن تُوكُولْتى نِينُورْتا (١٢٣٣ – ١١٩٧ ق.م) – ابن شَلْمانَسَر الأول وخليفته- يروى أن السُوبارتيين (الاسم القديم للحوريين) تمرّدوا على أبيه، وامتنعوا عن دفع الجزية له، وأقلُّ ما يمكن فهمه من هذا القول هو أن شَلْمانَسَر الأول لم يكن موفَّقاً فى حربه ضد خانى جَلْبات (خانيگالْبات)، وهى مملكة ميتّانى بعد أن تقلّصت، وعجز عن إخضاعها. وقام تُوكُولْتى نِينُورْتا بحملة ضد التحالف الحورى الذى كان يضم بلاد أَلْزِ (أَلْشِ= أَلْشى)، وبلاد أَمِدانو (المناطق المحيطة بدياربكر)، وبلاد بُرُلُمْزى وغيرها، وربما يكون هذا الاسم مشتقاً من الكلمة الحورية (بُرْلى) أو (بُرُل- لِ)؛ أى (معبد)، كما أن اسم ملك أَلْز المذكور فى النص (إخْلى- تِشُّوب) هو حورى أيضاً، وحاول تُوكُولْتى نِينُورْتا فرض الهدوء فى المناطق الحورية، من خلال اتّباع سياسة التهجير وتبديل الهوية السكانية فيها٣.

---

١ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٨١. جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٢/٢٥٦.

٢ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٨١ – ٨٢.

٣ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٨٢. جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٢/٢٤٨.

زَوالُ مَمْلَكَة مِيتَّانى:

حوالى عام (١٢٠٠ ق.م) وقعت أحداث مهمّة فى الأناضول، إذ اندفعت إليها الشعوب الإيجية الهندو أوربية (سمّاهم المصريون: شعوب البحر)، قادمين من تَراقْيا، وكان فى مقدّمتها الفِريجيّون الذين احتلوا وسط الأناضول، غربى نهر هاليس (قِزِيل إرْماق)، وقضوا على المملكة الحثّية، ودمّروا عاصمتها خاتُّوشا، وأغرقوها فى النيران. وليس معروفاً حتى متى بقيت دولة خانى جَلْبات (سليلة مملكة ميتّانى الكبرى) قائمة، لكنّ نصوصاً من أواخر القرن الثالث عشر ق.م، أو مطلع القرن الثانى عشر ق.م، تذكر رجلاً اسمه أَتَل تِشّوب كان ملكاً على خانى جَلْبات، وكانت القبائل الآرامية قد دخلت المنطقة، وبسطت سيطرتها هناك من الناحية السياسية[1].

وأحدث الشواهد على اسم (ميتّانى) يعود إلى عهد الملك الآشورى تِغْلات پِلاسَر الأول (١١١٤ – ١٠٦٧ ق.م)، وحينما قام هذا الملك بحملات على المناطق الواقعة فى شمالى مملكته، وفى شمالها الشرقى، وجد هناك أوضاعاً جديدة، فقد وجد شعباً يُدعى (مُوشْكو)- وهو فى الغالب من الفريجيين- احتل الدولتين الحوريتين (دولة أَلْزِ/أَلْشِ، ودولة بُرُلُمْزى)، واحتلّ أيضاً بلاد كُتْمُخى (كُوتْموخى)، وفى سياق حديث تِغْلات پِلاسَر الأول عن حملاته أورد أسماء عدّة دويلات فى أعالى دجلة، وعند نهرى بُوتان سُو وبَتْليس جاى، وتبدو أسماء بعضها حورية، منها بَبْخِ (معناه: الجبلية)، وأُرّاخينُش (معناه: البلاد الجبلية)، كما كان ملوكها يحملون أسماء حورية، مثل كيلى تِشّوب بن كَلى تِشّوب، وشَدى تِشّوب بن خَتُخِّ[2].

وقد استمرّ استخدام أسماء شخصية حورية فى المناطق الجبلية جنوبى بحيرة وان، بين نهرى دجلة والزاب الأسفل، التى تُعَدّ أقدم موطن لسكنى الحوريين، ولا يمكن تحديد تاريخ مؤكّد لنهاية اللغة الحورية تماماً، وأصبحت المناطق الحورية من الناحية التاريخية قليلة الأهمية، وصارت ميداناً للصراع بين خصمين متكافئين، هما الآشوريون والأورارتيون، مع العلم أن

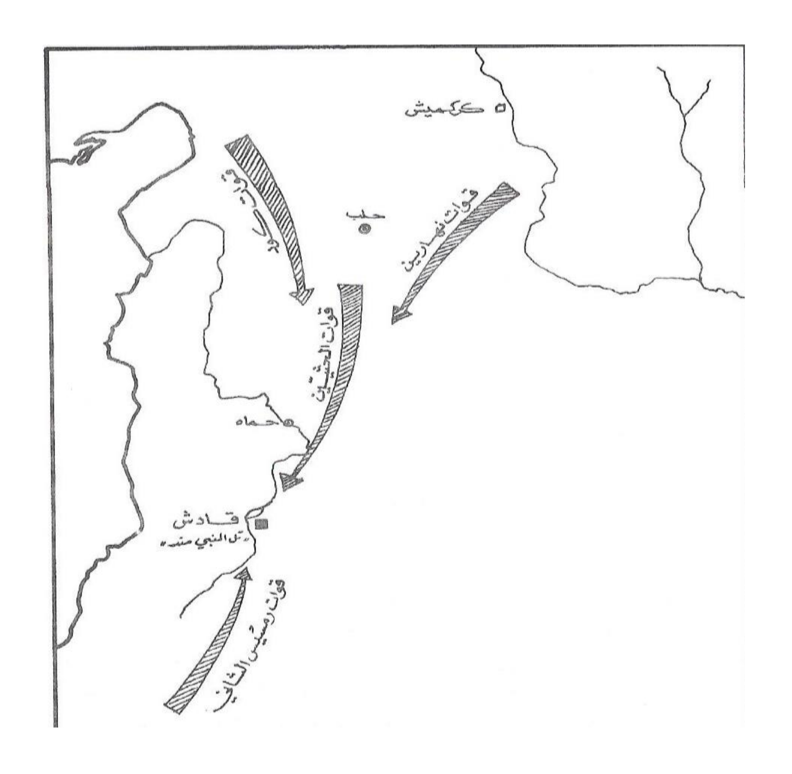
---

١ – وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٨٤/١.

٢ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٧٩، ٨٢ – ٨٣.

الأوارتيين يمتّون إلى الحوريين بصلة قرابة لغوية، والراجح أن لغتيهما انفصلتا عن بعضهما منذ الألف الثالث ق.م[١].

وقد دامت مملكة ميتّانى حوالى قرنين بين عامى (١٤٧٥ – ١٢٧٥ ق.م)، ويبدو أنها كانت حتى آخر عهدها تشارك فى الصراعات الإقليمية، لكنها كانت تقوم حينذاك بدور التابع للجار الأقوى (مملكة آشور، ومملكة الحثّيين)؛ إذ نجد فى الخريطة التى تصوّر معركة قادِش، فى السنة الخامسة لحكم رَعْمسيس الثانى (١٢٨٥ ق.م)، جيش نهارينا (الاسم المصرى لمملكة ميتّانى) مشاركاً مع الحثيين ضد الجيش المصرى[٢].



١ – المرجع السابق، ص ٨٣.

٢ – وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٦٢/١. أبراهام مالمات، وحاييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل، ص ٩٤.

مُلوكُ مَملكة مِيتّاني:

أخبار ملوك مملكة ميتّاني قليلة بشكل عام، وخاصة ملوكها الأوائل، وأكثر الأخبار التي وصلتنا تتعلق بملوك ميتّاني الذى دخلوا فى علاقات صراع أو تحالف مع المملكة الحثّية ومملكة مصر، وهى واردة فى سجلات خاتُّوشا وتل العَمارِنة، وفيما يلى أبرز أسماء ملوك ميتّانى الذين وصلتنا أخبارهم؛ مع الأخذ فى الحسبان أن ثمة اختلافاً مُربِكاً فى المصادر بشأن أسمائهم، والعهد الذى حكم فيه كلُّ ملك، إضافة إلى أنه لا توجد أخبار بعضهم، ونحاول- عبر مقارنة ما توصّلنا إليه من معلومات- ذكرَ المعلومة الأكثر صواباً بالنسبة إلى الأسماء والعهود .

كِيرِتا Ki- ir-ta: أول زعيم ميتّاني، وأخباره غير معروفة.

شُوتّارْنا (شُتَّرْنا) الأول Shuttarna 1، وهو ابن كِيرتا، حوالى نهاية القرن ١٦ ق.م.

پارْاتارنا Paratarna بن كيرِتا Ki- ir-ta: يسمّى (بَرَّتَّرْنا) أيضاً، توفّى حوالى عام (١٥٠٠- ١٤٧٠ ق.م).

پارْساشاتار Parsashatar (بَرْساتَتَر) حوالى (١٤٧٠ - ١٤٤٠ ق.م).

ساوْشّاتّار Saushshattar (شاوْشاتار) بن پارْساشاتار: حوالى (١٤٤٠ — ١٤٠٠ ق.م)، حكم فى الفترة التالية لحملات تُحُوتْموس الثالث على شمالى سوريا، وهو أشهر ملوك ميتّانى، وعاصمته وشّوكّانّى (آشوكانى)، إنه أعاد توحيد مملكة ميتّانى بعد أن دبّ فيها الاضطراب، وأخضع آشور لسلطته، وغزا حلب واستولى عليها وعلى شمالى سوريا، بالرغم من غزوات الملك المصرى تُحوتْموس الثالث المظفَّرة، كما فرض نفوذه على بلاد مُوكيش (ألالاخ) الممتدة حتى البحر الأبيض المتوسط، وسيطر على مملكة كيزُّوفَتْنا (كيزُّوواتْنا فى شمالى كيليكْيا، بجنوب شرقى الأناضول)، وأما فى الشرق فيتضح من خطاب له عُثر عليه فى نُوزى أن ملك أَرّابْخا (منطقة كركوك حالياً) كان تابعاً له، وامتدت مناطق نفوذه من جبال زاغروس حتى البحر المتوسط، وشملت جميع المناطق الناطقة باللغة الحورية[1].

---

١ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٦٢.

أَرْتاتاما Artatama (أَرْتَتاما/ أَرْتاداما) الأول: حوالى نهاية القرن الخامس عشر ق.م (١٤٠٠ – ١٣٨٠ ق.م)، ولعله ابن ساوْشاشتّار، حفظ للمملكة كيانها، ولو أنه لم يوسع حدودها، وسادت فى عهده علاقات ودّية بينه وبين الملك المصرى تُحوتْموس الرابع، تكلّلت بأن أرسل ابنته چيلو- خِيبّا لتكون زوجة للفرعون.

شُوتّارنا Shuttarna (شُتَّرْنا) الثانى: حوالى عام (١٣٨٠ - ١٣٦٦ ق.م)، صادق الفرعون أَمْنُوفيس (آمُونْحُوتَب) الثالث، وزوّجه من ابنته تَتو- خِيبّا (تادو–خِيپا)، وكان ذلك فى السنة العاشرة من حكم أمنوفيس الثالث (١٣٩٠ – ١٣٥٢ ق.م)؛ أى فى (١٣٨١/١٣٨٠ ق.م).

أَرْتاشُوارا Artashuwara (أَرْتَشُمْرا)، يسمّى فى بعض المصادر (أرشتومارا): حوالى (١٣٦٦ ق.م)، تآمر عليه أحد كبار القادة واسمه أُوتْخى Utkhi، ولم يكن ينتمى إلى الأسرة المالكة، وذبحه، وكان أُوتْخى يتزعّم الحزب المعادى لمصر، وتوّج ابن شُوتَّارْنا القاصر، واسمه تُوشْراتّا ملكاً على البلاد، ليكون طَوْع يديه.

تُوشْراتّا Tushratta(تُشْرَتّا): لعله حكم بدءاً من عام (١٣٦٦ ق.م) أو قبل ذلك بفترةٍ ما، وقد أعدم الثوارَ الذين ذبحوا أخاه أَرْتاشُوارا، كى يزيل لطخة العار التى لحقت بحكمه غير الشرعى، غير أنه فقد جزءاً من مملكته (هانيجَلْبات)، وكان الحزب المعادى له قد نصب أَرْتاتاما (أَرْتَتَما) الثانى ملكاً، وهو أحد أفراد الأسرة المالكة، وتحالف تُوشْراتّا مع الفرعون آمُونْحُوتَب (أَمْنُوفيس) الثالث، كما تحالف أَرْتاتاما مع شوپيلوليوما ملك الحثيين الذى غزا الإمارات التابعة لتُوشْراتّا غربى الفرات.

أَرْتاتاما Artatama (أَرْتاداما) الثانى: حوالى (١٣٦٦ - ١٣٥٩ ق.م) جاء فى الإيرانية بصيغة أَرْتاتاوخما، مرّ أن الحزب المعادى لتُوشْراتّا نصبه على العرش، وقد ضَمِن الدعم الآشورى، وأعلن استقلاله عن تُوشْراتّا، وتحالف مع شوپيلوليوما ملك الحثّيين أيضاً.

شُوتَّارْنا Shuttarna (شُتَّرْنا) الثالث: عيّنه والده أَرْتاتاما الثانى وريثاً للعرش، بعد اغتيال تُوشْراتّا وأتباعه، ولم ينجُ من المذبحة سوى شتّى وازا (ماتيوازا) الابن الصغير لتُوشْراتّا.

شَتّى وازَا (ماتّى وازا Mattiuaza): حوالى سنة (١٣٥٩ ق.م)، أقامه الملك الحثّى شوپيلوليوما وليّاً للعهد، وزوّجه من ابنته، وفى عهده أصبحت آشور، بقيادة آشور أُوبالّيت

ashur Uballit (١٣٦٣ – ١٣٢٨ ق.م)، مستقلة عن ميتّانى، وبدأت حروبها ضدها ميتّانى[1].

شاتُّوارا Shattuara (شَتُّورا) الأول: هو خليفة ماتّى وازا، لعله حكم فى الربع الأخير من القرن الرابع عشر ق.م.

وازا شَتّا Usashata (فاساشاتّا): هو ابن شاتُّوارا وخليفته، حكم فى مطلع القرن الثالث عشر ق.م.

شاتُّوارا Shattuara (شَتّورا) الثانى: هو خليفة وازا شَتّا، (حوالى ١٢٧٠ - ؟ ق.م)[2].

---

١ – انظر وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٦٢/١ – ٦٣. جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٤٨

٢ – هذه التواريخ تقريبية، والمعلومات مستمّدة من المراجع التالية: وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٦٢/١ – ٦٣. جرنوت فلهلم: الحوريون، ص ٤٨، ٦٢. جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٢٤٣/٢– ٢٤٤، ٢٥٣، ٢٥٥. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٧٤– ٤٧٧. محمد بَيُّومى مَهران: تاريخ العراق القديم، ص ٣٤٣ – ٣٤٤.

٣

الغَزْوُ الآرامِى لِميتَّـــــانى

مَن هُم الآرامِيُّون؟

بعد أن تدهورت أحوال مملكة ميتّانى بسبب الصراعات بين أمراء الأسرة المالكة، وبعد أن تقلّص نفوذها كثيراً بسبب الهجمات الآشورية عليها من الشرق، والهجمات الحثية عليها من الشمال الغربى، بدأت مملكة آشور ومملكة الحثيين نفسيهما تعانيان من الضعف، وشرعت القوات المصرية فى الانسحاب من جنوبى سوريا، وفى تلك الآونة بدأ شعب مجهول الأصل بالانطلاق من البادية السورية، وخاصة من المناطق الواقعة بين تَدْمُر وجبل بِشرِّى، وعُرف هذا الشعب عند المؤرخين باسمين: (أَحْلامو/أَخْلامو) و(آرامى)، وشنّ الغزو شمالاً نحو المناطق الحورية، وغرباً نحو سوريا الداخلية والشمالية، واستقرّ فى المناطق التى غزاها.

وذكر وليام لانْجرِ أن الآراميين جماعات سامية، خرجت من صحراء سوريا فى القرن الرابع عشر ق.م تحت أسم (أَهْلامو/أَحْلامو)، و(سُوتى)، وعُرفوا بعدئذ باسم (أرامى)، وأضاف لانجر يقول: "يُحتمَل أن تكون حركة الأراميين نتيجة لطرد الهِكْسوس من مصر (١٥٨٠ ق.م)، إذ هدّدوا وادى دجلة بالغزو فى القرن الثالث عشر، لكنهم ارتدّوا ثانية للصحراء السورية نتيجة لضغط الحثيين والآشوريين، وبقوا هناك مدّة القرن التالى"١.

---

١ - وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٧٨/١.

وذكر الأستاذان محمد حَرْب فَرْزات وعِيد مَرْعى أن بدايات التاريخ الآرامى غامضة، حتى إن اسم (آرام) و(آرامى) ما يزالان غير واضحين تماماً، وربما كان (أَخْلامو) أسلافَ الآراميين، وأن الآراميين تفرعوا بعدئذ منهم، وأضافا يقولان:

"عند أواخر القرن الثانى عشر [ق.م]، وعند منعطف القرن الحادى عشر [ق.م]، بلغت الموجات الآرامية درجة من الاتساع وصل إلى حدّ الهجرة الواسعة الكثيفة، ويُفهَم من بعض النصوص أن العوامل المناخية كانت لها نتائج اقتصادية دفعت بالقبائل الآرامية نحو المناطق الخصبة، ومع ذلک فإن هذه العوامل الطبيعية لم تكن الوحيدة فى تفسير التحرک الواسع للآراميين نحو (١٠٨٥ – ١٠٨٠ ق.م)، ولا بد من التفكير بوجود تزايد ديموغرافى كبير كان قد تمّ احتواؤه مدة طويلة، لكن تفجّر بعد ذلک"١.

وذكر الدكتور أحمد ارْحَيِّم هُبُّو أن القبائل الآرامية هى الموجة الثالثة من الهجرات السامية بعد الموجة الأكّادية والموجة الأمورية، وانتشرت فى بلاد الشام وبلاد الرافدين، قُبيل منتصف الألف الثانى قبل الميلاد، ومال الآراميون إلى حياة الحَضَر والاستقرار بدءاً من القرن الحادى عشر ق.م، بعد زوال دولتى الميتّانيين والحثين، وقد سمّاهم الآشوريون (أَخْلامو)، وعُرفوا بهذا الاسم فى النصوص المصرية، ثم حملوا اسم (آراميين) فى وقت لاحق، نسبة إلى إحدى قبائلهم (أرامو)، وشاعت تسمية (أَرْمايه) أى الآراميين فى المصادر البابلية٢.

التَّغلْغلُ الآرامِى فى مِيتَّـــانِى:

إن الفراغ السياسى الحاصل فى سوريا وشمالى بلاد الرافدين، أتاح للآراميين أن يجتازوا الفرات حيث كانت الحدود التى توقّف عندها الأموريون سابقاً، وأن يتوسّعوا نحو الشمال الشرقى ونحو الشمال والغرب، ويقيموا فى القرن العاشر ق.م ممالک آرامية قوية فى سوريا،

---

١ – محمد حرب فَرْزات، وعيد مَرْعى: دول وحضارات الشرق العربى القديم، ص ١٨٠، ١٨١.

٢ – أحمد ارحَيِّم هُبُّو: تاريخ الشرق القديم (سوريا)، ص ١٠٦.

وغزت قبائل آرامية بدويّة بلاد الرافدَين، وقاومت آشور ذلك الضغط، غير أن القبائل الأرامية فى بابل احتلت وديان الفرات ودجلة، وعُرفوا هناك باسم (الكلدان)[١].

وقد شهد القرن الحادى عشر ق.م أعنف غزوات الآراميين على أعالى الرافدين، وكان من الطبيعى أن تصبح أراضى مملكة ميتّانى هدفاً للغزو الآرامى، وظهرت دويلتان آراميتان فى وادى البَليخ، وغيرهما فى وادى الخابور، وخصوصاً بيت بَخْيانى Bit- Bakhiani، واتخذ الآراميون بعض المدن الحورية عواصم لهم، أهمّها: غُوزانا Guzana، وسِيكانى Sikani، وثلاثَ مدن فى شرقى أعالى الخابور منها نصِيبين، وكان تل بَرْسيب عاصمة لـــمملكة (بيت أدينى) Bit Adini، وهى إحدى المقاطعات الآرامية الرئيسة فى منطقة البليخ والفرات الأعلى.



١ – وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٧٩/١.

واستولى الآراميون أيضاً على المنطقة الممتدة فى شمالى سوريا من أرپاد (أَرْفاد) Arpad (تل رِفات/تل رِفْعَتْ حالياً) إلى حلب Alep، والتى عُرفت فيما بعد بمقاطعة (بيت آغوشى Bit - Agushi). وتوسّع الآراميون فى الشمال الغربى، فأقاموا دولة سَمْأَل فى كيليكيا، وأسّسوا دولة فى منطقة حماة بوسط سوريا، وأقاموا دولتى صُوبا ودمشق فى جنوبى سوريا، وقد عُرف الآراميون الشرقيون باسم (الكلدان)، وعُرف الغربيون منهم- بعد اعتناقهم المسيحية- باسم (السُّرْيان)١.

وجملة القول أن سقوط مملكة ميتّانى جعل الوطن الحورى (حيث يجرى نهر البليخ وخابور، وتُعرَف حالياً باسم الجزيرة السورية)، والمناطقَ التى كانت تابعة لمملكة ميتّانى فى شمالى سوريا، ميداناً مفتوحاً للغزو الآرامى، وأصبحت تلك المناطق فى الوقت نفسه ساحة صراع بين دولة آشور والدول الآرامية المتبعثرة والمتنافسة أحياناً كثيرة؛ لأن الآراميين لم يتمكّنوا قطّ من إقامة دولة مركزية واحدة فى سوريا القديمة، بخلاف ما فعله الأكّاديون والبابليون والآشوريون فى بلاد الرافدين.

لكن هيمنة الآراميين على الوطن الحورى لا يعنى بالضرورة أن الحوريين وفرعهم الميتّانى انقرضوا، هذا ما لا يقبله المنطق، وإنما أصبحت السلطة فى أيدى الآراميين الذى غزوا بلادهم، واستقروا بينهم، وهذا تقليد معروف فى تواريخ معظم الشعوب التى تعرّضت أوطانها للغزو من شعوب أقوى منها، ولْنأخذْ شعوب بلاد الرافدين (العراق حالياً) وسوريا ومصر مثلاً، فقد كانت سهول بلاد الرافدين وطناً للسومريين والأكّاديين والبابليين والكلدان، وكانت سوريا موطناً للحوريين والحثيين فى الشمال، وموطناً للآراميين (السريان) فى الوسط والجنوب، وكانت مصر موطناً للمصريين رعايا الفراعنة، وتعرّضت أوطان هذه الشعوب لغزو الموجة الساميّة الرابعة متمثّلة فى الفتوحات العربية الإسلامية، ومن المحال أن تكون الشعوب الأصيلة فى هذه الأوطان قد انقرضت، لأنها لم تكن بالعشرات ولا بالآلاف، وإنما كانت على الأقل بمئات الألوف، وربما بالملايين، إنه ظلّت قائمة فى أوطانها، لكنها اضطرّت إلى التجرّد من لغاتها وثقافتها، وتعرّبت، ليس أكثر.

وفى مصادر التاريخ أكثر من دليل على أن الوجود الحورى الميتّانى لم يندثر بسقوط مملكة ميتّانى، فقد ذكر المؤرخ اليونانى هيرودوت (٤٨٠ - ٤٢٥ ق.م) أنه كان فى جيش الملك

١ - فاضل عبد الواحد على: من سومر إلى التوراة، ص ١٥١. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٣٤٦، ٣٤٨. سبتينو موسكاتى: الحضارات السامية القديمة، ص ١٧٨. وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٧٩/١.

الفارسى أَرْتَزَرْكسيس (أَحْشَوِيرَش) الأول ابن دارا الأول، الزاحف على اليونان حوالى عام (٥٨٠ ق.م)، مقاتلون ميتّانيون١.

أجل، إن الحوريين- ممثَّلين فى الميتّانيين- فقدوا القيادة السياسية فى غربى آسيا، لكن لم ينقرضوا، إنهم تمركزوا بشكل رئيسى فى المناطق الجبلية المعروفة ببلاد نايرى (نائرى) Nairi، قال الدكتور جمال رشيد أحمد:

"وهكذا لم يبقَ للحوريين أيّة قيادة سياسية تديرهم وتوجّههم، فتمركزوا بشكل رئيس فى المناطق الجبلية الكوردية التى اشتهرت عند سكانها المحليين، وكذلك فى السجلات الآشورية، ببلاد نائرى Nairi، ولا تزال تشتهر بهذا الاسم عند الكورد المعاصرين. وبعد أن أصبح النائريون قبائل متفرقة إثر اندثار السلطة الميتّانية ذات الصبغة الآرية، اتحد زعماؤها المنحدرون من الحوريين القدماء فى نهاية القرن التاسع ق.م تحت راية الإله خَلْدى (الكنية التى عبّرت كذلك عن اسم الشعب)، وأسسوا فى المناطق الجنوبية لبحيرة وان دولة سمّاها الآشوريون (مملكة أُورارتو)"٢.

ونعتقد أن الدكتور أحمد ارْحَيِّم هُبّو لم يكن دقيقاً بما فيه الكفاية حينما قال:

"كان الحوريون يشكّلون نسبة كبيرة من سكّان سورية، ولا سيّما فى مناطق الخابور والبَليخ والعَمْق، ووادى العاصى الأدنى، إلا أن الساميين كانوا أغلبية فى كل المناطق التى استوطنها الحوريون- الميتّانيون، واحتفظت الوثائق بأسمائهم من دون أسماء الميتّانيين الآريين الذين انمحى ذكرهم، وتفرّق جمعهم، وذابوا فى مجتمعات الشرق القديم بعد زوال مجدهم"٣.

ومهما يكن فإن أهمّية مملكة ميتّانى، بالنسبة إلى الأمة الكوردية، تكمن فى أنها وضعت الأسس الاجتماعية والثقافية والسياسية للتكوين الكوردى، من خلال استكمال الاندماج الإثنى والثقافى والسياسى بين أقوام زاغروس والأقوام الآرية، وتعميم هذا الاندماج على القسم الأكبر من جغرافيا كوردستان جنوباً ووسطاً وغرباً، وبعد حوالى ستة قرون استكمل الميديون هذا الإنجاز الكبير، وساهموا فى تكوين الملامح والخصائص الأساسية للأمة الكوردية، وما زال الكورد فى شمالى سوريا الحالية- من من منطقة القامشلى شرقاً إلى منطقة عَفْرين (كورد داغ) والإسكندرون غرباً- يقيمون فى جغرافيا أجدادهم الحورى- ميتّانيين، وهم

---

١ - هيرودوت: تاريخ هيرودوت، ص ٥١٨. جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٥٠.

٢ - جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٢٥٦/٢.

٣ - أحمد هُبّو: تاريخ الشرق القديم (سورية)، ص ١٢١.

ليسوا دخلاء فى تلك المناطق، ولا مهاجرين قادمين من بلاد أخرى كما زعمت الأنظمة القومية المستعربة التى حكمت سوريا منذ النصف الأول من القرن العشرين (انظر خريطة سوريا الحالية).



أجل، إن المناطق الكوردية فى شمالى سوريا حالياً هى جزء من كوردستان، صارت ضحيّة اتفاقية سايكس- پيكو سنة (١٩١٦ م) بين القوى الاستعمارية والبورجوزاية المستعربة والتركية، ولا ننكر أن قوميات أخرى، كالآشوريين والسُّريان (أحفاد الآراميين) والتركمان والعرب، يقيمون فى تلك المناطق، لكنهم دخلوها وأقاموا فيها بعد سقوط مملكة ميتّانى فى أيدى الحثيين والآشوريين فى القرن الثانى عشر ق.م، وبعد أن غزاها الآراميون فى القرن الحادى عشر ق.م، ثم غزاها العرب المسلمون فى القرن السابع الميلادى، ثم غزاها الأتراك السلاجقة فى القرن الحادى عشر الميلادى، ثم غزاها الأتراك العثمانيون فى القرن السادس عشر الميلادى.

الفَصْلُ الخَامِس

المُجْتمَـــــعُ واللُّغـــــَةُ والأَدَبُ والفَّـــــنّ

عِند الحُورِيّين

١
الحَياةُ الاجْتِماعِيَّةُ والاقْتِصاديَّةُ الحُورِيَّة

مَدْخَـــل:

لم يكن الحوريون شعباً سلبياً فى المجال الحضارى، إنه تأثّروا بالمجتمعات المجاورة لهم، وأثّروا فيها، وتركوا بصمات حضارية كثيرة فى غربى آسيا، ويقول جرنوت فيلهِلْم: "جاء الحوريون فى حوالى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد من المناطق الجبلية الواقعة فى شمال شرقى بلاد الرافدين، ثم خضعوا لتأثير الحضارة السومرية الأكّادية، ولعبوا دوراً مهمّاً فى أواسط الألف الثانى قبل الميلاد فى نقل هذه الحضارة إلى سورية وآسيا الصغرى"١.

وجدير بالذكر أن شمالى سوريا كان المركز المهم للنفوذ الحورى، وهناک كانت تقع عاصمة الحوريين أُوركيش، وقد ذكر جِرْنوت فيلْهِلْم أن حضارة شمالى سوريا كانت ذات طابع حورى منذ القرن السادس عشر ق.م على الأقل٢. ومع ذلک فالمعلومات التفصيلية التى وصلتنا بشأن جهود الحوريين الحضارية قليلة جداً، وذلک القليل مستنبَط من بعض الحفريات، أو واردٌ عَرَضاً فى كتابات الممالک المجاورة للحوريين، وهذه الظاهرة واضحة فى تواريخ أسلاف الكورد عامة.

ونستعرض فيما يلى جوانب من حياة المجتمع الحورى اجتماعياً واقتصادياً.

المُجْتمَعُ الزِّراعِيّ الحُورِيّ:

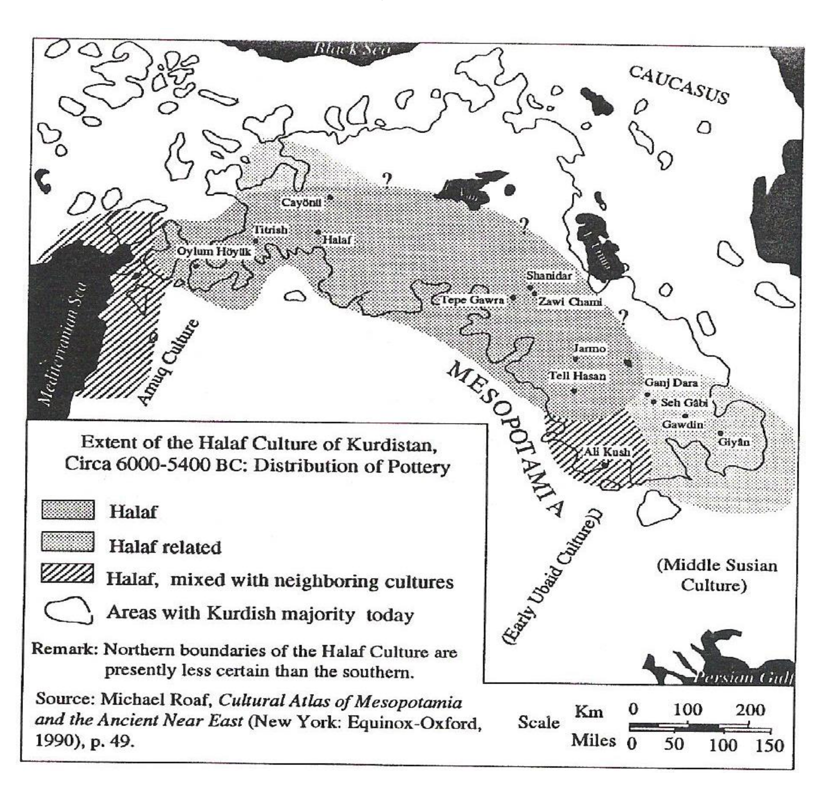
---

١ – جِرْنُوت فيلْهِلْم: الحوريون، ص ٢٤.

٢ – المرجع السابق، ص ١٢٨.

يبدو من خلال الأساطير والطقوس الحورية أن الصيد كان وسيلة أساسية عند الحوريين، لتأمين الغذاء فى عصور ما قبل التاريخ، وهم فى ذلك يتساوون مع معظم الشعوب. لكن تبيّن أن الحوريين كانوا، فى العصور التالية، ماهرين فى الزراعة، حتى قبل انتشارهم جنوباً وغرباً، وثمة أدلة تؤكد أن الحوريين كانوا، خلال الألف الثالث ق.م، يعتمدون بشكل رئيسى على الزراعة وتربية الحيوان، حينما كانوا فى موطنهم الأساسى بشمال شرقى كوردستان الحالية.

ولا غرابة فى أن يكون الحوريون ماهرين فى الزراعة وتربية الحيوانات، فإن موطنهم الأصلى كان جزءاً من جغرافيا حضارة گُوزاناGuzana (حضارة حلف)، نسبةً إلى تل (گُوزانا) الواقع على الضفة اليمنى لنهر الخابور، فى جنوب غربى مدينة رأس العَين الكوردية بغربى كوردستان، (قرب الحدود السورية التركية حالياً)، وكان موطن حضارة گوزانا يمتد على شكل قوس من جنوبى جبال زاغروس إلى شمال شرقى البحر الأبيض المتوسط، واندثرت هذه الحضارة فيما بين (٤٤٠٠ - ٤٣٠٠ ق. م) ، وهى تُعتبَر خزّاناً حضارياً فاضت منه



مبادئ الحضارة ومنتَجاتها على المناطق المجاورة لها فى غربى آسيا، ومنها انحدر السومريون إلى جنوبى بلاد الرافديَن، وأنشأوا هناك أقدم مجتمعى مدنى متحضّر[1]. (انظر خريطة حضارة گُوزانا).

وكان من الطبيعى أن ينقل الحوريون معهم خبراتهم الزراعية إلى مناطق انتشارهم فى القرون اللاحقة، وفى هذا المجال يمكن تمييز عدد من المناطق الزراعية المستقلة، تفصل بينها أحياناً مناطق جافّة غير خصبة، وهى تتوافق مع توزّع الوحدات السياسية فى مملكة ميتّانى، وهذه المناطق من الشرق إلى الغرب هى كما يلى:

أَرّابْخا (منطقة كركوك) جنوباً وغرباً، والمناطق الواقعة بين نهر الزاب الصغير ونهر الزاب الكبير.

السهول الزراعية فى شمال شرقى سوريا (خانى جَلْبَت/خانى گَلْبات).

سهل الفرات شمالى مَسْكَنَة (إيمار- قديماً).

المناطق المحيطة بمدينتى حَماه وحِمْص على الضفاف العليا لنهر العاصى (قَطَنا، قادِش)؛ والأرجح أن المقصود بـــاسم (قطنا) هو (قِطّينا)، وثمة بحيرة معروفة هناك اسمها (بحيرة قِطّينا).

سهول منطقة خَلَب (حلب).

أَلالاخ فى سهل العَمْق (على ضفاف العاصى) شمالاً وغرباً.

الجزء الجنوبى من بلاد كيزُّوِتْنا (كِيليكْيا وجُوكُوروفا المحيطة بمدينة أَضَنَه، وضفاف نهرى جَيْحان وسَيْحان)[2].

وكانت التجمّعات البشرية الحورية تقوم فى الغالب على صلات القربى، وتعكس وجود علاقة بين الأسرة ومُلكية الأرض، وكان التصرف فى الأراضى يتمّ على أنها أملاك منقولة، وهذا أمر معروف فى تواريخ معظم شعوب غربى آسيا، وما زالت آثاره قائمة إلى يومنا هذا. وكان المجتمع الحورى طبقىّ الطابع بصورة عامة، وكان أعضاء الطبقة العليا- وهم نُخَب يتألفون من أفراد الأسرة المالكة- يأخذون حصّة من الإنتاج الزراعى لنفسها، ويتعاملون مع

---

١ - المرجع السابق، ص ١٥٧.

٢ - المرجع السابق، ص ٨٧ - ٨٨.

القرى باعتبارها كيانات يمكن أن تُهدى أو تُبدَّل، أو تُحمَّل مسؤوليةً جماعية عن أداء واجبات معيَّنة[1].

وكانت توجد طبقة عليا أخرى تسمى (مَرِى يَنّى نا)، وكانت هذه الطبقة هى الأكثر عدداً، وتتميّز بوظائفها العسكرية، وكانت معنيّة بأنظمة الإنتاج الزراعى بشكل أقوى، وذلك من خلال مَنْحها قطعاً من الأراضى (إقطاعات)، تستثمرها لنفسها بوساطة أسر كبيرة أو صغير العدد، تشاركها مجموعة من العبيد، وقد أسهمت هذه الطبقة فى بروز نهضة فى المجال الزراعى، وفى الوقت نفسه تحوّل قسم من طبقة (مَرِى يَنّى نا) إلى ملاّكين كبار، على حساب آخرين صاروا فقراء، وقد بقى الانتماء إلى هذه الطبقة فى مناطق أَرّابْخا مرتبطاً بامتلاك عربة حربية، فى حين كانت المناطق الحورية الغربية قد تحررت من هذا الشرط، وصار الانتماء فيها صفة اجتماعية وراثية[2].

وفى الفترة الواقعة بين (١٤٥٠ – ١٣٤٠ ق.م) كانت فى بلاد أَرّابْخا (منطقة كركوك) الحورية ظواهر متعلقة بالحالة الاقتصادية والحضارية، لا تختلف عمّا كانت عليه الحال فى بقيّة مملكة ميتّانى، ومن أبرز تلك الظواهر:

وظيفة القصر الملكى كمركز للأعمال الحِرَفية والتجارة.

الاهتمام الزائد بملكية الأراضى، وما تعلق بذلك من تحوّلات فى بنية طبقة النخبة والأعيان.

وجدير بالملاحظة أن الظاهرة الثانية تتميّز بأهمية خاصة؛ لأنها كانت سبب السقوط السريع لمملكة ميتّانى، بعد أن كانت القوة الميتّانية فى ذروتها.

وكانت توجد ضريبة تسمّى (إِلْكُ) تُفرَض على الحقول غير المملَّكة للطبقات العليا، ويبدو أنها كانت ضريبة زراعية تُفرَض على الفلاحين الذكور الذين ورثوا قطعة من الأرض المشاعية (غير القابلة للبيع)، وكان يتوجّب عليهم استثمارُها مقابل تسليم حصّة من المحصول إلى القصر (الدولة). وتفيد نصوص نُوزى أنه ظهرت طبقة من ملاّكى الأرض كانت تشكّل (طبقة وسطى) بين القصر والفلاحين الذى كانوا يعملون وفق نظام (إِلْكُ)، ويُستفاد من تلك

---

١ – المرجع السابق، ص ٨٨.

٢ – المرجع السابق، ص ٨٨.

النصوص نفسها أن هذا النظام بقى سائداً بعض الوقت، ثم تفكّك بعدئذ، وربما تَوافَق وجوده مع وجوب أداء رسْم للقصر غير معروف القيمة[1].

اقْتصادُ القَصْر المَلَكِيّ:

كان القصر الملكى فى العصور القديمة محور النشاط الاقتصادى، حتى إن بعض المؤرخين سمّوا الاقتصاد فى الشرق القديم (اقتصاد القصر المَلَكى)، وكذلك كان الأمر عند الحوريين؛ إذ كان القصر يراقب الإنتاج الزراعى الذى كان أهمّ القطاعات وأوسعها، ويؤثّر فى الإنتاج بتحديد نسبة الضرائب، أو توزيع الأراضى، أو إصدار القرارات القانونية التى تنظّم العلاقات الزراعية. وعند وصف الحقول فى الوثائق الخاصة كان ثمة حرصٌ على ذكر أسماء مالكى الحقول المجاورة، وكانت بيانات الملاّكين ذات علاقة ببيانات القصر الملكى، وكان القصر يؤمّن حاجاته من الشعير من القرى التى كانت من أملاكه، ولا توجد معلومات بشأن الأسس القانونية التى كانت تنظّم العلاقة بين القصر وتلك القرى من حيث نصيب كل طرف من المحاصيل[2].

ويبدو أن محاصيل الحبوب الواردة إلى القصر الملكى كانت تُوزَّع داخلياً، وفيما يلى أبرز المجموعات التى كانت تنال نصيبها من تلك المحاصيل:

١ – الملك وكبار الموظّفين والمندوبون الأجانب وخيولهم، ويُلاحَظ أن الملك لم يكن يقيم فى عاصمته بشكل دائم، بل كان يتنقّل من قصر إلى قصر، وكأنه كان يقوم بجولات تفقّدية، ويبدو أن الموارد المحدودة كانت سبب انتهاج هذا الأسلوب، إضافة إلى ضرورات الإدارة القانونية والمشاركة فى الاحتفال بالمناسبات الدينية.

٢ – الملكات والأمراء القاصرون سِنّاً والأميرات من المقيمات فى أجنحة النساء ضمن القصر الملكى، إضافة إلى المغنّيات اللواتى كان عددهنّ كبيراً، وكنّ فى عِداد الإماء، ويقمن بأعمال النسج أيضاً، وإن كثرة المغنّيات فى القصور الملكية الحورية دليل على اهتمام الملوك والأمراء بحفلات الطرب، وهذه الظاهرة ملحوظة فى سِير عدد غير قليل من الملوك والأعيان الكورد القدماء، وصحيح أن عناية نُخَب الشعوب بالغناء والموسيقا يساهم فى ازدهار الفن وتطويره، لكنه فى الوقت نفسه باب للانشغال باللهو والعبث، والانصراف عن خشونة العيش

---

١ – المرجع السابق، ص ٩١.

٢ – المرجع السابق، ص ٩٠.

والجِدّ والحزم فى مباشرة الأمور، والحقيقة أن الترف واللهو والطرب كان ن أهم عوامل سقوط مملكة ميديا فى أيدى الفرس الأَخْمِين سنة (٥٥٠ ق.م) ، وسقوط الدولة الدُّوستكية (المَرْوانية) فى أيدى التركمان السلاجقة سنة (٤٧٨ هــ = ١٠٨٦ م).

٣ – العبيد الذين كان قسم كبير منهم يعمل فى مجال تصنيع الصوف.

وإن القوائم التى تتضمّن توزيعَ الأرزاق وأسماءَ الأشخاص وبعضَ الأرقام التى توضّح الأوضاع بشكل أفضل، فقد كان جناح النساء فى قصر مدينة زيزّا يضمّ أحياناً حتى (٤٣) شخصاً؛ منهم ستّ أميرات، وخمس أمراء. وتوجد قائمة بأسماء العبيد فى قصر نُوزى تذكر (٨٣) شخصاً؛ منهم (٣٢) نسّاجاً، وثلاثة نجّارين، وثلاثة حدّادين، وفاخوريّان، وأربعة كُتّاب، وسلاّلان، إضافة إلى عدد من الطبّاخين والخبّازين وصانعى الجُعَة (البِيرة) والرعاة والبُستانيين وغيرهم.

ويبدو أن صناعة النسيج كانت من أهم الأعمال الإنتاجية فى القصر، وكان القصر يربّى قطعاناً من الماشية، يقوم عبيد القصر على رعايتها، كما أن عدداً كبيراً من فئة (الأحرار) كانوا يعملون لدى القصر الملكى رعاةً بموجب عقود عمل، وكان لكل قصر ضريبة محدَّدة تُفرَض على قِطع الثياب المنتَجة[1].

وكان القصر الملكى يتحكّم فى النشاط الاقتصادى على الصعيد التجارى، وكان التجار يقومون بعمليات بيع المنتجات، وكانوا يُذكَرون ضمن عبيد القصر، وكان هؤلاء التجار يقومون بجولات تجارية خارج البلاد، يُنجزون خلالها طلبات شراء معيّنة، سواء أكانت تلك الطلبات خاصة بالقصر الملكى أم بالأفراد من خارج القصر، وكانت الصادرات الرئيسة هى المنتجات النسيجية والعبيد، أمّا أهم المواد المستورَدة فكانت المواد المستخلَصة من النباتات والصوف الملوَّن، وهذا يعنى أن الاقتصاد الحورى كان يقوم فى الأصل على ركنين: الزراعة وتربية الحيوانات؛ أىْ أنه كان اقتصاداً زراعياً رَعَوياً. والحقيقة أن هذا النمط الاقتصادى القائم على الزراعة والرعى ما زال هو السائد فى معظم أجزاء كوردستان إلى يومنا هذا، ولا مجال الآن للبحث فى الأسباب؛ إلى درجة يمكن القول معها أنه إذا حككنا جلد الكوردى فسينكشف عن مزارع أو راع، وليس عن تاجر[2].

---

١ – المرجع السابق، ص ٨٩ – ٩٢.

٢ – المرجع السابق، ص ٩٢ – ٩٣.

وإضافة إلى ما سبق، كان القصر الملكى يتحكّم فى المجال الحرفى، وخاصة مجال التعدين، فيقوم بتنظيم عمليات استيراد المعادن (المعادن النفيسة، النحاس، القصدير، الحديد)، ثم يتمّ تصنيع المعادن من قِبل الحِرَفيين التابعين للقصر، بهدف تأمين المعدّات العسكرية، وكان فى القصر مصنع تُصنع فيها الدروعُ للمحاربين وللخيول، إضافة إلى إنتاج الأسلحة الأخرى (سيوف، رماح، تروس، إلخ)١.

وفى حالة الحرب كان يتوجّب على القصر تسليح المحاربين وتأمين لوازمهم، باستثناء القوات التابعة لوحدة العربات الحربية، فقد كان أفرادها يتكفّلون شخصياً- على الأغلب- بتأمين لوازم الخيول والعربات الحربية وأسلحتهم الخاصة، وكانوا يقبضون- فى حالة الحرب- كميات ضخمة من الحبوب لتعليف الخيول، بالمقارنة مع الوحدات الحربية الأخرى.

طَبَقةُ المَلاّكِين الكِبَار:

لقد انبثقت عن المنتمين إلى الأسرة المالكة، وعن قسم صغير من الطبقة القائدة لقوات العربات الحربية، طبقةٌ جديدة قِوامها ملاّكو الأراضى الكبار الذين كانوا يمتلكون قطعاً كثيرة من الأراضى. وهناك مثال يساعد على تحديد مساحة الأراضى المستثمَرة التى كان يمتلكها كل واحد منهم، إذ بلغت- على الأقل- (٢٨٠) هكتاراً. وقد بقى من أرّاْبخا أرشيفان من الوثائق الكتابية، غنيّان بمعلومات وفيرة عن كبار ملاّكى الأراضى، هما أرشيف تِخيب- تيلاّ ووَرَثَته، وأرشيف شيلوا- تِشّوب. وعلى الأرجح كان تخيب- تيلاّ صهر الملك، ويحتلّ منصباً مهمّاً فى القصر، ومعظم وثائق أرشيفه قانونية، تساعد على معرفة كيفية تجميع العقارات الزراعية، أما شيلوا- تِشّوب فكان أميراً، ويوضّح أرشيفه أسلوب إدارة الأملاک٢.

وكان أصحاب الأملاک الكبيرة يستفيدون من القصر الملكى فى أساليب الاستثمار الاقتصادى، لكنهم كانوا يستثمرون أراضيهم بشكل مستقل عن القصر، ومع وجود الملاكين الكبار انتشر الفقر بين الفلاحين الصغار الأحرار، واقتصرت العبودية على أعمال الخدمة وممارسة الحِرف، وفى مجالات محدَّدة من الأعمال الزراعية ورعى الحيوانات، وكان أهم مصدر خارجى للعبيد هو بلاد لوللو فى جبال زاغروس١.

---

١ - المرجع السابق، ص ٩٣.

٢ - المرجع السابق، ص ٩٤.

١- المرجع السابق، ص ٩٣ – ٩٦.

ويلاحَظ ضمن ممتلكات شيلوا- تِشّوب وجود منتَجات كثيرة من الموادّ النسيجية مماثلة لما فى القصر الملكى، فقد كانت قطعانه من الخراف والماعز تؤمّن الصوف، وكانت الإماء- والعبيد إلى حدّ ما- يقومون بتصنيعه، وقد وصل عدد العاملين لديه فى هذا المجال بعض الأحيان إلى (٢٤٠) عبداً وأَمَة مع أطفالهم، وكانوا مجموعين فى أربع دُور للعمل، وكان قسم كبير من محاصيله يُستخدَم لإطعامهم، ومع ذلك يبقى فائض ضخم من الحبوب التى كانت تُستثمَر كقروض.

إن النشاط الخاص فى أَرّابْخا اتّصف بظهور كثير من الملاّكين الكبار من ناحية، وبانتشار الفقر الشديد بين صغار الفلاحين الأحرار من ناحية أخرى، وقد أدّى إلى ظهور طبقات اجتماعية جديدة، فقد ازداد سعى كبار الملاّكين إلى تأمين عمل مستقل، كما ازدادت العبودية، وتجاوزت الأطر التقليدية لصيغتها البطريركية (الأبوية)، لقد ظلت العبودية مقتصرة على أعمال الخدمة وممارسة الحرف، وفى مجالات محدّدة من الأعمال الزراعية؛ مثل رعى الحيوانات الكبيرة وحراثة الأرض. وكان أهم مصدر خارجى للعبيد هو بلاد لُوللو الواقعة فى جبال زاغروس، أما فى داخل البلاد فكان الاعتماد على توالد العبيد أنفسهم.

ولا توجد معلومات كافية لمعرفة أحوال الطبقة التى كانت تعمل فى قطاع الزراعة دون أن تكون لها أراض خاصة، أو تنتمى إلى قرى تعود بكاملها إلى القصر أو إحدى الشخصيات ذات النفوذ، وتشير بعض القرائن القليلة إلى وجود فلاحين أحرار كانوا يعتمدون على استئجار الأراضى وفلاحين مستقلين[١].

---

١ - المرجع السابق، ص ٩٦ – ٩٧.

٢
الأَوْضاعُ الإداريّةُ والعَسْكَريّةُ الحُوريّة

الأوضاعُ الإداريّة:

كان الملك- بصفته القائد الأعلى- يجمع بين الوظائف الإدارية والتشريعية والقانونية، أما دور المؤسسات الحكومية، وحدودُ مشاركاتها فى اتخاذ القرارات، فهو غير واضح. وكان الملك يقوم، فى مجال الأحكام القانونية- بدور محكمة الاستئناف فى عصرنا هذا (وهى تمتلك حق النقض) إزاء المحاكم المحلية. ومن أهم الوظائف الإدارية فى مملكة ميتّانى:

وظيفتا (شَكِين ماتى، وسُكّلُو): وكان المكلَّفون بهاتين الوظيفتين بمثابة وزراء، لكن مهامّهم غير واضحة.

وظيفة (خَلْ زُخْلُو: وهو آمر الحصن.

وظيفة خَزَنُّو: وهو مدير المنطقة١.

وتعطى بعض المراسيم الملكية انطباعاً عن النشاط الحكومى للملك، ومنها:

تحديد فِدية رجل دخل فى العبودية خارج البلاد، ثم حرّره تاجر من أَرّابْخا بالشراء، ولا يجوز تجاوز هذا المبلغ المحدَّد.

عدم جواز تسديد مُواطن من "مدينة الملك" ضريبة "إِلْكُ" بوساطة شخص آخر.

لا يحقّ للعاملين فى القصر الملكى- دون موافقة ملكية- دفع بناتهم إلى ممارسة التسوّل أو العهر.

---

١ - المرجع السابق، ص ٩٣.

جاء فى أمر موجّه إلى خَزَنُّو (مدير المنطقة): عليكم باليقظة تجاه اللصوص والهجمات المعادية، والقبض على الهاربين من أرّابْخا.

توجد مراسيم ذات طابع اجتماعى وسياسى؛ إذ تقضى بالإعفاء من العقوبات، أو تتعرض لمعالجة أوضاع الطبقات الاجتماعية الفقيرة١.

الأوضاعُ العُسْكَريّة:

تمثّلت شهرة الحوريين فى إدخال الخيل إلى غربى آسيا كأقربائهم الكاشّيين، ويُعَدّ ذلك تطويراً مهمّاً فى المجال العسكرى والاقتصادى خاصة، وثمة أدلة كثيرة على أهمية هذا الإنجاز الحضارى الحورى، فقد اشتملت نصوص نُوزى، العائدة إلى بواكير القرن الرابع عشر ق.م، ونصوص أخرى، على أن الهندو آريين هم الذين كانوا يمتلكون خبرة عالية فى ترويض الخيل وتدريبها واستخدامها لجرّ العربات الحربية الخفيفة ذات العجلتين خلال العمليات العسكرية، إضافةً إلى استخدامهم آلات الحصار، وخصوصاً آلة (ياشيبو) Yashibu، أى المَنْجَنِيق٢.

ويبدو أن حقيقة مهارة أسلاف الكورد فى صناعة الأسلحة، ومن بينها المنجنيق، ترسّخت فى الذاكرة الجمعية لشعوب غربى آسيا، وظلت تنتقل من جيل إلى جيل، ووجدت طريقها إلى الموروث الدينى، حتى وصلت إلى بعض كتب تفسير القرآن كتاب المسلمين، وقد جاءت الإشارة إليها فى تفسير قصة إلقاء النبى إبراهيم فى النار، بأمر من الملك نَمْرود، لكن جاءت هذه الإشارة من زاوية تبشيع صورة الكورد، وليس بقصد الإشادة بمهارتهم فى ابتكار الأسلحة وفى استخدامها، قال ابن كَثِير:

"ثم وضعوا إبراهيمَ- عليه السلام- فى كِفّة مَنْجَنيق صَنعه لهم رجلٌ من الأكراد يقال له: هَيزَن، وكان أوّلَ مَن صَنع المجانيقَ، فخَسَفَ اللهُ به الأرضَ، فهو يَتجَلْجَلُ فيها إلى يوم

---

١ - المرجع السابق، ص ٩٣ – ٩٤.

٢ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٥٠. عدنان الحديدى، ومعاوية إبراهيم: تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص ٣٤٦.

القيامة"١. وقال أبو السُّعود فى تفسيره: "فلم يَعلموا كيف يُلقونه- عليه السلام- فيها، فأتى إبليسُ وعلَّمهم عملَ المِنْجنيق، فعمِلوه، وقيل: صَنعه لهم رجلٌ من الأكراد، فخسفَ الله تعالى به الأرضَ، فهو يَتجَلْجَلُ فيها إلى يوم القيامة"٢.

وكان للحوريين دور بارز فى استخدام هذه التقنيات العسكرية الحديثة بمقاييس ذلك العصر، قال الدكتور عبد الحميد زايد بشأن المملكة الحثّية الحديثة (١٣٨٠ – ١١٩٠ ق.م): "وقد لوحظ أن الأسرة أصبح لها طابع حورى، وقد تأثّرت كثيراً بالحضارة الحورية، فجيش الامبراطورية الذى امتاز بسلاح المَرْكَبات قد قام بتدريبه حورى اسمه (كِيكُّولى Kikkuli)، وقد حمل كثير من أواخر الملوك والملكات والأمراء أسماء حورية... فزوْجتا تُودْخالْياش وأَرْنُوانْداش كانتا تحملان اسمَين حوريين هما نيكال- ماتى Nikal- Mati، وأشمو- نيكال Ashmu-Nikal، وابن الأخيرة كان يسمّى أشمى- شاروانا Ashmi- Sharruna"٣.

وكان يتوجّب على القصر- فى حالة الحرب- تسليح المحاربين، وتأمين جميع لوازمهم التى تحتاجها العمليات العسكرية، باستثناء القوات التابعة لوحدة العربات الحربية؛ إذ كان أفرادها يتكفّلون بتأمين لوازم الخيول والعربات الحربية وأسلحتهم الخاصة، وكان هؤلاء يأخذون من القصر- فى حالة الحرب- كميات ضخمة من الحبوب، لتعليف الخيول٤.

وقال وليام لانجر: "كان أعظم عمل للحوريين، أو على الأصحّ لقادتهم من الهندو- إيرانيين، هو إدخال العربة ذات العجلتين التى تجرها الخيل إلى مصر وغرب آسيا، حيث أصبحت معروفة بعد سنة (١٦٠٠ ق.م). وعثر الباحثون فى سجلات بُوغاز كُوى [خاتُّوشا] على كتاب فى تدريب الخيل، كتبه أحد الحوريين المعروفين باسم كِيكُّولى، ويحتوى الكتاب على كثير من التعبيرات الفنية الهندية"٥.

وبالإجمال فالمجتمع الميتّانى هو امتداد اجتماعى وثقافى وحضارى للحوريين، وكان الميتّانيون أكثر بروزاً على الصعيد العسكرى؛ إذ كان للخيول والمركبات الحربية دور مهم فى

---

١ – ابن كَثِير: قصص الأنبياء، ص ١٢٧.

٢ – أبو السُّعود: إرشاد العقل السليم، ج ٦، ص ٧٦.

٣ – عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٧٣.

٤ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٩٣.

٥ – وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٦٢/١.

القوة القتالية الميتّانية، وبما أن الخيول والمرْكبات كانت غالية جداً، اقتصر اقتناؤها على فئة محدودة ثريّة، وكان هؤلاء يشكّلون فرقة متميّزة في الحرب، ولهم دور حاسم فيها، وعُرف هؤلاء في مملكة ميتّاني وسوريا وفلسطين باسم (مَرِي يَنّي نا) mariyanni- na و(ماريانّو) و(مارينو)، وهي كلمة رُبطت غالباً بالكلمة الهندية القديمة (مَرِيا) marya، أي (الفتى، الشاب)، ولا يخفى الشبه اللغوي والدلالي بين هذا الاسم والكلمات الكوردية Mér (رجل/بطل/شجاع)، و merî (رجل/صاحب مروءة) وMéranî، (رجولة/ بطولة/ شجاعة)، كما أن شهرة القوس الميتّانية خلال القرن الرابع عشر تجاوزت حدود البلاد[1].

وكان للعربات الحربية ذات العجلتين تأثير كبير في العمليات العسكرية التي قام بها الميتّانيون، وفي حسم كثير من المعارك لصالحهم، كما تساعد النصوص التاريخية على استنتاج أن الميتّانيين تميّزوا بفنون الحصار واستخدام الأقواس المركّبة منذ المراحل المبكِّرة لمملكة ميتّاني، ويبدو أن الميتّانيين احتفظوا بشهرتهم الحربية حتى بعد زوال مملكتهم بزمن طويل، والدليل أنه كان في جيش الملك الفارسي أَرْتَزَرْكْسيس (أَحْشَويرَش) الأول ابن دارا الأول، الزاحف على اليونان حوالي عام (٥٨٠ ق.م)، مقاتلون ميتّانيون[2].

---

١ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٥٠، ٨٧. توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣١٢. أحمد هُبّو: تاريخ الشرق القديم، ص ١٧٠. محمد حرب فَرْزات، وعيد مَرْعي: دول وحضارات الشرق العربي القديم، ص ١٦٧.

٢ - هيرودوت: تاريخ هيرودوت، ص ٥١٨. جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٥٠.

٣
اللُّغَـــــــــــةُ الحُـــــــــــورِيَّة

هويّةُ اللُّغَةِ الحُوريّة:

أطلق الحثّيون على لغتهم اسم (خور- ليلى) Hur-lili، وقد حار المؤرخون فى تحديد هويتها، كحَيرهم فى تحديد هوية اللغة السومرية، وذكر وليام لانجر أن اللغة الحورية عُرفت معرفة تامة من خطاب ملك ميتّانى يدعى تُوشْراتّا إلى أَمْنُوفيس (آمُونْحُوتَب) الثالث ملك مصر، ومن بضع لوحات مكتوبة بحروف مسمارية وُجدت فى أوغاريت (رأس شَمْرا)، ومن بضعة نصوص من مكتبة سجلات بُوغاز كُوى (خاتُّوشا)، ومن بضع كلمات ذُكرت هنا وهناك على اللوحات المسمارية التى وُجدت فى نُوزى، بالقرب من كركوك. وربما كانت هذه اللغة قريبة من اللغة الثانية (الوانية) والعيلامية، غير أنه لا يمكن إدماجها فى أية فصيلة لغوية معروفة١.

واللغة الحورية التصاقية كالكوردية الحالية، قال جين بوترو وزملاؤه: "اللغة الحورية لغة ملتصقة، وهى ذات صلة باللغة الأُورارتية التى نجدها فى مصادر من القرن التاسع حتى القرن السابع قبل الميلاد، والتى وُجدت فيما عُرف بأرمينيا، ولا يمكن تثبيت علاقة أخرى بين اللغة الخورية وغيرها من لغات الشرق الأدنى القديم"٢.

---

١ - وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٦١/١.

٢ - جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ص ٢٠١.

وقال جِرنُوت فِيلْهِلْم:"لقد وَجد عدد من الباحثين — من قبلُ- وجودَ صلة قرابة بين اللغة الحورية واللغة الأورارتية التى دُوّنت بها نقوش تعود إلى الفترة الواقعة بين القرنين التاسع والسادس قبل الميلاد، وقد أكد فريدريش تلك الصلة، ولا سيّما فى المجال المعجمى. وللباحث الروسى دياكونوف جهود مهمة فى هذا المجال، وتمّ الوصول إلى تحديد دقيق لدرجة القرابة بين اللغتين. وفى ضوء تلك النتائج، واعتماداً على وضوح التطورات اللغوية ضمن اللغة الحورية ولهجاتها، يمكن للمرء أن يقول الآن، وبكل تأكيد. إن اللغة الأُورارتية ليست متطوّرة عن اللغة الحورية، وإنما تشكّل اللغتان فرعين منفصلين من لغة أُمّ (اللغة الحورية- الأورارتية المبكِّرة) وقد استقلّتا الواحدة عن الأخرى خلال الألف الثالث قبل الميلاد"١.

وقال جين بوترو وزملاؤه: "لقد انتشرت اللغة الحورية خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد فى المناطق السورية الوسطى، ووصلت حتى قَطَنا وقادِش، ويعود ذلك بالطبع إلى الانتشار الواسع للحوريين عند ظهور مملكة ميتّانى"٢.

وقال الدكتور توفيق سليمان: "وكانت لهذه القبائل لغتها الخاصة المعروفة بـــ (الحورية)، وقد وصلتنا نصوص منها من عدة مصادر، من بينها تل العَمارِنة، ومدينة نِيپُّور٣، ومدينة رأس شَمْرَا، والعاصمة الحثّية خاتُّوشا"٤.

وذكر هارى ساغز أن الحوريين تكلموا لغة مختلفة عن السومريين والأكّاديين، وأسماء الحوريين الشخصية مميَّزة، وهى علامة واضحة على الأشخاص من أصل حورى، وتشير الشواهد إلى وجود الحوريين فى جنوبى بلاد الرافدين منذ العهد الأكّادى، وحوالى نهاية تلك الفترة أقاموا دولة صغيرة قصيرة العمر فى منطقة الخابور، وكان يحكمها حكام يحملون أسماء حورية، ووُجدت عدّة أسماء حورية فى فترة الأسرة الثالثة فى أُور (٢١١٣ — ٢٠٠٦ ق.م)، فى مناطق شمالى نهر دِيالى٥.

---

١ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٢٢.

٢ - المرجع السابق، ص ٤٩.

٣ - نيپّور: مدينة سومرية قديمة كانت تقع فى جنوبى بلاد الرافدين، وسُمّيت بعدئذ (نُفَّر)، وهى تقع زهاء مئة ميل جنوبى بغداد. انظر صمويل كريمر: من ألواح سومر، ص ٢٠٧.

٤ - توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣١٣.

٥ - هارى ساغز: عظمة آشور، ص ٥٢.

ولا نستبعد أن تكون حَيرة المؤرخين فى هوية اللغة الحورية، وفى صلتها بالكوردية، ناجمةٌ عن أمرين: الأول جهل أولئك المؤرخين باللغة الكوردية. والثانى هو التعتيم الذى فُرض على الكورد وعلى الثقافة الكوردية منذ خمسة وعشرين قرناً؛ حتى إن معظم المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ غربى آسيا ما كانوا يعرفون أن ثمة شعباً قائماً بذاته يسمّى الكورد، وأنهم أصحاب تاريخ عريق فى غربى آسيا.

وكانت اللغة الحورية منتشرة فى جميع مَواطن أسلاف الكورد الممتدة من جبال زاغروس ضمناً إلى البحر الأبيض المتوسط، إنها تمركزت فى كركوك ونُوزى وكوروخانى وشَمْشاره على منابع نهر الزاب الصغير بسهل بَتْوِين (بَيْتواتَه)، وكذلك فى الأقاليم الواقعة على نهر الخابور وكَرْكَميش وحلب حتى كيزُّوواتْنا (كيزُّوفَتْنا التى تشمل كيليكيا وما حواليها) فى جنوبى الأناضول والممتدة حتى سواحل البحر الأبيض المتوسط، وتركت هذه اللغة آثاراً فى النصوص الكتابية التى وُجدت فى تلك المواقع، ويعود أقدم نص باللغة الحورية إلى الملك تِيش أَتَل (٢٠٤٥ – ٢٠٣٧ ق.م)، يتحدث فيها عن بناء معبد خاص للإله نِرغال Nergal[١].

وهناك رُقُم تشير إلى ملحمة جِلجاميش وقصة الصيّاد كِشى، وثمة نصوص فى صيغة رسائل أرسلها ملوك ميتّانى إلى بعض الملوك، وخاصة تلك المجموعة التى أرسلها الملك تُوشْراتّا (والد تادو– خيبا) إلى فراعنة الأسرة الملكية الثامنة عشرة فى مصر، واكتُشفت جميعُها أثناء الحفريات فى موقع تل العَمارِنة[٢].

وقد شوهدت ألواح كثيرة فى آثار العاصمة الحثية خاتُّوشا (حاتُوشّا= بُوغازكُوى، فى جنوبى أَنقره)، وتل بَراك، وشَهْربازار، وحوض نهر الخابور، وأوغاريت (رأس شَمْرا)، وأَلالاخ (تل عَطشانة)، ومارى (قرب البُوكمال فى شمال شرقى سوريا)، وهى تراث حورى غنى، لا تضاهيه فى قيمته التاريخية سوى الألواح التى استُخرجت من قرية شَمْشاره (شَوشّارَه القديمة فى سهل بَيْتواتَه بكوردستان الجنوبية)، وهى تشتمل على موادّ قيّمة جيّدة تتعلق بأحداث الألف الثانى قبل الميلاد[٣].

---

١ – جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٩١/٢.

٢ – المرجع السابق، ٩٢/٢.

٣ – المرجع السابق، ٩٤/٢.

ويرى الدكتور جمال رشيد أحمد أن اللغة الحورية خلّفت فى كوردستان- بمرور الزمن- لهجات محلّية عدّة، منها الخَلْدية والكوردوخية والتاوْخية، ومن أهمها اللهجة الرسمية لدولة أورارتو التى دوّن بها ملوك أورارتو (خَلْدى)، مثل رُوسا وإشْپوينى ومِينَوا وأَرْگيشتى أخبارَ منجزاتهم وحروبهم، واكتشف علماء الآثار (٤٠٠) نصّ من نصوص هذه اللهجة فى الأقاليم الواقعة بين نهر آراس فى شمالى كوردستان ومدينة مَلاطِيَ فى غربى كوردستان، ونهر الزاب الكبير فى جنوبى كوردستان، ومن ضمنها مسلّتا كَلَه شِين وطُوابْزُوه فى منطقة راوَنْدُوز١.

خَصائصُ اللُّغةِ الحُوريّة:

بما أن الانتشار الحورى كان فى مناطق واسعة، وكان الحوريون على تماسّ مباشر بعدد من الأقوام، فقد استعاروا مجموعة من المفردات السومرية والأكّادية واللاحقات العيلامية، مثل esh وهذه اللاحقة واردة فى أسماء بعض الأقاليم الحورية مثل (أُورْكيش وتُوكْريش)، وأخذت فى الكاشّية صيغة Jash و ash، وغالباً ما تظهر هذه اللاحقة فى أواخر أسماء الآلهة الكاشّية (بُورْياش، سُورْياش، بُوگاش)، وفى أسماء الملوك الكاشّيين (كاشْتلياش، كرينِداش)، وأسماء البلدان الكاشّية (كارْدُونْياش، سِيماش، كِيماش)، وصحيح أن اللغة الحورية استعارت أحرفاً صوتية من اللغات الأخرى ، إلا أنها زوّدتها فى الوقت نفسه بأصوات أخرى، وحافظت على شخصيتها كلغة قائمة بذاتها مستقلة عن اللغات الأخرى٢.

وذكر الدكتور جمال رشيد أحمد أنه لا توجد أدلة على الأصل المشترك للغات الحورية والعِيلامية والكاشّية، وثمة بعض أوجه التشابه فى اللغتين الحورية والكوردية المعاصرة فى استعمال اللاحقات والأصوات وتبديلها بأصوات أخرى، مثل تحوّل اللام إلى راء فى كلتا اللغتين، واستعمال اللاحقة ari- التى كانت تساعد على تحديد الانتماء المكانى عند الحوريين مثل Nawar-ari (نوارى)، Arrapha-ari (أَرْرابخى)، وفى الكوردية مثل Kurdaw-ari (الانتماء إلى الكوردية)، Koçaw-ari (الانتماء إلى الحياة الرعوية)، وكذلك اللاحقة الحورية

١- المرجع السابق، ٢/٩٥ - ٩٦.

٢ - المرجع السابق، ٢/٩٦.

-h، hi, he، التى تحدد انتساب الفرد إلى قوم، مثل Kina-hi, Hurrup-he, Kardu-hi (كنعانىّ، حورىّ، كوردوىّ)، واللاحقة ati- التى كانت تعيّن ما يتعلق بجماعة إثنية مثل Lullu-ba-ti، قديماً و Kurd-ati حديثاً١.

الخصائصُ الفونولوجيّة: كانت اللغة الحورية تملك فونيمات (صوتيات) لم تستطع رموز الخط المسمارى ذات النمط الأكّادى أن تعبّر عن هذه الفونيمات بدقة، واستُعملت فى الحورية أحياناً حروف غير متحركة بجانب بعضها البعض ضمن الكلمة الواحدة، هادئة ورنّانة وثقيلة (مثل الكوردية). وإن النظام الفونولوجى الحورى كان كالآتى: u,o, i, e, a، وكانت هذه الحروف الصوتية المتحركة تتغير عند وقوعها بعد حرف خافت مثل y و lla, tta، أو كانت تختفى أحياناً فى حالة الإضافة أو عندما كان يتقدمها -ne، مثلما هو واضح فى الجمل التالية:

Nuza ‹ Nuz-we ، (مدينة نوزى)، tanoziuf ‹ Tan-oz, I wa-af (لم أعمل)، paba ‹pabone (الجبلى)، وفى الغالب كان الحرف a يختفى فى حالات الكلمات التامة مثل Galgamiz-us-lla، (غلغاميش)، ويتحول أحياناً إلى صيغة Galgamiz-ull. وإن الحرف e كان يلفظ فى الحورية إما (ىَ) أو (ى) الذى دخل إلى الأورارتية مباشرة، لكن الحرف o يُشاهَد فى الرسائل الميتّانية التى اكتُشفت فى تل العَمارِنَة بصيغة u ٢.

وكانت مشكلة التدوين عند الحوريين تتعلق بالأسباب التالية:

طريقة التدوين المزدوَج صُوَرية، وأخرى بالخطوط المسمارية الساميّة.

التأثر بالكتابة الأكّادية فى الشرق وبالأوغاريتية فى الغرب واختلافهما عن الكتابة التى سادت فى الوطن الحورى بكوردستان.

ظهور تباين فى استعمال الحروف الصوتية مثل: a, e,i.

تداخل أصوات الحروف أثاء النطق.

تداخل الحروف الصوتية الحورية a, e, i مع بعض الحروف الأكّادية مثل -u كما تَشاهَد فى الرسائل الميتّانية.

ظهور أصوات سامية فى الكتابات الحورية مثل y, w.

---

١ - المرجع السابق، ٢/٩٧.

٢ - المرجع السابق، ٢/٩٨.

كتابة أسماء الأعلام على الطريقة الأكّادية.

وجود إشارات الفونيم على الوقفات.

ظهور حروف صفيرية ومَزْجية فى الكلمات الحورية.

هذا إضافة إلى أن هناك (٢٥) حالة للتغيّرات الفونولوجية منها ترخيم أو مزج أصوات الأسماء وترخيم صوت الحرف a عندما كان يقع قبل اللاحقة ne – وترخيم الحرف الذى كان يقع فى كلمات منتهية بصوتَى الراء والنون١.

الكلماتُ الحُوريّة: تنقسم الكلمات الحورية من الناحية المورفولوجية إلى ثلاثة أصناف: أسماء، وأفعال، وأدوات، وتلحقها لاحقات. وكانت المفردات الحورية- سواء أكانت أسماء أم صفات- تتركّب من جذور ولاحقة مثل (ae-) الكوردى، فالكلمة nir-ae كانت تعنى xêr-ae الكوردية (السرعة) وubad-ae (zor-ae) الكوردية (كثير). أما الأفعال فكانت تلحقها حروف صوتية رنّانة، فكما نسمع فى الكوردية المعاصرة أسماء الأقارب بصيغة daya, kaka, mama, lala (الأم، الأخ، العم، الخال)، وإن الحرف a- لعب دوراً مهمّاً فى صياغة أسماء الأقارب والأماكن فى الحورية٢.

وقد استعار الحوريون من السومرية ألفاظاً صاغوها بما يلائم خصوصياهم الصوتية، فكلمة zu-luma (التمر) استعملها الحوريون بصيغة zilumpa كما لفظوا الكلمة السومرية dam-gar (تجار) بصيغة tamgar المشتقة من لفظها الأكّادىtamkarum، وتحولت كلمة sharu (الملك) إلى zarra وdub (رَقيم) إلى tuppi ، وذلك من خلال الصيغة الأكّادية tuppum، واستعار الحوريون مفردات هندو آرية من الميتّانيين مثل marrianni (نبيل، فارس، شريف) والتى ظلت فى الكوردية بصيغة mêrinni و mêranî٣.

الأَسماءُ الحُورية: استعمل الحوريون الأسماء فى حالات المعرفة والنكرة، وبإضافة اللاحقة – a أو az – كانت تتحول هذه الأسماء إلى حالة الجمع، وكانت بعض التغيّرات الصوتية (الفونولوجية) تطرأ على الأسماء كالتالى:

ترخيم الأصوات وامتزاجها.

---

١ – المرجع السابق، ٢/٩٩.

٢ – المرجع السابق، ٢/١٠٠.

٣ – المرجع السابق، ٢/١٠٠.

ترخيم الصوت a- عند وقوعه قبل اللاحقة ne-، وكان يختفى عندما يكون الاسم منتهياً به يعد التصاقه بهذه اللاحقة.

ترخيم الصوت النهائى للاسم إذا التحقت به حروف من نمط n, l, r.

عند إضافة كنية ene- "الإله" إلى الأسماء كان الصوت e / i يتحول إلى a - وتصاغ بصيغة en-na أو n-na.

ترخيم الأصوات التى تقع قبل اللاحقة onni-.

ترخيم الصوت الشفوى الاحتكاكى f بعد الاحتكاك السِّنّى.

امتزاج الأصوات R, L, N[١].

الأفعالُ الحُوريّة: كانت الأفعال فى اللغة الحورية تعبّر عن حالة اللازم والمتعدّى، والمُثْبَت والمنفى، والشخص وعدد الفاعلين والمفعولين، وكانت تتألف عادةً من القاعدة ومن مجموعة من اللاحقات التى قامت بالدور الرئيسى فى تجسيد سيمانتيک جذر الفعل، وكانت الجملة فى اللغة الحورية (باستثناء حالة التعبير عن وضعية الكلمة فى الجملة) تبدأ عادة بالفاعل كما تُصاغ الجملة العادية الآن فى الكوردية، وكانت تتقدّمها كلمات مساعدة أو أدوات مستقلة أو صفات، ومن الظواهر اللافتة للنظر فى هذا النوع من الجمل كثرةُ الأدوات اللاصقة بالألفاظ، فعند لصق اللاحقة بنهاية الفعل الثانى فى الجملة كان الفعل يعبّر عن نتيجة الفعل الأول، مثال:

Hijaruhha- tta- n te – u/on- ae zen(a) – ff – us keb – an – u/o-en

(الذهب- أنا موجود- كثير، أخ – ى- يرسل- كى- أعرف)؛ بمعنى "ليرسل أخى ذهباً كثيراً وسأكون على دراية بالأمر"[٢].

وللدقة فى التعبير، وللحفاظ على وضعية الأسماء والصفات فى الجملة، أَلحق الحوريون عدداً من اللواحق بهذه الأسماء والصفات، وما زالت هذه اللواحق مستعمَلة فى اللغة الكوردية للأغراض نفسها، واستعمل الحوريون فى الجملة أدوات اسمية مثل edi / da- احتاجت إلى حالة الإضافة، واستوعبتها اللغة الكوردية كما نراها فى الجملة التالية: En (e)- if – wa – ai- da (أمام ربى)، وفى الكوردية: La pêş xuda- m- da

---

١ – المرجع السابق، ٢/١٠١ – ١٠٢.

٢ – المرجع السابق، ٢/١١٠ – ١١١.

الحورية	العربية	الخلدية	العربية
ak-	قاد	*ag(u)-*	تبيان الطريق
allai	عريق النسب	*alaui / e*	سيد ، صاحب الأمر
ar-	عطاء	*ar(u)-*	عطاء
durupi	أربك	*durba*	غضب
hurati	نقل	*huradi*	نقل
hari	طريق	*hari*	طري
haš	سماع	*hašu*	سماع
hau	إستلام	*hau*	إستلام
ibiri (ewri)	سيد ، ملك	*euri*	سيد ، ملك
mann	كون ، وجود	*manu-*	كون ، وجود
papa	جبل	*baba*	جبل
pis-	فرحان	*pišuše*	فَرَح
purame	عبد	*bura*	عبد
šale	إبنة	*sila*	إبنة
ṣara	حديقة	*sare*	حديقة
šauala	سنة	*šali*	سنة
šahuri	حياة	*šehiri*	حياة ، حركة
tan-	عمل ، فعل	*tanu-*	عمل ، فعل
tarmani	قفزة	*taramana(li)*	قفزة
taršu(u)ann	الإنسانية	*taršuani*	الإنسانية
taše	هدية	*tase*	هدية
tiža / tiži	قلب	*tišnu*	قلب
tiui	كلمة	*tini*	إسم (*tiau* كلام)
uli-	الآخر	*uli-*	الآخر
urpumma	ذبح	*urpu*	قربان ، ضحية
umini	بلد	*ebani*	بلد
wandon(n)i-	حق ، صواب	*andani*	حق صواب

وبعد أن قضت المفردات الهندو- آرية على معظم المفردات الزاغروسية، احتفظت اللغة الخَلْدية وحدها بالتقاليد اللغوية الحورية كما يشهد على ذك عدد من الباحثين، حتى إنه فى سنة (١٩٦٠ م) ذكر بينيديكت Warren C. Benedict أن ظهور دولة أورارتو حوالى سنة (٨٥٠ ق.م) ما هو إلا استمرار للنظام السياسى الحورى[١].

وإضافة إلى حفاظ اللغة الكوردية على السوابق واللواحق الهندو- أوربية مثل (band-) فى كلمة Paş – band، و اللاحقة (baz-) فى كلمة ser- baz (جندى، محارِب)، واللاحقة (dar -) فى كلمة krê-kar، (عامل، أجير)، واللاحقة (mand-) فى كلمة hoş- mand (واعى، ذكى)، فإنها ورثت مجموعة من اللواحق الحورية- الأورارتية HU–، وهى واردة فى صياغة بعض الكلمات الكوردية، وفيما يلى بعض الأمثلة على اللغة الحورية[٢].

---

١ – المرجع السابق، ١١٢/٢.

٢ – المرجع السابق، ١١٣/٢ – ١١٤.

٤
الأَدَبُ والفَنّ الحُوريّان

الأدبُ الحُوريّ:

أسهم حوريّو الهلال الخصيب منذ زمن مبكّر فى التراث الحضارى السومرى- الأكّادى المدوَّن، ويتمثّل ذلك فى أشكال من النصوص يصعب تمييزها عن بعضها، وتُوصَف كلُّها بالنصوص الأدبية، وقد نُسخت تلك النصوص مراراً لأغراض تدريبية غالباً، وهى فى مجموعها تعكس "تيّار التراث" والتواتر الحضارى لتقاليد الكتابة، وتضمّ قوائم بالعلامات الكتابية، ومعاجم لغوية، وقوائم بالمترادفات من الكلمات، إضافة إلى مجموعات النبوءات والتعويذات والأساطير والملاحم والحكايات الخرافية والأمثال وغيرها. وثمة أجناس أدبية محدودة الكمية، لها صلة بالشعر الشفهى (السماعى)، ضُمّت إلى النصوص الأدبية، بعد أن تمّ تبديل أساليبها التعبيرية.

ويبدو أن النصوص الأدبية شهدت تطورات كبيرة خلال الألفين الثالث والثانى ق.م، وبلغت درجة متقدمة من التطور فى أواخر الألف الثانى ق.م، لكن بنسب متفاوتة، حتى إنها صارت ذات قواعد محدَّدة، واتخذت هيئة ثابتة، ويمكن القول بأن الكُتّاب الحوريين شاركوا فى صياغة ثقافة كتابية تجاوزت الحدود اللغوية والسياسية والدينية، وفى إطار مسيرة التطور هذه أسهم الكتّاب الحوريون فى حضارة الهلال الخصيب، وأغنوها بأشكال عدّة، منها:

١ – إعادة صياغة موضوعات بأسلوبهم الكتابى الخاص.

٢ – ترجمة بعض النصوص إلى اللغة الحورية.

٣ – صياغة روايات شفهية وكتابية باللغة الحورية صياغة جديدة.

٤ – إضافة نصوص (أساطير وتعويذات) من التراث الحورى[١].

وإن اقتباسات الكتّاب الحوريين، وعنايتهم بالأدب السومرى- الأكّادى، تعود بشكل أساسى إلى النصوص المكتشَفة فى خاتُّوشا (بُوغاز كُوى) وأُوغاريت (رأس شَمْرا) وإيمار (مَسْكَنة، نحو ٩٠ كم شرقى حلب)، وكشفت فى تل العَمارِنة بمصر بعض النصوص الأدبية المتفرقة التى ترجع إلى تقاليد الكُتّاب الحوريين، وتمّ التأكيد مراراً على دور الحوريين فى عملية انتقال الأدب الأكّادى إلى شرقى المتوسط، ولكن يتوجّب عدم المبالغة فى ذلك؛ إذ يمكن أن نستخلص من قرائن كثيرة أن مدارس تعليم فنّ الكتابة كانت مزدهرة فى شمالى سوريا خلال العصر البابلى القديم، وكانت هذه المدارس تعتمد على موروث قديم طويل العهد، كما كان لها تواصل مع التطور الأدبى فى بلاد بابل، ووُجدت خلال العصر البرونزى المتأخر صلات بين المدارس الحثية والسورية والبابلية والآشورية، وإن نصوص المكتبة المكتشَفة فى مدينة إيمار أدلّة على ذلك. وجدير بالذكر أن تلك الأعمال هى فى معظمها ذات أصل سومرى- أكّادى، وأصبحت متميِّزة باستخدام اللغة الحورية فى صياغتها[٢].

وقد اكتُشفت فى أوغاريت سلسلةٌ معجمية مصنَّفة وفق الموضوعات، ونجد فيها إلى جانب العمود الذى يتضمّن الكلمات السومرية عموداً تُعرَض فيه الترجمات الحورية للكلمات، وتظهر فى اللغة الحورية المستخدَمة فروق واضحة- من حيث الصيغ- تميّزها من المستخدمة فى نصوص أخرى من النصف الثانى من الألف الثانى ق.م، وتبلغ تلك الفروق درجةً جعلت بعض الباحثين يعتقدون أنها تمثّل لهجة خاصة.

وعُثر فى أوغاريت أيضاً على كِسَر عدّة، دُوِّنت عليها قوائم مفردات مرتَّبةً وفق أشكال العلامات المسمارية التى تبدأ بها، وهى مقسَّمة إلى أعمدة عدّة؛ عمود للمفردات السومرية، وآخر للأكّادية، وثالث للحورية، ورابع للأوغاريتية، وإن موقع العمود الحورى يدعو إلى استنتاج أن تلك القوائم انتقلت إلى أوغاريت عبر مدرسة كتابية حورية.

ومن التراث الأدبى الحورى أيضاً جنسٌ أدبى معروف بـــ (أدب الحكمة)، وقد عُثر على نموذج منه فى أوغاريت، وهو يـــتألف من ثمانية أسطر باللغة الأكّادية، مع ترجمة حورية لها. ومن الملاحم الرافدية التى وصلتنا- حسب قول جِرْنُوت فِيلْهِلْم- صياغةٌ وحيدة باللغة الحورية

---

١ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ١٣٦.

٢ – المرجع السابق، ص ١٣٧.

لملحمة جلْجامِش ملك أُورُوك فى عهد السلالات السومرية المبكِّرة، وهى مكتشَفة فى العاصمة الحثّية خاتُّوشا، والأرجح أن الصياغة الحثّية لبطولات جِلْجامِش تعتمد على تقليد النماذج الحورية. ومما يشير إلى قِدَم نص ملحمة جِلْجامِش الحورية ورودُ اسم جِلْجامِش فيها بالصيغة القديمة (بيلْجامِس) التى استُخدمت فى كتابات العصر الأكّادى القديم[1].

الفَنّ الحُورىّ:

لا يمكن عرض وصف شامل للفنون التشكيلية فى مناطق اللغة الحورية؛ لأننا لا نجد فيها تماثيل تذكارية إطلاقاً، ولا تتعدّى الشواهد الفنية المتوافرة بكثرة نوعين من الفنون التطبيقية هما: فنّ صناعة الفخّار وتزيينه، وفنّ نقش الأختام الأسطوانية، ويُظهر كلاهما أن الوحدة السياسية لمملكة ميتّانى فسحت المجال أمام الانتشار السريع للإبداعات الفنية؛ ولذلك صار من الجدير الحديثُ عن "فنّ مملكة ميتّانى".

والحقيقة أن اصطلاح وجود "فنّ حورى" مقرون بصعوبات أهمها أنه يقتضى توافر وحدة فى التقاليد والتصورات الفنية ضمن نطاق اللغة الحورية، وخلال زمن طويل يمتد من أواخر الألف الثالث ق.م حتى القرن الرابع عشر ق.م، وهو أمر غير محقَّق فى أىّ شكل من الأشكال الفنية التذكارية، ولا فى فنون الفخّار والأختام الأسطوانية أيضاً[2].

وتدور الفنون التشكيلية الحورية، بشكل أساسى، حول ثلاثة محاور هى: فن نحت التماثيل، وفن صناعة الفخّار وتزيينه، وفن نقش الأختام الأسطوانية، ويبدو من الفنين الأخيرين أن الوحدة السياسية لمملكة ميتّانى فسحت المجال لانتشار الإبداعات الفنية بسرعة، مع الأخذ فى الحسبان أن الميتّانيين امتداد إثنى وسياسى وثقافى للحوريين، وفيما يلى توضيح لكلّ من الفنون التشكيلية الحورية:

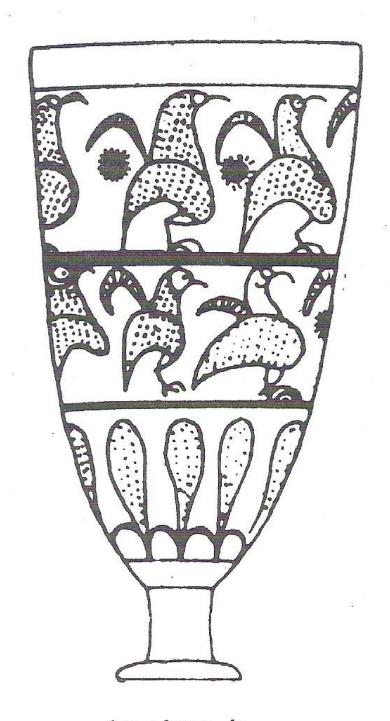
أولاً - فنُّ نحتِ التماثيل: عُثر فى مدينة أُوركيش (عاصمة الحوريين) على تمثالين لأسدين من البرونز، على كل منهما نقش كتابى، يوضّح أنهما يمثّلان حجر الأساس لبناء معبد للإله

---

١ - المرجع السابق، ص ١٣٦ - ١٣٩.

٢ - المرجع السابق، ص ١٤٠.

نِريجال (نِرْگال) فى عهد الملك الحورى تِيش- أَتَل، وهما الشاهدان الوحيدان حتى الآن- حسب جِرْنُوت فِيلْهِلْم- على الإبداع الفنى فى مركز حورى خلال الألف الثالث ق.م، وهما مصنوعان بتقنية متطوِّرة بارعة، ويَعكسان تأثيراً كبيراً بالأسلوب الرافدى (الميزوپوتامى) فى تصوير الأسود، ولا يُظهران أية خصوصية محلية أو مظاهر إبداعية أصيلة جديدة.



من الأعمال الفنية الميتانية
تل بيلا - القرن الخامس عشر قبل الميلاد

وقد استنتج باحثون وجود تأثيرات فنية حورية، كانت شائعة خلال المملكة الميتّانية، فى الأعمال التصويرية التذكارية (النحت النافر والتشكيلى المجسَّم) المكتشفة فى مدن- دويلات جنوب شرقى الأناضول وشمالى سوريا، وهى تعود إلى أواخر عصر المملكة الحثّية العظمى، والعصر الحثّى المتأخر، وبما أن الشواهد المعبّرة عن ذلك الفن الحورى المفترَض لم تُعرَف بعد، فقد أرجعوا غيابها إلى قلة اللُّقى الأثرية المكتشَفة فى شمالى سوريا. وذهب آخرون إلى أن المضامين الفكرية المعبِّر عنها فى الأعمال التذكارية المكتشَفة فى آسيا الصغرى نفسها، ورفضوا إرجاعها إلى أصول غريبة أجنبية، ومن ثَم فهم لا يجدون ضرورةً لانتظار الكشف عن أصول لها تنتمى إلى زمن مملكة ميتّانى[1].

ومن أهم الأعمال التشكيلية المجسَّمة فى مناطق السيادة الميتّانية، خلال القرن الخامس عشر ق.م، تمثال إدْرِيمى ملك أَلالاخ الجالس على عرشه، وينسجم هذا التمثال مع تقاليد الفن السورى القديم، لكنه يفتقر إلى ما عُرف عنه من دقّة التشكيل ورشاقة الخطوط. وعُثر فى بئر ضمن معبد الإله آشور فى مدينة آشور على عمل من فنّ النحت النافر، يصوّر إلهة جبلية مع عنزتين، وقد أُرّخ بالقرن الخامس عشر ق.م، اعتماداً على مُعطَيات تاريخية وعلى طبيعة الأشكال المصوَّرة فيه، وعُدّ أنموذجاً مميَّزاً للفن التذكارى الحورى خلال عصر مملكة ميتّانى. لكنْ ثمة باحثون آخرون اقترحوا مؤخَّراً تأريخه بالعصر الآشورى القديم. وبشكل عامّ يمكن القول بأن الفن التذكارى الحورى كان خاضعاً لتقاليد محلّية، بينما كان النشاط فى مجال أعمال الفنون الدقيقة والتطبيقية يساعد على انتشار تقنيات وأساليب فنّية وموضوعات فكرية معيَّنة فى إطار جغرافى واسع[2].

ثانياً - فنُّ صناعةِ الفخّار: ظهر فنّ صناعة الفخّار فى الشرق القديم، خلال القرن الخامس عشر ق.م، نماذج جديدة من القطع الفخّارية، وانتشرت فى مملكة ميتّانى الحورية بدلالتها الواسعة؛ أىْ فى مناطقها المركزية، وكذلك فى المناطق التابعة لها فى الشرق والغرب، وتتميّز تلك النماذج بأسلوب تشكيلها وبزخارفها، والغالب بينها كؤوس رفيعة ذات قواعد صغيرة، تكون فى هيئة أزرار أحياناً، توجد على سطوحها الغامقة اللون (بنّى محمَّر، أسود) رسومٌ باللون الأبيض، تصوّر أشكالاً هندسية (حلزونية، مثلّثية، أشرطة مضفورة، خطوط متعرّجة)،

---

١ - المرجع السابق، ص ١٤٠.

٢ - المرجع السابق، ص ١٤١.

وكائنات من الطبيعة (طيور، عَنْزات، سَعَف النخيل)، وتسمّى هذه النماذج بــ (فخّار نُوزى)؛ لأنها ظهرت أول مرة فى مدينة نُوزى، ثم فى الطبقة الرابعة من ألالاخ، واستمرت حتى نهاية القرن الثالث عشر ق.م؛ أى بعد نهاية مملكة ميتّانى بزمن طويل[١].

وفى المرحلة الأخيرة من مراحل تطور صناعة الفخّار وانتشارها، ظهر نوع جديد يسمّى (فخّار عَطْشانة)، نسبة إلى الاسم الحديث لموقع مدينة ألالاخ، ويتميّز هذا النوع بزخارفه النباتية الأنيقة، وإن تركيب ألوانه والأشكال المصوَّرة عليه، وكذلك نماذج نُوزى قبله، يُذكّر بالأشكال الفنية فى قصور جزيرة كِريت التى تعود جذورها إلى حقبة بعيدة سابقة لظهور فخّار نُوزى[٢].



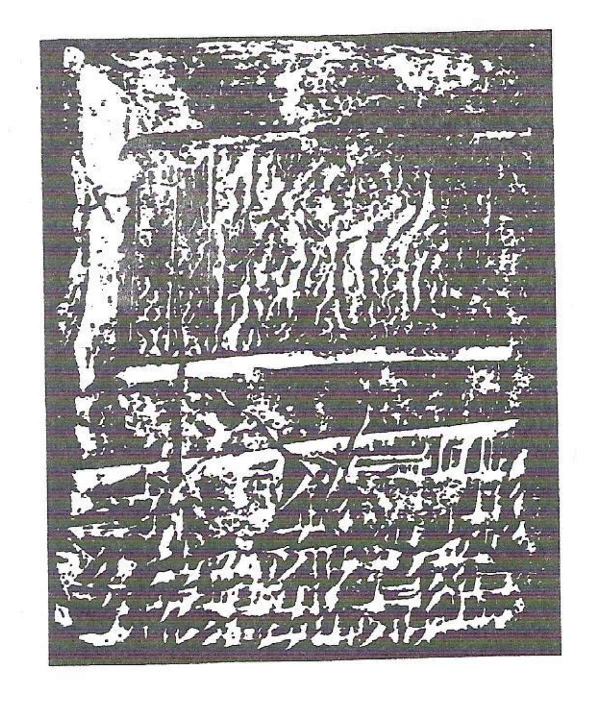
في الأعلى: نماذج فخارية من نوزي (فخار نوزي).
في الوسط: نماذج فخارية من تل براك (فخار نوزي).
في الأسفل: نماذج فخارية من ألالاخ (فخار تل عطشانة).

١ – المرجع السابق، ص ١٤١ – ١٤٢.

٢ – المرجع السابق، ص ١٤١ – ١٤٢.

ة المكتشفة فى
أرّابْ … جدت منتشرة
فى … وك"، وأُطلق
هذا … ن هذه الأختام
مصن … بوساطة مِثْقَب
كرو … مراراً، وأمكن
فى … فة خلال عَقد
واحـ

وُجدت أختام
مصن … بماتيت)، ومن
أرو … ر (ساوشتّار
tar … ملك أَرّابْخا.
وتتم … رية، والجديد
والثا



— حيوانية)،
والش … قرصُ الشمس
المجنّ … قنعة حَتْحُور)
nor … مظاهر مختلفة
(بقر … Sphin، وهو
كائر … رجل، وفهدٍ
له جـ

Sa - us - ša- at - tar mar Bar - sa - ša - ṭar
šar Ma - i - ta - ni

ساوشتار بن بارساشتار ملك ميتاني

ختم الإمبراطور الميتاني ساوشتار

وجملة القول أن المجتمع الحورى كان قد شهد تقدّماً لا بأس به فى المجال الثقافى والفنّى عامة، حتى إن بعض الحوريين كانوا يعملون كتّاباً فى بلاط ملوك آخرين من ملوك غربى

١ – المرجع السابق، ص ١٤٣.

٢ – المرجع السابق، ص ١٤٣ –١٤٤.

آسيا، قال الدكتور توفيق سليمان، بشأن الملك الأمورى إدْريمى Idrimi (١٥١٠ – ١٤٨٠ ق.م):

"كان قد انقضى على حكم إدْريمى فى أَلالاخ حوالى ثلاثين عاماً، عندما أمر كاتبه الحورى الأصل المدعو (شارّوا – وا)١ أن ينقش كتابة مسمارية على تمثاله النصفى المحفوظ حالياً فى المتحف البريطانى (اللوحة: ٣١). يبلغ ارتفاع هذا التمثال ١.٠٤ م، وتتألف الكتابة من مئة وأربعة أسطر، تغطّى معظم الوجه الأمامى لهذا التمثال، ويقصّ الملك فيها تاريخ حياته، والصعابَ التى اعترضت سبيله خلالها، ويذكر فى بداية الكتابة قصّة هربه مع جميع أفراد أسرته الملكية من حلب إلى أخواله"٢.

وثمة من يرى أن الثقافة الحورية، وخاصة الفن الحورى، أثّر فى الفن الحثّى، وقال وليام لانجر، فى حديثه عن كتاب فى تدريب الخيل، للكاتب الحورى كِيكُّولى:

"ربما كانت النحوت الغائرة المعروفة بالحيثية، والتى اكتُشفت فى شمالى سوريا (كَرْكَميش)، وسِنْجَرْلى (تل أحمر)، وأعالى بلاد ما بين النهرين (تل حَلَف) [گُوزانا] التى يرجع تاريخها من منتصف الألف الثانى إلى القرن التاسع [ق.م]؛ ربما كانت هذه النحوت حورية فى أسلوبها، إن لم تكن فى أصلها، كما يتضح من مقارنتها بالأختام الحورية"٣.

---

١ – اسم شارّوا– وا يذكّرنا بالاسم الكوردى (شَرُو)، وهو يعنى فى الأصل (مَلِک).

٢ – توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣٦٢.

٣ – وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٦١/١ – ٦٢. وانظر جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ١٠٦.

الفَصْلُ السَّادِس

المِيثُولوجِيا الحُورِيّة

١
المَجْمَـــــعُ الإلهىُّ الحُـــــورِىُّ

أبرز آلهة المجمع الإلهى الحورى، بحسب الترتيب الألفبائى، هم:

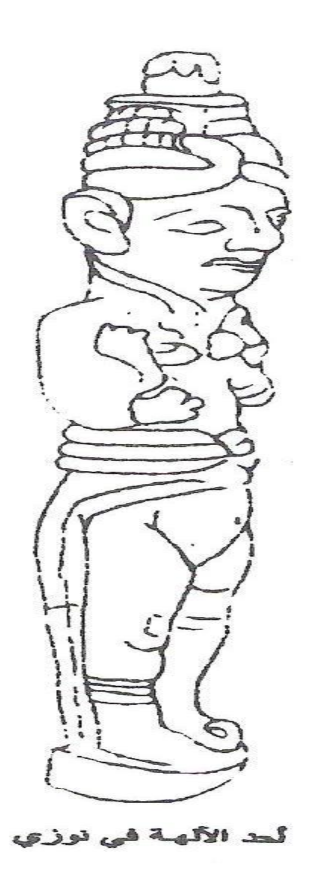
أَدَّو Addaw: يسمّى (حَدَد/هَدَد)، إله الطقس السامى فى مدينة خَلَب (حلب)، من أهم الأشكال المحلية للإله تِشّوب، أو لنقل: إنه النسخة السامية للإله الحورى تِشّوب، وكان يحظى بالتقديس فى إطار جغرافى يتجاوز مكانه الرئيس (منطقة حلب)، ويمتد نطاق نفوذه القداسى من آسيا الصغرى ضمناً شمالاً إلى أوغاريت (رأس شَمْرا) على الساحل السورى غرباً، وإلى نوُزى فى منطقة شرقى دجلة، والأرجح أن بذور عبادة هذا النموذج المحلى للإله الحورى تِشّوب نُقلت منذ العهد الحثّى القديم إلى العاصمة الحثية خَتّوشا (خاتُّوشا)١.

أَدَمّا Adamma: إله من الآلهة الحورية الغربية، وهو يعود فى الأصل إلى الآلهة السورية الشمالية٢.

١ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ١٠٠. لاحظ الشبه الصوتى والدلالى بين اسم الإله (أدّو) بمعنى (الواهب/ المُعطى)، باعتباره إله المطر والنَّماء، واسم (آدُو/آدى) فى التراث الكوردى الأيزدى، وقد تحوّل فى اللغة السامية إلى صيغة (حَدَد/هَدَد)، وتحوّل بالتعريب إلى صيغة (عَدى) فى العهد الإسلامى، ومن ذلك اسم (عَدِى بن مُسافِر) شيخ الأيزديين الأكبر، ونُسب بعد تعريب اسمه إلى سلالة الأمويين العرب.

٢ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ١٠٧.

أَشْتَبى Ashtabi: إله الحرب، وهو من الآلهة الحورية الغربية المتأثرة بميثولوجيا شمالى سوريا، وعُدّ اسمه- فى الغالب- حورياً بسبب المقطع الصوتى (بى) الذى ينتهى به، كما هو الأمر فى الاسمين (كُومارْبى، نَبَرْبى)[١].



أحد الآلهة في نوزي

إشْخارا Ishkhara: إلهة من الآلهة الحورية الغربية، وصارت فيما بعد إلهة القَسَم والمرض فى آسيا الصغرى[٢].

---

١ - المرجع السابق نفسه.

٢ - المرجع السابق نفسه.

أَلاّنى Allani: إلهة العالم السفلى التى لا يمكن فصلها عن الإلهة أَلاّتُم المعروفة من قَبل فى عصر سُلالة أور الثالثة، ولاسم ألاّنى علاقة بالكلمة الحورية (ألاّى)، وهى تعنى (سيّدة)، وإن الربط بين أَلاّتُم وألاّى يشكّل القرينة الأولى والوحيدة الدالّة على وجود الحوريين فى شمالى سوريا منذ نحو (٢٢٠٠ ق.م). وكانت الإلهة ألاّنى١ تنتمى إلى مجمع مدينة خَشُّو، وقد نقل الملك الحثّى ختّوشيلى الأول تمثالها إلى العاصمة الحثّية خاتّوشا، وهى أمّ الإلهة خِبات التى كانت مستوطِنة فى شمالى سوريا، وصارت قرينة للإله تِشُّوب فى مجمع الآلهة الحورى الغربى٢.

إيا Ea: خالق البشر فى الميثولوجيا السومرية، ومشرف على عبادة الآلهة، كما أنه إله الأعماق فى الميثولوجيا الأكّادية، وَجد هذا الإله طريقه إلى مجمع الآلهة الحورى منذ العهد الأكّادى، وكان فى بلاد بابل مطابقاً للإله السومرى إنكى، وكان إنكى مسؤولاً عن محيط المياه العذبة (أَبْزُو) وعن فنون صياغة التعويذات، وتميّز بوصفه الإله الخبير بإسداء النصائح، وكان الإله الحورى إيا (أ آ) يقوم بهذه الوظائف، وله حضور خاص فى أغنية (أُلّى كُمّى)، ويُنعَت غالباً بلقب (خَسّيسّى) المشتق من الكلمة الأكّادية "خُسّسيسُ" بمعنى (الحكمة).

وكانت للإله إيا- إلى جانب ما سبق- طبيعة إلهية ذاتية توصَف بلقب (شَرّى) المشتق من الكلمة الأكّادية "شَرُّ"بمعنى (المَلك)، ولقيت هذه الطبيعة تقديساً خاصاً فى مملكة ميتّانى، ووُجد له معبد خاص فى مدينة آشور، مع العلم أن تصوّرات القدماء لهذه الطبيعة الإلهية المَلكية مجهولة إلى الآن، وقد تكون لها صلة بالتصوّر السومرى عنه بأنه "مَلك محيط المياه العذبة تحت الأرض أَبْزُو". وجدير بالملاحظة أن الإله إيا- شَرّى يُنعَت فى قائمة الآلهة التى أقسم أمامها شَتّى وازا بن تُوشْراتّا فى إحدى المعاهدات بلقب (سيّد الحكمة). وجملة القول أن الإله إيا هو نتاج الاندماج بين التقاليد الحورية والمعتقدات التى عرفها الحوريون فى شمالى سوريا٣.

---

١ - اسم الإلهة (ألاّنى) يذكّرنا بالاسم الكوردى التراثى الشهير (آلان)، وباسم بطل ملحمة (مَمَى آلان) الشعبية، والتى خلّدها شاعر الكورد الكبير فى ملحمة (مَمْ وَزِين).

٢ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ١٠٧.

٣ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ١٠٥ - ١٠٦. جِفْرى بارِنْدِر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، مكتبة مَدْبُولى، ص ٣٦. سبتينو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ص ٢٥٤، هامش ٢٢.

باگا Baga: إله أدخل الكاشّيون طقس عبادته إلى بابل باسم (بُوگاش) فى الألف الثانى ق.م، وبكنية هذا الإله سُمّيت (بَغْداد) Bag dad؛ أى عطاء الله، وحمل الملك الحورى بَگوك اسماً مشتقاً من اسم هذا الإله[1].

تِشُّوب Teshshup: ورد اسمه بصيغة (تيشوب) أيضاً، وهو إله الصواعق والزوابع والمطر، وهو من أبرز الآلهة الحورية المشتركة، ويُعَدّ ملك الآلهة، وقد اكتسبت عبادته مكانة كبيرة بعد ظهور موجة جديدة من الحوريين، وتبوّأ قمة المجتمع الدينى الحورى فيما بعد، وصار اسمه شائعاً جداً فى نصوص القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق.م، وأصبح جزءاً من أسماء الأشخاص، ومع ذلك فإنه لم يلقَ سوى انتشار محدود وثانوى جداً فى أسماء الأعلام الحورية حتى عهد مملكة مارى، و لم يرقَ- من حيث تكرار اسمه- إلى درجة انتشار الاسم (أَتَل) فى أسماء الأعلام.

وكان الإله تِشُّوب معروفاً لدى الأورارتيين باسم (تايْشِبا)، ومن أهم مراكز عبادته مدينة كُمَّ Kumme (كُمّيّا) Kummija التى لم يُحدّد مكانها بعد، ويُفترَض أنها تقع – حسب النصوص- فى المنطقة الجبلية الكوردية بنواحى زاخو فى كوردستان المركزية، قرب الحدود العراقية التركية، ويوصف الإله تِشُّوب فى الأساطير بأنه (ملك كُمّيّا)، وبلغ مرتبة الإله الرئيس، فى النصف الأول من الألف الثانى ق.م، بعد أن تمّت مطابقته من حيث الشكل بإله الطقس فى الهلال الخصيب، وبلغ انتشاره الواسع خلال القرنين (١٥، ١٤ ق.م) كجزء من الأسماء الشخصية المركّبة. ويتضح من الأساطير أن تِشّوب صار ملكاً على السماء بعد أن عزل أباه الإله كُومَارْبى Kumarbi، وكان كُومَارْبى نفسه قد أزاح أباه الإله آنُو إله السماء.

أما أسلحة تِشُّوب فهى الصواعق والمطر والرياح والبرق، وتظهر صوره وهو يسير على عربة حربية ذات أربع عجلات، ويجرّها الثوران شِريش وخُرّيش (أو خُرْويش)، ويسمّيان فى بعض المصادر (شِريش) و(تِيلاّ)، ويشير هذان الإلهان المصوَّران فى هيئة ثورين إلى تمتّع تِشّوب بخاصية إله المطر المؤثّر فى عملية النمو والتكاثر، وظلّت تماثيلهما قائمة فى مدينة آشور خلال الألف الأول ق.م فى معبد أدَد إله الطقس، وكان الملك الميتّانى تُوشْراتّا يعتقد أن تِشُّوب هو الإله الأكبر فى مَجْمَع آلهة مملكته، ويماثل الإله آمون فى مصر، وقد حمل ملوك أرَّابْخا كلهم

---

١ – مجموعة من الباحثين: كركوك، ص ١٦٩ ، هامش ٣. ربما يكون لكلمة (بَگ) المستعملة عند الكورد علاقة ما باسم هذا الإله.

تقريباً أسماء كان اسم تِشُّوب جزءاً منها، منها (كيبى – تشّوب، إتْخى – تِشّوب، خِيشْمى – تِشّوب)، كما حمل نصف أمرائها أسماء مشابهة[1].

ولا شك فى أن أنماط الأسماء ذات دلالة فى الموروث الميثولوجى المحلى، وخاصة إذا علمنا أن مدينة أرّابْخا كانت منذ العصر البابلى القديم مركزاً لعبادة إله الطقس، ولذلك فإن إله الطقس الأكّادى أَدَد المطابق لِتِشُّوب هناك لم يُعَدّ سيّداً للآلهة، كما أن خاصية (ملك الآلهة) تراجعت لدى تِشُّوب المعبود فى أوغاريت، والذى تمّت مطابقته هناك مع الإله بَعْل، وكان جبل (صَفَن) Şapan– واسمه فى المصادر الكلاسيكية موس كاسيوس، حالياً: جبل الأقرع، وهو يقع عند مصبّ نهر العاصى فى البحر الأبيض المتوسط– يُعَدّ فى أوغاريت مقرّاً للإله بَعْل، وقد عُرف هذا الجبل لدى الحثيين والحوريين باسم (خَزّى) وصُنّف– مع جبل نَمْنى الذى لم يُحَدَّد موقعه بعدُ– ضمن الظواهر الملازمة للإله تِشُّوب[2].

خيپات Hepat: إلهة تسمّى (خِبات) Hebat و(هبات) أيضاً، وهى إلهة الشمس وزوجة تيشّوب، وكانت تُعَدّ ابنة الإلهة أَلاّنى Allani إلهة العالم السفلى، ونجد خلال القرن الرابع عشر ق.م أسماء أنثوية مركّبة شائعة بين أفراد الطبقة العليا، يشكل اسمها الجزء الثانى، منها اسما الأميرتين الميتّانيتين اللتين زُوّجتا فى مصر، وهما: جيلو – خِبا، وتَتو– خِبا. وذكر الدكتور جمال رشيد أحمد أنها كانت الإلهة الأم وزوجة الإله كوماربى رئيس المجمع الإلهى الحورى، وورد اسمها بصيغة حيبات أو حيوات الإلهة الأم، وقد اعتبرها العبريون منذ زمن النبى إبراهيم الأم الكبرى لجميع البشر، وعن طريقهم دخلت إلى التراث الدينى الإسلامى بصيغة (حوّاء)[3].

شاوُوشْكا Shawushka: تسمّى (شاوو) أيضاً، وهى أهم إلهة حورية، وهى – حسب التقاليد السومرية والأكّادية والسورية والأناضولية – أخت إله الطقس تِشّوب، وجاء ذكرها فى وثائق عصر سلالة أور الثالثة (حوالى ٢١١٢ – ٢٠٠٤ ق.م)، ولاسيما فى بلاد آشور ومناطق شرقى دجلة الشمالية، وامتزجت هويتها بهوية الإلهة الرافدية عَشْتار التى كانت تُعبَد هناك منذ القديم، وكانت وظيفتها هى الجنس والحرب، ومركز عبادتها الرئيسى هو المدينة

---

١ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٩٨ – ١٠٠.

٢ – المرجع السابق ص ١٠٠.

٣ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ١٠٧. وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٦٢/١. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص ٥٦١. جمال رشيد أحمد: كركوك فى العصور القديمة، ص ٣٢.

الآشورية الشمالية نِينَوى، وبقيت معروفة باسمها الحورى حتى نهاية القرن الثامن ق.م، وعُدّ تمثالها ذا قدرة على الشفاء؛ ولذلك أرسلها الملك الميتّانى تُوشْراتّا إلى الفرعون آمُونحُوتَب الثالث لتشفيه من مرض كان قد أصابه١.

لقد عُبدت شاوُوشْكا فى مملكة ميتّانى كإلهة كبرى أيضاً، وقد وصفها الملك تُوشْراتّا بأنها (سيّدة بلادى)، و(سيّدة السماء)، وهى حسب الموروث السومرى والأكّادى والسورى والأناضولى- أخت إله الطقس، وهى تظهر فى عبادات المناطق الشرقية التى شاعت فيها الديانة الحورية إلى جانب الإله تِشّوب كما فى بعض المدن الواقعة شرقى نهر دجلة، مثل تيلاّ وخيلْمانى، وفى نُوزى أيضاً، إذ كان المعبد المزدوَج المكتشَف فيها مكرَّساً لعبادة الإلهين تِشُّوب وشاوُوشْكا.

وقد أُزيحت شاوُوشْكا عن مكانتها- كأهم إلهة إلى جانب تِشُّوب- من قِبل الإلهة خِبات فى ميثولوجيا مدن بلاد كيزُّوفَتْنا (كيزُّوواتْنا فى شمالى كيليكْيا) التى كانت متأثّرة بتقاليد حلب الدينية، وتظهر شاوُوشكا فى ألالاخ وفى العبادات الحورية فى أوغاريت مع تِشّوب فى قمة مجمع الآلهة، أما فى عبادات مدينة لَوازَنْتِيّا- من مدن بلاد كيزُّوفَتْنا- فنجد أن الرابط بين التقاليد الدينية الحلبية والمحلية أدّى إلى تقديس مشترَك للآلهة الثلاثة ضمن التسلسل التالى تِشُّوب، وخِبات، وشاووشْكا٢.

وفى بلاد كيزُّوفَتْنا (كيزّوواتْنا بشمالى كِيليكْيا) عُبدت "ألوهية سوداء" تحمل ملامح شاوُوشكا، وقد نُقلت تماثيلها- بعد ضمّ البلاد إلى المملكة الحثّية- إلى مدينة شَموخا. ويُلاحَظ أنه نُسبت إلى شاوُوشْكا فى مناطق آسيا الصغرى أوصافٌ وخواصّ رجولية، وظهرت بهذه الخواصّ فى المعبد الصخرى المكتشَف فى موقع يازيلى كايا قرب خاتُّوشا (من النصف الثانى من القرن ١٣ ق.م)، ضمن صفّ الآلهة وصفّ الإلهات، وفى إحدى الشعائر الدينية الحورية يتمّ تقديم الأضاحى لـــها باعتبار خواصّها الرجولية وخواصّها الأنثوية٣.

---

١ - فاضل عبد الواحد على: من سومر إلى التوراة، ص ١٥٨.

٢ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ١٠١. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص ٥٦١.

٣ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ١٠٢.

وبوصف شاووشْكا سيّدة الجنس فقد كان بمقدورها أن تعاقب الأعداء وناكثى العهود؛ بأن تستبدل تصرفاتهم الجنسية الخاصة، وكانت هذه المقدرة موجودة عند الإلهة الرافدين إنَنّا– عشتار أيضاً، ونُسبت إليها الإلهتان "نِينَتّا" و"كُلِيتّا" كخادمتين وموسيقيتين، وربما هما تعودان إلى التقاليد الأناضولية، وقد بقيتا معروفتين خلال الألف الأول ق.م فى مدينة آشور. وتذكر نصوص من خاتّوشا آلهات مساعدات للإلهة شاوُوشْكا، وهى تحمل أسماء حورية، منها شِينْتَل– وُرى "ذات العيون السبع"، وشِينْتَل– إرْتى "ذات الأثداء السبعة"، وشينان– تَتوكَرْ نى "المضاعفة فى الحب"١.

شِيميك Shimike: تسمّى فى بعض المصادر (شيميجى) أيضاً، وهو إله الشمس فى جميع مناطق انتشار اللغة الحورية، وكان يظهر فى الأساطير والعبادات كواحد من الآلهة السماوية الكبرى، ويقف إلى جانب تِشُّوب فى الصراع حول السيادة الإلهية، وكان يُعرَف فى المناطق الشرقية باسم (شيميكا)، ولم يكن يحظَى بتقديس متميّز فى مكان محدَّد، وبقى غامضاً من حيث خصائصه ودوره فى الأحداث الأسطورية، وكانت له صلة بأشكال الكهانة؛ لأنه خلال سيره اليومى فوق السماء يرى كل الموجودات الأرضية٢.

عَشْتار– شاوُوشْكا: هى الإلهة الكبرى الرئيس فى عدد من مدن بلاد آشور وأرّابْخا، لكن وُجدت بجانبها آلهة محلية ثانوية، استطاعت بعضها– بشكل استثنائى– أن تفوقها أهمية، ومنها إله مدينة آشور، وعُبدت فى المدن ذاتها إلهات أخريات عُرفن بلقب خاص هو "سيّدة البلاد"، وكن يجسّدن فى الواقع– ولو جزئياً على الأقل– طبيعة واحدة تجمع بين الإلهتين عَشْتار وشاوُوشْكا. واختلطت صورة شاوُوشْكا فى شمالى سوريا بشكل جزئى مع صورة الإلهة إشْخارا Ishkhara ذات الملامح المشابهة، وتمّت مطابقتها فى أوغاريت مع الإلهة عَشْتَرُوت. وتتحدث النصوص الأكّادية المكتشَفة فى أوغاريت عن "عشتار الحورية"، وتظهر باسم "عشتروت الحورية: ع ث ت ر ت خ ر" فى نقش فينيقى من القرن (٨ ق.م) عُثر عليه فى مارْسيليا بفرنسا٣.

كُشُخ Kushuh: إله القمر، وكان يسمّى فى ألالاخ، وأحياناً فى خاتُّوشا، باسم (كُشَخ)، وهو حامى الأيمان (جمع يمين)، وهى وظيفة تبعده عن الآلهة السماوية، وتقرّبه من

١ – المرجع السابق، ص ١٠٢.

٢ – المرجع السابق، ص ١٠٣.

٣ – المرجع السابق، ص ٤٢ – ٤٣، ١٠١ – ١٠٢.

آلهة العالم السفلى المسؤولة عن إزالة الشرور السحرية، وهو كالإله (شِيميک) لم يكن يحظَى بتقديس متميّز، وبقى غامضاً من حيث خصائصُه ودوره فى الأحداث الأسطورية، وقد ارتبط اسمه أحياناً مع اسم إله القمر الحثى القديم جداً "كَسْكو"، الأمر الذى يدل على اتصال لغوى حثّى- حورى مبكِّر جداً. ومن أشكال إله القمر التى كانت معروفة على نطاق واسع عبر تاريخ الأناضول كله؛ بل وفى غيره أيضاً، إله القمر فى حَرّان، وهو يُذكَر بشكل مستقل- إلى جانب إلى الشمس والقمر- ضمن قائمة آلهة شَتّى وازا ملک ميتّانى الحامية للأيمان١.

كُومارْبى Kumarbi: جاء ذكره بصيغة (كُومارْبى) أيضاً، وكان فى إحدى المراحل رئيس المجمع الإلهى الحورى، وهو من الآلهة التى كانت معروفة فى جميع مناطق انتشار اللغة الحورية، ويشكّل المحور الأساسى لبعض الأساطير التى حاولت بلوغ درجة السيادة التى افتقدها إله الطقس، ويدل اسمه على مكانه الأصلى (كُمار) مع اللاحقة (بى)، ويعود ذكره فى نص حورى من مارى إلى حوالى ستة (١٧٠٠ ق.م). وجاء فى الأساطير الحورية أنه أزاح أباه الإله (آنُو) إله السماء، وعُبد بصيغة أخرى هى (كُمُرْوِ) فى مدينة أَزُخِينُّو فى مناطق شرقى دجلة قرب نُوزى، وعدا ذلک لم يكن له إلا دور ثانوى فى العبادات، ولم يَرِد اسمه كجزء من أسماء الأشخاص المركَّبة، لكنه كان معروفاً فى العصر الآشورى الحديث كأحد الآلهة الرئيسة- مع الإلهين نَبَرْبى، وسَمَنُوخا- فى مدينة تَئِيد (قرب أُورْكيش).

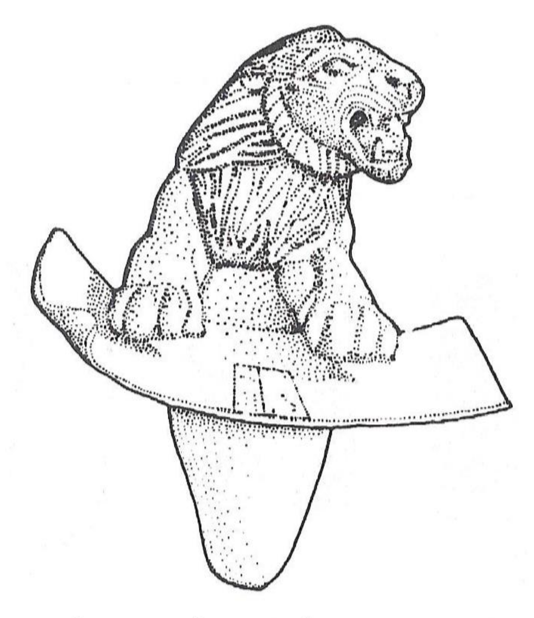
وفى إطار عملية التوفيق بين الآلهة السومرية تمّت مطابقة الإله كُومارْبى بشكل مبالَغ فيه مع الإله دَجَن (داجان) إله منطقة الفرات الأوسط، ومع الإله السومرى- الأكّادى (إنليل)، والإله الأوغاريتى (إيل)، مع أنه مختلف عنها من حيث بعض المظاهر، ويُعتقَد ان استبدال اسمه فى قوائم أسماء الآلهة الحثّية- الحورية أحياناً بالكلمة الدالّة فى الحثية على الحبوب، يمكن أن تُعَدّ قرينة على أنه كان- مثل دَجَن- إلهاً للحبوب. ويُلاحَظ فى الأساطير والشعائر الدينية الحثية- الحورية أنه يُذكَر له وزير أيضاً، كسائر الآلهة الحورية الكبيرة، ويسمّى وزيره (مُوكيشانو)، وهو اسم مشتق من اسم (موكيش) الدال على مملكة ألالاخ٢.

---

١ - المرجع السابق، ص ١٠٣.

٢ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ١٠٢، ١٠٣. فاضل عبد الواحد على: من سومر إلى التوراة، ص ١٥٤.

نِرِجال Nerigal: هو من الآلهة القديمة المستعارة، غير معروف الأصل، إنه إله أَرَلو (العالم السفلى) فى الميثولوجيا السومرية، وقد وصل إلى هذه المكانة بعد أن قهر الإلهة (أَرْشكِيجال) ملكة العالم السفلى، فأشركته معها فى الحكم، وهو فى الأصل إله الشمس، وكانت مدينة كُوثَى (تل إبراهيم الآن) فى الشمال الشرقى من مدينة بابل المركز الرئيسى لعبادته، ثم احتل مكانة هامة فى المجمع الدينى البابلى، وجاءت أقدم الشواهد عليه فى النقوش الملكية لملوك العهد الأكّادى، وثمة نقش باللغة الأكّادية على لوحة برونزية تمثّل حجر الأساس لبناء نِرِجال.



تمثال معبد نِريجال في أوركيش (نحو ١٩٧٠ق.م)

وقد حظى نرجال (نرغال) بتقديس متميّز فى الدول الحورية التى نشأت بعد مملكة أكّاد، واكتُشف النقشان التأسيسيان لملكَى مدينة أُورْكيش (أَتَل- شِن، وتيش- أَتَل) فى معبد هذا الإله، ويصفه الملك أَتَل- شِن بـــ "ملك خَوَلُم"، أو (خَويلُم/ خَوْلُم)، وورد ذكر إله باسم (نِريجال) فى نصوص عهد المستوطنات التجارية الآشورية القديمة وفى نصوص مارى، وكذلك فى نص آشورى متأخر يتحدث

عن الشعائر المصاحبة لتقديم النذور، ويُنسَب فيها إلى مدينة خُبْشَل أو خُبْشَلُم التى يفترض وقوعها فى نواحى آمَد (دياربكر)، وهو على الأرجح نريجال نفسه المذكور أعلاه.

ولم يكن نرغال يحظى بالأهمية فى نصوص المناطق الغربية، لكنه كان يحظى بمكانة مقدّسة متميّزة فى مناطق شرقى دجلة خلال القرنين (١٥، ١٤ ق.م)، وكان فى قمّة مجمع آلهة مدينة أَزُخِينُّو (قرب نُوزى) مع الإلهة عشتار– شاوُوشْكا التى عُرفت بلقب "خُمِلاّ"، كما أن إحدى بوّابات مدينة أرّابْخا منسوب إليه، وكانت ثمة كاهنة رفيعة الشأن فى مدينة كُرُّخَنّى تشرف على طقوس عبادته١.

نُبِتِيك Nupatik: يُسمّى (نُبَتيك) Nubatik أيضاً، وهو من الآلهة الحورية الأساسية، وثمة شواهد عليه فى أوغاريت وخاتُّوشا، لكن صفاته غير واضحة، وكان يُذكَر فى الرقيم التأسيسى للملك تِيش أَتَل باسم (لُبَدَجا)، وفى مناسبة الاحتفال بعيد (خِيشْوَا) كانت القرابين تُقدَّم لشكلين يمثّلانه، كلٌّ فى معبد مستقل، ويسمّى الشكل الأول (بيبيتا) أو (بيبيتْخى)، ويسمّى الشكل الثانى (زَلَمانا)، ولعل نُبتيك أحد الآلهة التى ذكر الدكتور أحمد هُبّو أنها كانت تنتمى إلى الميثولوجيا الحورية، باعتبار أن قسماً من سكان أوغاريت كانوا من العنصر الحورى٢.

نِيكّال Nikkal: قرينة إله القمر (كُشُخ)، وكانت تحتل مكانة مهمّة فى العبادات الحورية بأوغاريت، وترجع فى أصولها إلى إلهة القمر السومرية نِين جال (نِينگال)؛ أى (السيّدة الكبيرة)، وكانت الملكات الحثّيات، خلال القرن الرابع عشر ق.م، يجعلن اسمها جزءاً من أسمائهن المركّبة، مثل (نيكّال– ماتى، وأَشْمو– نيكّال)، لكنها فقدت أهميتها فيما بعد فى المناطق الحثّية والحورية، وفى العهود المتأخرة صارت عبادة القرينة البابلية لإلهة الشمس المدعوّة (إيا) شائعة فى العبادات الحورية بدلاً من نيكّال٣.

وعدا الآلهة الحورية التى عُدّت آلهة شخصية، وحملت أسماء محدَّدة، عُبدت فى الميثولوجيا الحورية أسماءُ غير دالّة على شخصيات، وفى الغالب رُبطت ببعضها بشكل ثنائى، مثل: "إشِ حَوُرْنى" أى السماء والأرض، و"بَبَنا شِينا" أى الجبال والأنهار٤.

---

١ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٣٣، ١٠٥. سبتينو موسكاتى: الحضارات السامية القديمة، ص ٢٦٨.

٢ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ١٠٣– ١٠٤. أحمد هُبّو: تاريخ الشرق القديم (سورية)، ص ٢٤٢.

٣ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ١٠٤ — ١٠٥.

٤ – المرجع السابق، ص ١٠٩

٢
ظَواهِر مِيثُولوجِــيّة حُــورِيّة

بِنَى الميثولوجــــيا الحُورية:

كانت الثقافة الزاغروسية الآرية الجذور تنتقل مع الحوريين حيثما ارتحلوا وحلّوا، وذكر جرنوت فيلهلم أن الحوريين جلبوا معهم التقاليد الدينية الموروثة "من أقدم مواطنهم المعروفة لدينا فى كوردستان"١. ويمكن القول بأن الميثولوجيا الحورية هى مزيج من الميثولوجيا الزاغروسية، والميثولوجيا الآرية الوافدة على غربى آسيا مع هجرات الأقوام الآرية، إضافة إلى المعتقدات التى عرفها الحوريون فى شمالى سوريا. وقد مر أن الآريين هم الذين تولّوا مواقع القيادة فى التكوين الحورى الجديد، وعُرف هؤلاء بالميتّانيين، والدليل على ذلك أنهم كانوا يحلفون بآلهة آرية، مثل إنْدرا، ومِيثْرا، وڤارونا، وناساتيا٢.

ويعود أقدم نص باللغة الحورية إلى الملك تِيش أَتَل (٢٠٤٥ – ٢٠٣٧ ق.م)، يتحدث فيها عن بناء معبد خاص للإله نرغال Nergal قائلاً:

"بنى تيشارى ملك أُوركيش معبد الإله نرِغال، المعبد المحفوظ من قِبل الإله لوباداگا، كلُّ من يدمّره سيمحوه لوباداگا، ولا يسمع الإله آن دعاءه، كلُّ من يدمّره سيلعنه الآلهة نيناگار وشيميگا وتيشّوب ألف ألف مرة"٣.

---

١ – المرجع السابق، ص ٩٨.

٢ – وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٦١/١.

٣ – جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٩١/٢.

ومن الظواهر البارزة فى الميثولوجيا الحورية، أن المعتقدات الدينية الحورية وأساطيرهم وعباداتهم وشعائرهم الدينية ليست مجموعة متناسقة متجانسة، ولا غرابة فى ذلك؛ بل إنه ظاهرة متوقَّعة الحدوث بسبب عوامل أربعة:

١ - اتساع جغرافيا الانتشار الحورية، إنها كانت تمتد من جبال زاغروس ضمناً ومنطقة كركوك فى الجنوب الشرقى، إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط فى الشمال الغربى، ونظراً لصعوبة التواصل بين هذه المناطق فى العصور القديمة، فمن الطبيعى أن توجد اختلافات فى التفاصيل الميثولوجية بين مجتمعات تسكن مناطق بعيدة.

٢ – عدم انضواء المجتمع الحورى بأجمعه- معظم الوقت- فى ظل مملكة مركزية واحدة، إن الاستثناء الوحيد فى هذا المجال هو عهد مملكة ميتّانى، مع العلم أن عمرها كمملكة مركزية متماسكة تأتمر بأوامر ملك واحد لم يدم أكثر من قرن ونصف، ومن الطبيعى أن تنشأ فى ظل تكوينات سياسية مختلفة ثقافات مختلفة، وأن ينعكس ذلك على التفاصيل الميثولوجية أيضاً.

٣ – إن المجتمع الحورى، كباقى مجتمعات أسلاف الكورد، وكباقى الشعوب الزاغروس- آرية، وبسبب من سيكولوجيا الجبال المتأصلة فيه والنزّاعة إلى التنوّع والتفرد، وبسبب البنية الثقافية الآرية التى انضافت إلى سيكولوجيا الجبال، ينفر من الانصياع لمنظومة سياسية أو ثقافية واحدة صارمة، بخلاف حال المجتمعات التى نشأت فى السهول والسهوب المفتوحة، وكان من الطبيعى أن يتجلّى ذلك فى العقائد والمنظومات الميثولوجية أيضاً.

٤ – مثل بقية مجتمعات أسلاف الكورد، لم يكن الحوريون ينزعون إلى الانغلاق، إنهم كانوا على تماسّ مباشر مع ثقافات الشعوب المجاورة لهم، فتأثّروا بها وأثّروا فيها، وظهرت نتائج ذلك فى الميثولوجيا الحورية.

وبتأثير هذه العوامل الأربعة- وربما ثمة عوامل أخرى نجهلها- ضمّ الحوريون إلى مجمعهم الدينى آلهة غريبة عرفوها خلال مراحل انتشارهم وعلاقاتهم مع الشعوب المجاورة، أو جعلوا تلك الآلهة فى هيئات مطابقة لآلهتهم القومية والوطنية الأصلية، واطّلع كهّانهم على التراث الميثولوجى فى بلاد الرافدَين، وفى الأجزاء الأخرى من غربى آسيا، فتقبّلوها وأغنوها بالتوفيق والمطابقة بين الآلهة الوافدة والآلهة الحورية. وعلى أية حال ليس الحوريون استثناء فى مجال التأثّر والتأثير الثقافى عامة والميثولوجى خاصة، ولو تفحّصنا ثقافات شعوب غربى آسيا وميثولوجياها لوجدنا أنها أخذت وأعطت، ولعل الاختلاف يقتصر على درجة التأثير والتأثر

فحسب، بل يمكن القول إن هذه ظاهرة عالمية حاصلة فى ثقافات جميع الشعوب المتواصلة مع الشعوب الأخرى خلال مراحل تاريخها.

ويمكن تمييز ثلاثة عناصر أساسية فى تركيب البناء الميثولوجى الحورى:

١ — الموروثات الدينية الأصلية: نقصد الموروثات التى جلبها الحوريون من أقدم مواطنهم فى كوردستان، وبالتحديد من مواطنهم فى جبال زاغروس، وفى شمال شرقى كوردستان المجاورة لمناطق القوقاز، حينما حصل الاندماج التدريجى بين الفرعين الزاغروسى والفرع الآرى الوافد.

٢ — التأثيرات السومرية- الأكّادية: فالمعروف أن الثقافة السومرية هى أُولى الثقافات ظهوراً فى غربى آسيا، و لم تكن مقتصرة على جنوبى بلاد الرافدَين كما قد يُظَن، وإنما وصلت إلى معظم مناطق غربى آسيا، وسارت فى ركاب الحضارة السومرية شرقاً وشمالاً وغرباً. وكانت الثقافة الأكّادية نسخة جديدة من الثقافة السومرية، أو لنقل: إنها كانت نسخة سامية للثقافة السومرية الأصل.

٣ — التأثيرات الساميّة الغربية- السورية: فقد مر خلال الحديث عن الانتشار الحورى فى الغرب والجنوب الغرب، أنهم وصلوا إلى السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، كما أنهم وصلوا إلى عمق سوريا، بل وصلوا إلى فلسطين وجنوبى الأردنّ (منطقة جبل سَعير قرب خليج العَقَبة)، وهذا يعنى أن الثقافة الحورية كانت على تماسّ مباشر مع ثقافات الأموريين والفينيقيين والكنعانيين، إضافة إلى تماسّها مع الثقافة الحثية فى الأناضول، وعلى العموم لم تكن هذه الثقافات جميعها بمنأى من بعض التأثيرات السومرية الأصل.

وفى إطار هذا البناء الميثولوجى الشامل والمتشابك، يمكن تصنيف عدد من الآلهة التى شاعت عباداتها خلال الألف الثانى ق. م فى جميع المناطق الحورية، من زاغروس حتى البحر الأبيض المتوسط، بأنها تمثّل المرحلة الأقدم من الديانة الحورية، ومع ذلك ينبغى الأخذ فى الحسبان أن الخصائص الأصلية لهذه الآلهة تأثّرت- قليلاً أو كثيراً- بخصائص بعض الآلهة السومرية والأكّادية والسورية المماثلة لها، وكذلك العكس أيضاً، وخاصة التأثيرات التى تركتها بعض الآلهة الحورية والمنظومات الميثولوجية الخاصة بها فى بعض آلهة آسيا الصغرى.

العَلاقةُ بين الآلهةِ والبَشَر:

إن قصة الخلق الحورية متأثّرةٌ بمثيلتها السومرية والبابلية المعروفة باسم أَتْراخاسيس (أتْراحاسيس) التى كانت معروفة لدى الحوريين الغربيين، والتى جاء فيها أن خلْق البشر تمّ بناءً على رغبة الآلهة، كى تتحرر من الأعباء المفروضة عليها لتأمين متطلبات المعيشة؛ وكى يكون البشر فى خدمة الآلهة[1]، وهذا ما نجده فى أسطورة (خِدَمّو) الحورية أيضاً؛ إذ جاء فيها الكلام الموجَّه إلى الآلهة:

"إنْ تبيدوا البشر فإنها لن تحتفل بالآلهة بعد ذلك، ولا أحد سينذر لَكُنّ الخبز وتَقْدِمات الشرب بعد ذلك، وسيعقب ذلك (أيضاً) أن إله الطقس مَلك مدينة كُمِّيّا الجبار سيمسك بالمحراث بنفسه، وسيعقب ذلك أيضاً أن عَشْتار وخِبات ستديران حجر الرحى بنفسيهما"[2].

إن ما يربط البشر بالآلهة هى علاقة أخذ وعطاء، تُصاغ فى شعائر منظَّمة بكل تفاصيل ممارساتها، وهى تهدف إلى تفادى النكبات، وتتضح الحاجة إلى تثبيتها وتنظيمها من خلال ثلاثة أمور، هى التالية:

١ — التوقيت الزمنى لممارسة الشعائر.

٢ — الإعادة الدورية للإجراءات الموحَّدة.

٣ — تحديد الشعائر ضمن إطار تقويم دينى شامل.

ولم يتأكد بعدُ وجود مظاهر ممارسات تعبّدية منظَّمة فى مناطق شيوع اللغة الحورية فى صيغة تميّزها عن مثيلاتها فى الشرق القديم، وهناك احتمالات غير محدودة لصيغ وأسلوب تسلسل ممارسة الشعائر الدينية ذات الأشكال المختلفة والمتباينة من مكان إلى آخر فى شعائرها وتوقيتها؛ ولذلك لا يمكن إعادة تصوّرها وبنائها إلا فى حالة توافر وثائق شاملة ومن نطاق واسع ضمن دائرة المعبد الدينى، ولم يظهر مثل هذه المادة الوثائقية إلا فى مدينة خاتّوشا، وهى محدودة.

لقد كان النذر اليومى فى خاتّوشا- بشكل عام- هو وْهب قطعة من الخبز، وتضمّنت قائمة من نُوزى تسجيلاً لموادّ مقدَّمة إلى المعبد ورد ذكر كميّة من الطحين كافية ليومين قُدّمت إلى عَشتار المدينة، ولعل ذلك يدل على نذر من الحبوب أيضاً[1].

---

١ - صمويل كريمر: من ألواح سومر، ص ١٩١. رينيه لابات وآخرون: سلسلة الأساطير السورية، ص ٢٤.

٢ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ١١٧ - ١١٨.

٣
العَالَمُ السُّفْلىُّ والأساطيرُ الحُوريّة

آلهةُ العالَم السُّفلى:

كان مصير الإنسان ما بعد الموت مشكلة قائمة فى ميثولوجيا معظم شعوب العالم القديم، وقدّم كلٌّ شعب فى هذا المجال تصوّرَه المنسجم مع منظومته الميثولوجية الخاصة به، ولم يكن الحوريون استثناء على هذه القاعدة، وتذكر الأساطير والشعائر الدينية والمعاهدات الدولية الحثية مراراً مجموعة متنوّعة التركيب من آلهة العالم السفلى، وخاصة فى نصوص العاصمة الحثية خاتّوشا؛ وهى آلهة يمكن إرجاعها بوضوح إلى المعتقدات الدينية الحورية، إنها الآلهة المسمّاة بـــ "الآلهة بالغة القِدَم" المنتمية إلى الأجيال الأولى من الآلهة التى أبعدها إله الطقس تِشُّوب إلى العالم السفلى.

ويتضح فى المقابلة السحرية بين "الطهارة" و"النجاسة"- وهى ليست خصيصة حورية مميَّزة- أن آلهة العالم السفلى "بالغة القِدَم" تمثّل الوجه السلبى للآلهة السماوية الحاكمة، وبما أنها افتقدت نصيبها من السيادة الإلهية فلا تتوافر فيها الصفة النوعية الأساسية للآلهة "العليا"، وهى أن تكون "طاهرة" بكل ما لهذه الصفة من دلالة سحرية، وهذه الطهارة شرط ضرورى للتأثير الإلهى، وإن افتقادها- بسبب خطايا دينية مثلاً- يسبّب توقّف الفعّالية الإلهية؛ مما يؤدّى إلى نتائج تؤثّر سلبيّاً على سعادة البشر١.

---

١ - المرجع السابق، ص ١١٨.

١ - المرجع السابق، ص ١٠٨.

إن آلهة العالم السفلى- من هذا المنظور- هى الصورة النقيض تماماً للآلهة العليا، و"النجاسة" لا تؤثّر فيها، بل لأنها طبيعتها الحقيقية، ولذلك يتوسّل البشر إليها للنجاة من "نجاسات"- قد تتكشّف فى صيغة موسم حصاد سيّئ، أو اغتيال، أو وباء أو يمين كاذب- وإبعادها عن وجه الأرض وإيداعها فى العالم السفلى.

ولا يمكن إرجاع أسماء "الآلهة البالغة القِدم" هذه- بشكل واضح- إلى أيّة لغة معروفة، لكن بعضهم حاول تقريبها من الأسماء السومرية والساميّة الغربية، ويُلاحَظ فى غالبيتها تجانس صوتى بين اسمين، نحو "نارا- نابشار، مينكى- أمونكى، مُنتارا- مُتْمُنْتارا"، أضف إلى هذا أن عدداً من آلهة هذه المجموعة حمل أسماءً لها ملامح الألقاب الوصفية، مثل: "أتونْتَرّى" ويعنى (الكاهن وسيط الوحى)، و"زُلْكى" ويعنى (مفسِّرة الأحلام)، و"إرْبيتيكا" ويعنى (سيّد العدل)١.

وقد أُلّهت الحفرة "آپى" Api فى الميثولوجيا الحورية، ونُسبت إلى العالم السفلى، ولعبت دوراً كبيراً فى شعائر علاج الإمساك عند الحوريين، ولعل من المفيد مقارنة اسم الحفرة باسم المدينة الواقعة فى منطقة شرقى دجلة "أَب- نَ- اش- وِ" أى (مكان الحُفَر).

ويسكن العالمَ السفلىَّ أولئك الملوكُ الذين خُلعوا عن العروش فى زمن مبكّر جدّاً من عمر الكون، وتوجد بينها آلهة بابلية كبرى مثل (آنُ، وإنليل)، لذلك تُوصَف "الآلهةُ البالغة القِدَم" أحياناً بكلمة سومرية الأصل هى "أنُونّا(ك)"، وتسمّى فى الأكّادية "أنونّاكو"، وهى تدل على آلهة السماء الكبرى.

ومن المشكوك فيه أن "آلهة العالم السفلى"- حسبما يظهر فى نصوص خاتُّوشا- كانت معروفة فى جميع مناطق انتشار اللغة الحورية، والدليل على ذلك أنها تظهر فى المعاهدة المبرَمة بين الملك الحثّى شوپيلوليوما والملك الميتّانى شَتّى وازا كمجرد حُماة للقَسَم الذى أدّاه الملك الحثّى، بينما تختفى من قائمة الآلهة الميتّانية، وقد ورد فى هذه المعاهدة فقط دعوات موجَّهة إلى آلهة هندو أوربية، مثل: ميتْرا، وڤارونا، وإنْدرا، وناسَاتْيا، والأرجح أنها كانت آلهة شخصية حامية لملوك ميتّانى١.

وتذكر النصوص الدينية الحثّية- الحورية مراراً مجموعات من العفاريت السبعة، وهى ترجع فى أصولها إلى النماذج الرافدية، وتمتلك ملامح النجوم (ثُرّيّا) أيضاً، وتُنسَب هذه الآلهة السبعة

---

١ - المرجع السابق، ص ١٠٨ - ١٠٩.

١ - المرجع السابق، ص ١٠٩.

إلى عدد من الآلهة الكبيرة مثل: شِيميک وتِشُّوب، إنها لا تعكس تصوّرات كتاب حثّيين من عصور متأخّرة حسبما اعتقد بعض الباحثين، والدليل هو ذكر "أخوات شيميکٍ السبع" فى تعويذة باللغة الحورية من مارى تعود إلى نحو سنة (١٧٠٠ ق.م) ١.

وتشير بعض نصوص المناطق الغربية مراراً إلى "آلهة الآباء" (إنّا أَتّنِونا)، وربما يدل ذلک على شيوع ظاهرة عبادة الأسلاف، وقد يكون ذلک تبنّياً لمفهوم حثّى أو سورى، ومن المؤكَّد وجود شهر باسم "أَتَّنَشْوِ" أى شهر الآباء، فى تقويم مدينة نُوزى، ووجود ظاهرة "أرواح الموتى" فى نصوص هذه المدينة كأشكال تعبّدية عند الأُسر٢.

الأسَاطير الحُوريّة:

إن دراسة الأساطير الحورية تتطلّب الاعتماد على المصادر المكتشفة فى العاصمة الحثّية خاتّوشا (بوغاز كُوى حالياً)، أضف إلى هذا أن توضيح كيفية انتقال الأساطير المكتشفة أمر معقَّد، ولا يمكن تحديد المراحل المتعددة التى مرّت بها بدقة، وما ذكرناه بشأن مجمع الآلهة الحورية يصحّ على الأساطير الحورية أيضاً؛ إذ يتوجّب أن نأخذ بالحسبان وجود آثار حضارية حورية خالصة قديمة فى الأساطير، إلى جانب عناصر سومرية- أكّادية وساميّة غربية من شمالى سوريا، إلى إمكانية وجود تأثيرات حثية وآسيوية (آسيا الصغرى). وجدير بالذكر أن أغلب الأساطير الحورية مدوَّنة باللغة الحثّية، وهناک بعض المنظومات حورية اللغة، ولكنها غير قابلة للفهم بشكل دقيق، والمرجَّح بين المؤرخين أن الروايات الحثية هى ترجمات لأصول حورية٣.

إن الأسطورة بصيغتها الموغلة فى القِدَم تؤصّل معتقَداً دينياً أو ممارسة سحرية، وتعرض تفسيراً لها، وما تلاوتُها ضمن الشعائر الدينية إلاّ ربطٌ للواقع الحاضر بالحقيقة الأصل، وإيحاءٌ بتَكرار الأحداث الأسطورية التى تمنح العافية، إنها تمتلک لحظة سحرية يؤثّر خلالها الحدث فى "زمن أزلىّ" فى الحدث الحاصل ضمن المكان الحالى والزمن الآتى. و لم تكن الأساطير الحورية

---

١ - المرجع السابق، ص ١١٠.

٢ - المرجع السابق نفسه.

٣ - المرجع السابق نفسه.

فى خاتُّوشا- بخلاف أساطير مختلفة أخرى ذات أصل أناضولى- مقيَّدةً بالشعائر الدينية، لكن لا يمكن الجزم بالمدى الذى بلغته فى التحرر من الشعائر، والتحوّل إلى شكل أدبى خالص١.

والمحور الأساسى للنصوص الأسطورية الحثّية المعروفة هى فكرة توارث الأجيال الإلهية المختلفة عبر دهور أسطورية، وتبلغ ذروتها مع سيادة إله الطقس، ومن الملاحظات الملفتة للانتباه فيها قلّةُ التعرض لمسائل أصول الآلهة (ثيوغونيا)، وعدم التطرق إلى عناصر نشأة الكون (كوسموغونيا) إلا بشكل هامشى. وثمة أسطورة باسم (أغنية مملكة فى السماء) تصوّر تعاقب الدهور الثلاثة التى سبقت سيادة إله الطقس، جاء فيها ما يلى:

"كان ألالو، فى عصور موغلة فى القِدم، ملكاً فى السماء، يجلس على العرش، ويقف أمامه آنُو القوى، الأوّلُ بين الآلهة يقف أمامه، لقد حَنى نفسه على قدميه، وراح يقدّم له الكأس للشرب.

كان أَلالو تسع سنوات ملكاً فى السماء، فى السنة التاسعة قاد آنُو حرباً ضد أَلالو وهزم أَلالو، ففرّ منه ونزل إلى الأرض المظلمة، نعم! نزل إلى الأرض المظلمة، أمّا آنُو فجلس على العرش، آنو يجلس على العرش، كُمَرْبى القوى يخدمه، لقد حنى نفسه على قدميه، وراح يقدّم له الكأس للشرب.

كان آنو تسع سنوات ملكاً فى السماء، فى السنة التاسعة قاد كُمَرْبى حرباً ضد آنُو، لم يقاوم آنو عينى كُومَرْبى، فتملّص من بين يدى كُومَرْبى وفرّ، طار إلى السماء، لاحقه كومَربى، اقترب منه، أمسك بآنو من رجليه، وسحبه من السماء إلى الأسفل، عضّ عضوه التناسلى، اتّحد سائله المنوى ببطن كُمَرْبى كالبرونز، وعندما بلع كُمَرْبى السائل المنوى ابتهج وراح يضحك. التفت إليه آنو وراح يحدّثه قائلاً:

أنت تبتهج ببطنك لأنك بلعت سائلى المنوى، لا تبتهج ببطنك، فقد وضعتُ فيك عبئاً، فأولاً جعلتك تحبل بأضخم إله للطقس، وثانياً جعلتك تحبل بنهر دجلة الذى لا يمكن تحمّله، وثالثاً جعلتك تحبل بالإله الضخم تَشْميشُ، ووضعتُ فى بطنك إلهين آخرين مُريعين ليكونا عبئاً عليك أيضاً، ستصل إلى حدّ أنك فى النهاية ستضرب برأسك صخورَ الجبال"١.

---

١ - المرجع السابق، ص ١١١.

١ - المرجع السابق، ص ١١١ - ١١٢.

واضح أن هذه الأسطورة الحورية تعتمد على التراث البابلى، إن هذا الصراع بين كبار الآلهة الحورية، وتعاقبهم على العرش الإلهى الأكبر، يشبه ما جاء فى المجمع الإلهى السومرى، فقد كان الإله آنو (السماء) كبير الآلهة، تزوّج بالإلهة جى (الأرض)، وكان ابنه إنليل ثمرة ذلك الزواج، ولكن ما لبث إنليل أن أزاح والده آنو عن سُدّة السلطة، وحلّ محله فى منصب كبير الآلهة، ثم حلّ الإله آنْكى Anki أو آنْجى Angi محلّ إنليل فى منصب كبير الآلهة.

ومثل هذا الصراع بين الجيل القديم والجيل الجديد من الآلهة موجود فى الميثولوجيا اليونانية أيضاً، ففى البداية كان أورانوس Ouranos إله السماء الأكبر، لكن أصغر أبنائه كرونوس Cronus ثار عليه، وأزاحه جانباً، وحلّ محله، ولما كبر أصغر أبنائه زيوس Zeus ويسمّى ديوس Dyaus أيضاً، ثار على أبيه كرونوس، وأزاحه بالقوة والخديعة عن منصب الإله الأكبر١.

وثمة أسطورة أخرى واردة فى "أنشودة أُلّى كُمّى" تصوّر الصراع بين الآلهة، يقوم فيها كُومارْبى لإلحاق الهزيمة بإله الطقس، وفيما يلى مضمونها:

خَلق كُومارْبى كائناً من الصخر، وسمّاه "أُلّى كُمّى"؛ أىْ (مدمِّر كُمّى) مدينة إله الطقس، وتآمر كُومارْبى- ثانيةً مع إله البحر الذى ترعرع ذلك المخلوق الصخرى فى رعايته؛ واقفاً فوق الإله أُبلُّرى الذى يحمل السماء والأرض، وعندما انبثق أُلّى كُمّى من البحر شاهده إله الشمس، فبدّل مجراه متشائماً، وراح يحدّث إله الطقس بشأن هذا الخطر المُحْدِق، فاستولى الرعب على إله الشمس وشلّه عن الحركة، فلم يتمكّن من اتخاذ مكانه فى قصر إله الطقس ليتمّ الترحيب له، وليأكل ويشرب، إنه أبى الجلوسَ والتلذّذَ بأطايب الأطعمة التى أُعدّت له والشربَ من الكؤوس المعروضة أمامه.

إن إله الطقس واظب على الاهتمام بشعائر الضيافة، وبالغ فى ذلك، حتى تركه إله الشمس دون أن ينقل إليه رسالته، وبعد ذلك ألحّ شعور بالشر على إله الطقس، فأسرع هارباً مع أخيه تَشْميشُ إلى جبل خَزّى (الجبل الأقرع)، ولاحظ المخلوق الصخرى المجلجل فى البحر رعبَه، لقد غرق إله الطقس، فحاولت عَشْتار أن تُغوى المخلوق الصخرى الضخم بمفاتنها الأنثوية، كى تُضعف جبروته، لكنه يتّخذ مظهر الأعمى الأصمّ، وأخفقت عَشْتار فى محاولتها،

---

١ – صمويل كريمر: من ألواح سومر، ص ١٦١ – ١٦٣. حسن نعمة: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، ص ٨٣. عبد اللطيف أحمد على: التاريخ اليونانى، ص ٢٠١/١ – ٢٠٣.

وإضافة إلى ذلك حاول إله الطقس ورفاقه قهْر أُلّى كُمّى فى حرب مفتوحة، لكنه مُنى بالهزيمة، فتنبّأ أخوه بيأس قائلاً: "لن يكون هناك فى السماء مَلِك بعدُ".

لكن تدخّل الإله إيا شكّل منعطفاً جديداً، فبعد أن فتّش أُبِلّرى، ورأى أن ذلك المخلوق الضخم قد نما فى كتفه الأيمن١، فلجأ إلى "الآلهة الموغلة فى القِدَم"، ورجاها أن تأتى بالمِنْجَل الذى فُصلتْ به السماء عن الأرض فى العصور الغابرة، وبذلك المنجل قطع أُلّى كُمّى عن منبته، وبذلك سُلب منه مصدرُ قوته، ثم تمكّنت الآلهة بعد معارك متكررة من إبادة ذلك المخلوق الضخم٢.

إن تصوّر الولادة من الحجر فى أسطور أُلّى كُمّى يعود إلى تقاليد حورية قديمة، نقلها الحوريون إلى المنطقة من مواطنهم الأولى فى المناطق الجبلية الكوردية. ومن التصوّرات الحورية الخالصة التى لا توجد متشابهات لها فى التراث الشرقى القديم فكرة أسياد الآلهة المخلوعين عن عروشهم، الباحثين عن استعادة سيادتهم، ويقع مسرح الحدث فى شمالى سوريا، والدليل على ذلك ذكر جبل خَزّى (الجبل الأقرع)، وهذا يدعو إلى التفكير فى انبثاق أُلّى كُمّى من خليج إسكندرون.

وقد كان تصوّر العداوة بين إله البحر وإله الطقس شائعاً فى شمالى سوريا؛ ففى الأساطير الأوغاريتية نجد أن ما يربط ين إله البحر (يَم) والإله (إيل) المطابق لكُومارْبى هو عداوتهما لإله الطقس بَعْل، كما أننا نجد لتصنيف الأنهار ضمن مناطق نفوذ إله البحر مشابهات فى الأساطير الأوغاريتية أيضاً، على الرغم من أن البحر لا يؤدى أىَّ دور فى الديانة الحورية، وأن الأنهار ترِد فيها دائماً بشكل مرتبط بالجبال.

أمّا ذكرُ الإله إيا الإله الخبير بالنصح الدائم الذى كان يسكن فى منطقة أَبْزُو؛ أى محيط المياه العذبة تحت الأرض، حسب التصور السومرى- فى الأنشودة فهو تأثّرٌ بتراث بلاد الرافدين، ولكن المتميّز فى الأنشودة هو التعبير عن الأَبْزو وكأنها مدينة بلا ملامح، وقد يكون سبب ذلك هو تعارض التصور السومرى عن إله ينابيع البحر والنهر مع المأثور الشائع عنه فى شمالى سوريا١.

---

١ - بعد الحوريين بقرون ظهرت آثار هذه الأسطورة فى قصة أزدهاک القائلة بأن حيّتنين نمتا على كتفى أزدهاک، وكان بحاجة إلى إطعامهما كلّ يوم بدماغى شابّين، كى تهدأا.

٢ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ١١٤ — ١١٥.

١ - المرجع السابق، ص ١١٥ — ١١٦.

إن فكرة خلق الآلهة القديمة المتمردة على إله الطقس انتقلت من جنوب شرقى الأناضول وشمالى سوريا إلى الأساطير التى تروى بأشكال مختلفة قصّةَ الجبّار الضخم (تيون) الذى خلقه جيا و تَرْتَروس- وحسب روايات أخرى، خلقه كرونوس- فراح يهدد زِيُوس، ثم هُزم أمامه. وقد تكون الأساطير الحورية القديمة قد تابعت طريقها، ووصلت إلى الخرافات اليهودية، كما ينعكس فى قصة أَرْميلوس عدوّ السيّد المسيح، الذى خلقه الشيطان من تمثال مرمرى لصبية حسناء.

وتلعب شخصية الصيّاد دوراً كبيراً فى الأساطير الحورية الخالصة، ولذلك ينبغى النظر إلى شخصية البطل كُرْب أَرَنْزَخ كمثل لهذا النموذج، وتذكر الأسطورة أنه قتل حيواناً وحشياً، وبرع فى مباراة برمى الأقواس.

وثمّة حكاية أخرى اكتُشفت نسختها الحورية المؤلفة من أربعة عشر رقيماً فى خاتّوشا؛ هى حكاية الصيّاد الذكى الذى تزوّج الحسناء شينْتا مِنى أو (شينْتالى مِنى) فقيّدت حركته لدرجة أنه لم يعد قادراً على تأدية واجباته تجاه الآلهة، ونسى أن ينذر لها الخبز والخمرة، وأهمل الذهاب إلى جبال الصيد. وأخيراً تدفعه تنبيهات أمّه المتكررة إلى الانطلاق للبحث عن وحش بصيده، ولكنه لا يحظى بفريسة بسبب الغضب الإلهى عليه. وقبل أن يموت جوعاً ينقذه تدخّل "الألوهية الأبوية"، ثم تَرِد فى الحكاية سلسلة من الأحلام التى تفسّرها أمّه له، ويتعلق قسم منها بالصيد؛ ولذلك فقد حُلّلت حكاية كِشّى- بحق- على أنها أسطورة صيّادين[١].

---

١ - المرجع السابق، ص ١١٦ — ١١٧.

٤
الأعيادُ والطُّقوسُ والكِهانةُ الحُوريّة

الأعيادُ والمناسباتُ الدينيّة:

مثل بقيّة العقائد نشأت فى منظومة الميثولوجيا الحورية أعياد دينية متنوّعة، وعلى الأرجح كان فى أرّابْخا عيد دينى فى أول أيام كل شهر، ويسمّى نسبة إلى الشهر الذى يقع فيه (عيد كِنونو، عيد ميتيرُنّى، عيد شِخَلى، إلخ)، ونستخلص من اتفاق عُقد مع امرأة وُصفت بـــ "غسّالة ساحة المعبد" أنه كان يُحتفَل بمناسبة دينية خاصة فى اليوم الخامس عشر من الشهر، وكان هذا الاحتفال اقتداءً بمناسبة تطهير معبد عَشْتار نِينَوَى فى أَرّابْخا، وكان يتمّ فى كل من يومى الخامس عشر والأول من الشهر. وأُقيمت احتفالات شهرية فى ألالاخ، وهى تحمل بشكل جزئى أسماء احتفالات أرّابْخا نفسها (مثلاُ: يوم عيد شهر خِيارى).

وانتشرت فى كل المناطق الحورية أعياد سنوية، لكن لم يُعثَر على نصوص تصف شعائر تلك الأعياد إلا فى خاتّوشا، وكان ثمة عيد فى الشتاء يدوم أربعة أيام، وكان هذا العيد مكرَّساً لعشتار إلهة نِينَوى. وهناك عيد حورى كبير أُعيد تدوين شعائره من جديد فى خاتّوشا بأمر من الملكة الحثّية بودو- خِبا حوالى (١٢٥٠ ق.م).

وهناك نسخة أصلية- جُلبت من موطن الملكة (بلاد كيزُّوفَتْنا)- موضوعةٌ قيد الاستعمال، واحتلّت الصياغة الجديدة لشعائره أكثر من اثنى عشر رقيماً، وكلُّ رقيم مقسَّم إلى ستّة أعمدة، وقد رُبط هذا العيد المسمّى بعيد خِيشُوّا (أو: إشُوّا) ببلاد إشُوّا الواقعة فى شرقى الأناضول أحياناً، لكن الأرجح أنه ذو أصول سورية، انتقل منها إلى كيزُّوفَتْنا. وإن الأسماء المذكورة فى شعائره؛ مثل نهر بُرَنا (أو: بَرَنا) وجبل أَدَلُور، وكذلك اسم الإله ليلُّرى نجدها

كلها فى تقرير خَتّوشيلى الأول عن إعادة احتلاله مدينة خَشّو، إنه مصوغ باللغة الحثية، عدا بعض مقاطعه[1].

وفيما يلى مقطع من شعائر (عيد خِيشُوّا):

"ثم يخرج الملك من معبد الإله إشْخارا، ويتوجّه إلى معبد الإله أَلاّنى، وكما نذر المرء للإلهة إشخارا طائراً كضحية "أَمْبَشّى" وتيساً كضحية "كِلْدى"؛ هكذا تماماً يَنذر للإله أَلاّنى طائراً كضحية " أَمْبَشّى" وشاة كضحية "كِلْدى". هكذا نُظّم كلُّ شىء، وتسكب امرأة من صنف تَبْرِيا الماء مع خلاصة الأرز أمام الألوهية، وإنْ لم توجد امرأة من ذلك الصنف فيقوم بذلك كاهن الإله.

ثم يَنذر المرءُ بالطريقة نفسها من دم تَيْس حديث الذبح، وهناك أيضاً يكسر الملك كذلك الخبز اليومى "كَكَّرى" المصنوع من الحبوب المقشورة، ويجعله قِطَعاً حجمها نصف "أُبْنى"، وبعدها يأخذ المرء دلواً من الخمرة، ويملأ كأسين فضّيتين منه للإله أَلاّنى، وكأساً فضّية للإله كُرّى، وكأساً فضّية للإله إشوى، وكأساً فضّية للإلهين خُتِنا وخُتِلُّرّا. وبعد ذلك يسكب كاهنها من قارورة فضّية، ويسكب الملك من قارورتين ذهبيتين.

ثمّ يخرج الملك من معبد الإله ألاّنى، ويتوجّه إلى معبد الإله نُبَتيك بِيبِيتْخى"[2].

إن هذا المقطع يوضّح أنه كان من الشائع أن تُعبَد ضمن معبد إلهٍ هامّ آلهة أخرى أقلّ أهمية، ولكنها ترتبط به غالباً بصلة نسب أو بتشابه فى المظاهر.

الطُّقوس والنُّذور:

كانت الطقوس الدينية الحورية تشتمل على تقديم نذور الطعام والشراب، ونجد فى شعائر عبادة الإله تِشُّوب الحلبى- وقد عُنى بعبادته فى مراكز بلاد كِيزُّفَتْنا، ثم انتقلت منها إلى خاتّوشا-

---

١ - المرجع السابق، ص ١١٨ — ١١٩.

٢ - المرجع السابق، ص ١٢٠.

أن النذور كانت تُقدَّم لكل من الآلهة المذكّرة الهامة فى المجمع الدينى الحورى، إضافة إلى الأشكال المحلية للإله تِشُّوب ومظاهره وألقابه، وذلک بشكل شامل، وضمن ترتيب موحّد يُدعى (كَلوتى)، مع وجود بعض الاختلافات الجزئية البسيطة. أما الآلهة المؤنثة فقد جُمعت وفق ترتيب (كَلوتى) يعتمد الإلهة خِبات مقياساً، و لم تقتصر قوائم هذا الترتيب (كَلوتى) على عبادات الإلهين تِشُّوب وخِبات بدلالتها المحدّدة، بل ضمّت أيضاً شعائر تقديم النذور لآلهة أخرى أيضاً، مثل الإلهة "شاوُوشْكا الحقل" فى مدينة شَموخا، وهى بشكل عام تعبير عن توحيد مطلق لعبادات المملكة الحثّية فى زمن معيّن، وهى تعكس تأثّراً بالمعتقدات الدينية الحورية.

و لم تكن الطقوس تقتصر على نذور الطعام والشراب، بل كانت لها مجالات أخرى، فتماثيل الآلهة كانت تُدهَن بين وقت وآخر، حسبما يتّضح من قوائم استهلاک الزيت وصرفه لمعابد عدد من مدن بلاد أرّابْخا، ويمكن أن نستخلص من المقطع الذى أوردناه قبل قليل عن عيد خِيشُوّا أنه قُدّمت فى إطار الأعياد الدينية نذور لتطهير الروح (أُمْبَشّى، كِلْدى) أيضاً، وهى تهدف إلى تجديد الطهارة المقدسة لتماثيل الآلهة[1].

وكانت تماثيل الآلهة تُدهَن بين حين وآخر، وثمة بين النصوص تعليمات تتعلق بالأدوات والأصوات اللازمة للموسيقى المرافقة للشعائر، قال جرنوت فيلهلم:

"فبعضُ الأناشيد الدينية الحورية المكتشَفة فى أوغاريت مُرفقَةٌ بمعلومات عن الأدوات الموسيقية اللازمة لتأديتها، ويمكن عَدُّها أقدم الشواهد المعروفة حتى الآن على تدوين المقطوعات الموسيقية (النوطة)، وعلى الرغم من تحقيق بعض الخطوات المتقدّمة فى مجال تحليل تلک النصوص وتدوينها الموسيقى؛ فما زالت هناک جوانب كثيرة منها غير مؤكّدة"[2].

وكان المعبد أهم مكان لممارسة العبادات، ويسمّى بالحورية (بُرْلى، بُرُلِّ)، وكنت تنتصب فى ساحته الرئيسة تماثيل الآلهة. وإن المعابد القليلة التى كُشف عنها حتى الآن فى مناطق شيوع اللغة الحورية لا تُظهر أية خصوصية معمارية يمكن أن نَعدّها ميزةً للمعبد الحورى، وفى الغالب توجد نماذج محلية مختلفة من المعابد، ففى مدينة نُوزى نجد النموذج المسمّى بـــ "المعبد ذى المحور المنحنى" الذى كان شائعاً فى بلاد الرافدين خلال الألف الثالث ق.م، ويظهر فى الطبقة الرابعة من ألالاخ النموذج السورى الشمالى المؤلف من قاعة أمامية (رُواق) محورية فى

---

١ – المرجع السابق، ص ١٢١.

٢ – المرجع السابق نفسه.

موقعها وممرّ مواجه للساحة، ثم الساحة الرئيسة والمحراب الموجود فى الجدار الذى يتصدّر الساحة[1].

وكان التضرع إلى آلهة الأرض السفلى يهدف إلى إزالة دنس سحرى، وقد عُثر فى (يازيلى كايا) القريب من العاصمة الحثية خاتُّوشا شقٌّ صخرى قرب المدخل المؤدّى إلى الغرفة الكبرى على بقايا أثرية تدل على ممارسة شعائر تطهيرية سحرية؛ ولذلك فقد رأى بعض الباحثين أن الموقع لم يكن معبداً مقدّساً عادياً تمارَس فيه الشعائر الدينية الشائعة، بل مكاناً لممارسة شعائر تطهير الروح، كما وُصفت فى تلخيص حورى لتلك الشعائر يسمّى بـــ "اِكْتَلْزى"، ولم يلقَ هذا الرأى إجماعاً.

وكانت تماثيل الآلهة تُصنَع من الذهب غالباً، وكانت تَتخذ أشكالاً مسطَّحة تغطّى الجدران، وتُزيّن بالحجارة النفيسة، وتُزوَّد بعلامات إلهية متميِّزة مثل الأدوات الحربية أو المغازل، وكانت لهذه العلامات شعائر تعبّدية أيضاً. أما بالنسبة إلى الأدوات المستعمَلة فى الشعائر الدينية فقد استُخدمت فى المعبد المسمّى (بيت نَرْمَكى)، أى بيت الطهارة، فى العاصمة الميتّانية (وَشّوكانّى) جرارٌ فضّية؛ لأن الفضّة- حسب المعتقدات الحورية وغيرها- تمتلك فاعلية تطهيرية خاصة.

وكانت توجد فى معبد الإلهة عَشْتار- شاوُوشْكا فى نُوزى تماثيل أُسود وأوانٍ فى هيئة أُسُود، تُستخدَم فى عملية سكب السوائل على الأضاحى المنذورة، ووُجدت فى معظم أماكن العبادة الحورية ما يشبه خزانات عمودية ذات قوائم إلى جانب المواقد النارية، وتسمّى فى الحورية (خُبْرُشْخى)، وكان ثمة نوع من الأطباق يسمّى (أَخْرُشْخى)، يتمّ فيها حرق مواد التبخير[2].

وأما الأدوات الأساسية التى كانت تشكّل أثاث المعبد، وتهدف إلى تحقيق الراحة للآلهة، فهى: كرسى العرش (كيشْخى) والسرير (نُتْخى) والكرسى الواطئ- دون مَسْنَد- (تُنى) والكرسى العادى (تَبرى)، وقد وصلَنا من قَطَنا (تل المُشْرِفة) المدينة الواقعة فى وسط سوريا عددٌ وفير من قوائم جرد الموجودات، وهى مصوغة باللغة الأكّادية، ولكنها تتضمّن كثيراً من المسمَّيات الحورية التى تدل على انتماء المدينة إلى دائرة الحضارة الحورية.

---

١ - المرجع السابق نفسه.

٢ - المرجع السابق، ص ١٢٣.

النُّبوءَة والكِهانة:

الفصل الاصطلاحى بين النبوءة Omina والكهانة Orakel هو مصطنَع أحياناً، إنه يشبه التفريق بين حُلم لم يرغب فيه المرء وآخر أتاه وكان يتمنّاه؛ وذلك إذا تقصّد أن يقضى ليلة فى المعبد كى يوحى إليه بحلم. ولم يتجاوز إسهام الحوريين فى مجال النبوءات والكهانة فى الشرق القديم دور الوسيط، إنهم ترجموا مجموعات النبوءات البابلية إلى لغتهم، وأخذوا أسلوب العرافة بوساطة فحص أحشاء الحيوان من بلاد الرافدين، ثم عرف الحثيون هذه الفنون عن طريقهم.

ويُلاحَظ فى مجال التطبيق العملى للكهانة عند الحوريين شيوعُ الربط بين فحص الأشياء وتقصّى حالة معيَّنة، وهذا الربط الذى يمثّل الصيغة الأصلية للكهانة بوساطة الكبد فى الشرق القديم يوجد فى بلاد الرافدين أيضاً، وبالتحديد فى مجموعة نصوص "تَمِيتُو" Tamitu الأكّادية التى تشكّل جنساً متميّزاً من النصوص الكتابية، وكان الكهّان يلجأون إلى الإلهين شِمِش وأَداد (هَدَد/حَدَد) للاستفهام عن التكهّنات، وتتمّ الإجابة بوساطة فحص كبد شاة. وقد تمّ العثور على نص من تلك النصوص فى مدينة كُرُخَنّى التابعة لأَرّابْخا، ويعود إلى مطلع القرن الرابع عشر ق.م.

وثمّة مجموعة ضخمة من النصوص الحثّية تُعرَف بـــ "كهانة سُو" تعكس العلاقة بين فحص الكبد والاستفهام عن التكهّنات. ويبدو من المصطلحات المستخدَمة فيها اعتمادُها الأصولَ البابلية فى طريقة فحص الأحشاء، والدورَ الحوريَّ الوسيط فى عملية الانتقال[١].

وتُبيّن النصوص المكتشفة حديثاً فى مدينة إيمار (مَسْكَنة، نحو ٩٠ كم شرقى حلب)- وكانت المركزَ الأساسى فى مناطق الفرات الأوسط- أن هذه المدينة كانت مركزاً يُعنى فيه بالأساليب الحورية للكهانة بوساطة فحص الأحشاء. وقد عُثر فى مواقع سورية وفلسطينية عدّة، وكذلك فى خاتُّوشا، على نماذج طينية للأكباد الحيوانية، ورسمت عليها التشخيصات التنبّؤية، وصيغت التنبّؤات كتابياً أحياناً.

---

١ - المرجع السابق، ص ١٢٥.

إن نصوص خاتّوشا تتحدّث عن الكهانة بوساطة الطير، والأرجح أنها ذات أصل حورى، وتقنية هذه الكهانة غير معروفة بدقة، وكان يُستخدَم فيها طائر يسمّى بالأكّادية "مُشِن (إًصُّر) خُرّى" أى طائر الكهوف، إن هذه التسمية الأكّادية تُذكّر باسم الحوريين (خُرّى)، وقد فُهمت بهذه الدلالات فى آسيا الصغرى أحياناً؛ أى (الطائر الحورى)؛ ولبيان التطبيق العملى لهذا الشكل من الكهانة نقدّم فيما يأتى ترجمة لبعض المقاطع:

" كان إله الطقس القوى ثابتاً داخل المعبد وفى حالة غضب، ولذلك سألْنا خدمَ المعبد عن الأمر، فأجابوا: لقد أُهمل تقديمُ نذور السنة السابعة للإله. كانت الأدوات مكسوَّة بالمعدن، لكنها الآن لم تَعُد مكسوَّة، كان الكرسى مكسُوّاً فى مقدّمته بالفضّة، لكنه الآن لم يَعُد مكسُوّاً. كان سكّان قرية كُوَرْبيشيّا التابعة لبلاد إشُوّا ممنوحين للإله، لكن الآن أخذهم ملك إشُوّا لنفسه، والخمرةُ جُلبت للإله من قريتى نَخيتا وخيليكّا، لكن الآن أُهمل، وجُلب الملح للإله من قرية تُختُشْنا، لكن الآن يمرّ السكان بضائقة قلّة الذهب، وقد أهملوا جلْبَ الملح.

لقد قدّم أحد التجّار للإله ثوباً و... ذهبياً وزنه ثِقْل واحد و... فضّياً وزنه ثلاثة أثقال، لكنها الآن نُهبت وأُخذت لأجداد موظّفى القصر، لقد أُهمل ذلك، وخطف خدمُ المعبد بشكل مستمر فتاة من المنطقة، ولكنهم الآن لا يخطفون... هل الإله غاضب بسبب هذا الخطأ؟ أيعنى هذا أن طائر التكهّنات غير نافع؟ إنه نافع. إذا كان الإله غاضباً بسبب أخطاء أخرى، فهذا يعنى أن طائر التكهّنات غير نافع، إنه غير نافع"١.

١ - المرجع السابق، ص ١٢٦ – ١٢٧.

٥

التَّعْويذاتُ وشَعائر الطَّهارةِ الحُوريّة

الفكرُ السِّحرىّ الحُورىّ:

إن التراث السحرى الذى يُستخلَص من التراث القديم فى آسيا الصغرى هو- بخلاف ظاهره- فكرٌ أُحادى كلّى فى نظراته، فتحديد جانب سلبى للطهارة هو مجرد وضع للحدود، وإن الممارسة السحرية التى ترمى إلى استخراجه هى إزالةٌ لذلك الجانب (النجاسة)؛ أى أنها عملية تطهيرية، وبناء على ذلك فإن القائم بالعملية (الساحر) هو وحده يحدّد الغرض، ويَفصل بين النقيضين؛ إنه سحر هادف إلى اللعن، وآخر إلى المباركة (السحر الأسود والأبيض)، على الرغم من أن القواعد التطبيقية العملية متماثلة فى الحالتين، وهى تنشد هدفاً موحَّداً هو محاربة النجاسة.

وينبغى التمييز بين نوعين من السحر:

١ – سحرٌ مُتماثِل Analogie: يتمّ فيه الشروع فى عمل، أو يُذكَر إجراءٌ، ويكون تحقّقه فى حيّز الواقع هو الغاية الحقيقية للعملية السحرية.

٢ – سحرٌ مُلامِس Kontakt: تتمّ فيه إزالة النجاسة من خلال ملامسة الكائن أو المادّة المطهّرة، وتصير النجاسة التى اختلطت مع المادة السحرية غير ضارّة، وكانت تُستخدَم فيه بعض الموادّ مثل بعض النباتات أو المعادن.

أما الكلام الذى كان يُلفَظ خلال الأعمال السحرية "التعويذات" فيمكن اعتباره من مظاهر الدعاء، ولا سيّما عندما كان يستهدف تسليم موادّ الآلهة الملوَّثة إلى آلهة العالم السفلى من أجل تخزين مضمون لها.

إن فن صناعة التعويذات الحورية حظى بتقدير كبير فى جنوبى بلاد الرافدَين منذ العصر البابلى القديم (٢٠٠٠ – ١٥٩٥ ق.م)، وقد وصلتنا رُقُم من ذلك العصر تتضمّن نصوصاً باللغة الحورية، وفى حواشيها شروح باللغة السومرية تبيّن أنها تعويذات ذات أغراض مختلفة (ضد عضّ الأفاعى مثلاً)، وإن معانى كثير من مفاهيمها الأساسية تدل على وجود تشابه مع النصوص الحورية بقرون عدّة والمكتشَفة فى خَتّوشا وأوغاريت. ومن المتوقَّع أن هذه التعويذات انتقلت إلى هناك من المناطق الحورية فى شمالى بلاد الرافدَين وشرقى دجلة خلال عصر سُلالة أور الثالثة (٢١١٢ – ٢٠٠٤ ق.م).

وكان للتعويذات– وهى أدعية تُلفَظ خلال الأعمال السحرية– مكانة هامة فى الميثولوجيا الحورية، وكانت تلك التعويذات تحظى بتقدير كبير فى جنوبى بلاد الرافدَين منذ العصر البابلى القديم، وعُثر فى مارى على تعويذات حورية تعود إلى حوالى سنة (١٧٠٠ ق.م)، وهى مدوَّنة أحياناً مع تعويذات باللغة الأكّادية، وقَدّمت مكتبات خاتُّوشا وصفاً لعدد وفير من الشعائر السحرية التى كانت شائعة فى مناطق الحضارة الحورية، تصف بعضُها الإجراءات السحريةَ باللغة الحثّية، وتَعرض نصوصَ التعويذات بالحورية[١].

ويتّضح من المضمون الفكرى والتعبير الكلامى للتعويذات أن أدب السحر الحورى– الحثّى يرجع فى قسمه الأكبر إلى بلاد كيزُّوفَتْنا (كيزُّوواتْنا فى شمالى كيليكيا بجنوب شرقى الأناضول)، وكانت هذه البلاد مسرحاً لانتشار حضارة شمالى سوريا ذات الطابع الحورى فيها منذ القرن السادس عشر ق.م على الأقل، ومن المتوقَّع أنها باتت مفتوحة أكثر أمام التأثيرات الحورية خلال فترة استقلالها عن مملكة ميتّانى (أواخر القرن ١٥، ومطلع ١٤ ق.م)، وقد حدثت الموجة الكبيرة الأولى لانتقال العبادات الدينية والممارسات السحرية الحورية إلى بلاد كيزُّوفَتْنا فى فترة حكم الملك الحثّى أَرْنُوفَنْدا (أَرْنُوواندا) الأول (١٣٧٠ ق.م)؛ أى فى الفترة التالية مباشرة لضمّ البلاد إلى المملكة الحثية، هذا إذا سلّمنا بتأريخ هذا الحدث فى عهد توتخاليا الثانى (أو الثالث) أى حوالى سنة (١٣٨٠ ق.م).

---

١ – المرجع السابق، ص ١٢٨.

كانت كيزُّوفَتْنا حوضاً تجميعياً، التقت فيه تقاليد دينية مختلفة الأصول، فكان فيه من شمالى سوريا تقاليد مدنية خَشّو (خَشُّوم)، وكانت كاهنة التعويذات "أَلّيتورَخَّ" من ألالاخ فى الأصل، وكذلك كِزّيّا كاتب الشعائر، وكان إِخِل- تِشّوب الذى يُنسَب تأليف خلاصة وافية للشعائر من سكان حلب. أما تقاليد كيزُّوفَتْنا المحلية غير الحورية فيصعب تخمينها، ولكن لا شك فى حصول احتكاك بينها وبين تقاليد مناطق الحضارة واللغة اللوفية الواقعة فى الغرب منها.

وينبغى فهم الاختلاط الزائد للتطبيقات السحرية اللوفية والحورية مع شعائر التعويذات الحثية على أنه بالتأكيد حصيلة مرحلة حضارية مرت بها العاصمة الحثية فى عصر المملكة الحثية العظمى، وساد خلالها النزعة التوفيقية بين التقاليد المختلفة. أما فيما يتعلق بمدى التأثيرات الحثية المباشرة القادمة من مناطق اللغة الحورية شرقى الفرات مثل (إشُوّا، أَلْشِ، ميتّانى) إلى العاصمة الحثية، والتى لم تعبر من شمالى سوريا، فلا يمكن تحديده١.

شعائر الطَّهارة الحُورية:

إن أهم سلاسل مجموعات شعائر الطهارة الحورية المتكشَفة فى خاتّوشا سلسلتان تعرفان باسمى "اِتْكَلْزى" و"اِتْكَخى"، وكلا الاسمين مشتقان من الكلمة الحورية "اِتْكى" التى تعنى (طاهر).

وتتناسب تعويذات الطهارة كثيراً مع السحر التماثلى، كما فى تعويذة "حُكم الماء" التى جاء فيها ما يأتى: "كما أن الماء طاهر...، هكذا ليتها تكون تَتو-خِبا [صاحبة النذر] أمام الآلهة". وإن المقطع الآتى يصف الاغتسال التطهيرى بـــ "ماء طاهر"، ويتضح منه أنه يتوجّب على الكاهن الذى يحفظ "الماء الطاهرة" أن يهتم بطهارته الخاصة اهتماماً دقيقاً:

"وهو [صاحب النذر] يغسل نفسه. وما إن يتأهّب للاغتسال حتى يحضر كاهن التعويذ الذى يحفظ المياه الطاهرة إلى جانبه ذلك الماء إلى خيام الغسيل. وما إن ينتهى صاحب النذر من الاغتسال حتى يقوم أحدهم بسكب ذلك الماء فى إناء غسيل فارغ مصنوع من النحاس أو البرونز.

---

١ - المرجع السابق، ص ١٢٩.

أمّا كاهن التعويذ الذى لا يحفظ مياهاً طاهرة فيأتى بعد ذلك، ويفعلان ذلك معاً بالأدوات الأخرى (المستعمَلة النجسة)، وهو (الكاهن الأخير) لا يصير- بطريقة ما- نجساً، ولكنه يصير- بطريقة ما- طاهراً أيضاً.

وهو (صاحب النذر) يسكبها (المياه الطاهرة) على رأسه، ومع ذلك فهو لا يسكب على نفسه بعد ذلك من مياه أخرى، وفى الأسفل يأخذ هو (أى: يجمع الماءَ الذى سال على جسده فى إناء)"[١].

ويسمّى الكاهن الذى يشرف على شعائر الطهارة "أتْكَلْزى، إتْكَخّى" بالتسمية السومرية (آزور) التى تعنى فى الأصل (الكاهن المشرف على النذور)، لكنها تعنى فى نصوص خاتُّوشا (كاهن التعاويذ)، وإلى جانبه تؤدّى مشعوذةٌ تُدعى (العجوز) دوراً مهماً فى شعائر السحر الحورية الشائعة فى آسيا الصغرى[٢].

وتتميّز مجموعة من نصوص شعائر التطهير ذات الطابع الحورى بصيغة نذرية خاصة نجدها فى غيرها من نصوص خاتّوشا، ونادراً ما تَرِد فى نصوص بلاد الرافدَين، وهى تتمثّل فى "نذر الطيور"؛ إذ يُضحَّى بها محروقة أو مذبوحة، وتتردّد فى سياق شعائرها كلمات حورية يمكن اعتبارها مصطلحات نذرية، كما تصنيفها فى مجموعات دلالية مختلفة (نجاسة، خطيئة، سلامة، سيادة،...). وكان نذر الطيور مخصَّصاً لآلهة العالم السفلى، ويُعهَد إليها خلال الشعائر التطهيرية بواجب استلام النجاسة وطمْرها فى العالم السفلى[٣].

وفى إحدى الشعائر الهادفة إلى إزالة الخطيئة عن بيت ملطَّخ بعمل دموى ويمين كاذبة وغير ذلك يتمّ التوسل إلى آلهة من عالم تحت الأرض، ويُطلَب منها أن تنقل "الدم الشرير" للبيت إلى "آلهة الدم" التى تحمل إلى العالم السفلى، وتثبّته هناك، وجاء فيها ما يأتى:

"ثم يأخذ ثلاثة طيور، فيَنذر اثنين منها لآلهة تحت الأرض، وواحداً لإله الحُفرة، ويقول ما يأتى: انظروا! لَكُمْ يا أيتها... الموغلة فى القِدم، لن تُقدَّم لكنّ بقرةٌ ولا شاة، عندما أبعدكنّ إله الطقس إلى العالم السفلى المظلم حدّد لكنّ هذه الهبة النذرية"[٤].

---

١ - المرجع السابق، ص ١٣٠ — ١٣١.

٢ - المرجع السابق، ص ١٣١.

٣ - المرجع السابق، ص ١٣٣.

٤ - المرجع السابق، ص ١٣٣.

إن الشعائر التطهيرية لنذر الطيور تبدو عادة حورية قديمة، ولكن نظراً للافتقار إلى شواهد من المناطق الحورية الشرقية- لا يمكن الجزم فيما إذ كانت عادة شائعة قبل وصول الحوريين إلى سوريا، أم أنهم تبنّوها هناك١.

وقد نشأت فى إطار الميثولوجيا الحورية مصطلحات ذات دلالات محدّدة، كما هى الحال فى بقية المنظومات الميثولوجية والدينية بشكل عام، ومن تلك المصطلحات أن المعبد فى المجتمع الحورى كان يسمى (بيت نَرْمَكْتى) أى (بيت الطهارة)، وكان حامل النجاسة والشر هى (نَكُّشٍّ) ويعنى (المتروك)٢.

وثمّة شَبَهٌ صوتى ودلالى بين كلمة (نَرْمَكْتى) الحورية، وكلمة (نَرْم/ نَرْمِك) Nerm, Nermik الكوردية، وهى بمعنى (الرقّة، اللطف، اللين، النعومة)، وإن كلمة (نَكُّشٍّ) الحورية تشبه صيغةً ودلالةً الكلمةَ الكوردية (نَخاشى nexaşî) بمعنى (مَرَض، ردىء، سيّئ).

إن (نَكُّشٍّ) هذا كان يقوم فى الميثولوجيا الحورية ما يقوم به (تيس الخَطِيّة) و(ثور الخَطِيّة) فى الدين اليهودى، فقد جاء فى (العهد القديم) أن الكاهن الأكبر هارون، أخو النبى موسى، كان يحمّل (ثور الخطيّة) أوزاره وخطاياه، ثم يذبحه ويقدّمه قرباناً إلى الله، وكان يُحمّل (تيسَ الخطيّة) أوزار الشعب وخطاياهم، ثم يذبحه قرباناً لله أيضاً، وجاء فى مكان آخر من العهد القديم أيضاً أن الكاهن الأكبر هارون كان يضع يده على رأس تيس يسمّى (تيس الخطيّة)، ويحمّله أوزارَ الشعب، ثم يرسله بعيداً إلى الصحراء٣.

إن وجود (نَكُّشٍّ) دليل على نشأة بدايات فكرة الصراع بين إله الخير وإله الشر فى الميثولوجيا الحورية، وضرورة وقوف المؤمنين إلى جانب إله الخير، وهذه الفكرة تماثل فكرة وجود إله الشر (أَهْرِيمَن) المعادى لإله الخير (أَهُورامَزْدا) فى الديانة الزردشتية، وتماثل أيضاً فكرة (عَزازيل) الذى يسمّى (إبليس/شيطان) فى اليهودية والمسيحية والإسلامية، والسؤال الذى نجده ملحّاً هو: هل من علاقة بين (نَكُّشٍّ) الحورى، و(تيس الخطيّة) ممثّل (عَزازيل) فى

---

١ – المرجع السابق، ص ١٣٣.

٢ – المرجع السابق، ص ٩٨، ١٠٠، ١٠١، ١١٠، ١٢٣، ١٣٤. فاضل عبد الواحد على: من سومر إلى التوراة، ص ١٥٤.

٣ – الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر اللاوِيّين، الأصحاح ١٦، الآيات ٩ – ١١، ٢١ – ٢٢.

الميثولوجيا العبرانية؟ وهل (تيس الخطيّة) هو امتداد ثقافى لــ (نَكُّشٍّ)؟ ثمة أكثر من دليل يرجّح وجود هذه العلاقة.

إن كلمة 'عَزازيل) لم يتحقق تفسيرها حتى الآن، ولكن قد تفسَّر اعتماداً على شعائر التطهير الحورية، ففى شعائر القَسَم يوصف نذر تطهيرى بكلمة "أَزَزْخُم" وفى شعائر إتْكَلْزى تظهر الكلمة نفسها "أَزُزْخى" مع كلمات تدل على النجاسة غالباً، ولأن اللاحقة (-خى) شائعة جداً فى اللغة الحورية، وهى تدل على النسبة، فإن جذر الكلمة إذاً هو "أَزَز، أَزُز". أما فى اللغات الساميّة فكلمة (عَزازيل) مشتقة من الجذر اللغوى (ع ز ز)، وهو يفيد فى الأكّادية معنى (الغضب)، ويفيد فى العبرية معنى (القوة). وهكذا يمكن اعتبار الكلمة الحورية مستعارة من اللغات الساميّة، ويمكن فهم عبارة "إلى عَزازيل" بأنها تعنى "إلى غضب الإله" اعتماداً على تصوّر دينى موغل فى القِدم يطابق بين الغضب الإلهى والنجاسة السحرى.

وبالنسبة إلى الشعائر المتعلقة بالموتى عند الحوريين، فما يُعرَف عنها قليل جداً، وقد تردّدت الإشارة فى الدراسات كثيراً إلى حرق جثمان الملك الميتّانى پاراتارنا Paratarna (بَرَتَّرْنا)، لكن تبيّن فيما بعد أنه هذا الحكم اعتمد على تفسير خاطئ. وقد مرّ أن الملك الميتّانى تُوشْراتّا ذكر فى رسالة له إلى الفرعون المصرى آمُونْحُوتَب الثالث أنه يريد بناء (كَرَشْك) لجدّه، والأرجح أن المقصود هو معبد للموتى، أو شكل من أشكال الأضرحة الحجرية، ويذكر نصّ من نُوزى تماثيل أرواح الموتى، وهى تدل على اهتمام معيَّن وتقديس خاص للأسلاف الموتى.

أما فيما يتعلق بالشعائر الخاصة بالموتى وعادات الدفن فالمأمول مستقبَلاً أن تكشف التنقيبات فى مناطق الانتشار الحورى فى شمالى بلاد الرافدَين عن شواهد أثرية يمكن استخلاص معلومات مفيدة منها فى هذا المجال[1].

---

١ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ١٣٥.

٦
تأثيراتُ الميثولوجيا الحُوريّة

إن الميثولوجيا الحورية تأثّرت- كما سبق القول- بميثولوجيا بلاد الرافدَين، وأثّرت فى ميثولوجيا الشعوب المجاورة، وهذا أمر طبيعي؛ إذ كان الحوريون يتفاعلون مع شعوب غربى آسيا المجاورة لهم سلماً وحرباً، وسياسةً وثقافةً وتجارةً.

لقد كان بعض تلك الآلهة الحثية حورية الأصل، ومعروفة فى المجمع الإلهى الحورى، ومنها إله الطقس تيشّوب، وزوجته خِيبات (خِبات)، وقد عُبدا فى كومانى بكَبَدُوكْيا وفى حلب وغيرها، وتظهر خيبات سيّدةً محتشمة، تقف أحياناً على أسد، وهو حيوانها المقدس. ومن الآلهة الحورية التى عُبدت فى الأناضول: الإلهة شاوُوشْكا، وكان تعرف بعَشتار، وقد عُبدت فى سُومُوحا، وفى غيرها من مدن مناطق طوروس، ومُثّلت على هيئة مجنَّحة، وهى واقفة على أسد، كما أن الإله الحثى كُومارْبى كان حورى الأصل[١].

وكان ملوك الحثيين، إذا حققوا انتصارات حربية على الحوريين الغربيين (الميتّانيين)، نقلوا بعض الآلهة الحورية إلى معابد الآلهة الحثّية، فحينما احتل الملك الحثّى خاتُّوشيلى مدينة خَشُّو (خَشُّوم)، فى منطقة جبال أَمانوس، نقل آلهة تلك المدينة، مع الأدوات المستخدمة فى الشعائر المتصلة بها، إلى معبد الإلهة الحثّية الكبرى إلهة الشمس (أرينا) فى مدينة أَرِينّا التى تحمل اسمها، وإلى معبد ابنتها الإلهة (مِزُولاّ) فى مدينة خاَتّوشا (بوغاز كُوى حالياً) عاصمة الحثيين.

---

١ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٥٤. فاضل عبد الواحد على: من سومر إلى التوراة، ص ١٥٤. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٥٣٠.

وعدا الحثّيين كان بعض الآلهة الحورية معروفين فى المجتمعات الآرامية السورية، وهذا أمر متوقَّع، فالآراميون جاوروا الحوريين من جهة الجنوب فى البادية السورية، ومرّ أن بعض الجماعات الحورية كانت قد توغّلت فى الداخل السورى، ووصلت إلى فلسطين وجنوبى الأردنّ حالياً (وادى عَرَبة وجبل سَعير)، والدليل على ذلك أن الدين الحورى ذُكر فى معاهدة أُبرمت بين أبّا- إيل Abba – El ملك يَمْحَد (يَمْحاض/ يَمْخَد) وياريم- ليم – Yarim Lim ملك ألالاخ، حيث ورد تضرّعٌ إلى إلهة الشمس الحورية خِبات (خيبات)١.

وبشأن تأثير الميثولوجيا الحورية فى الديانة اليهودية قال جرنوت فيلهلم:

"وقد تكون الأساطير الحورية القديمة تابعت طريقها إلى الخرافات اليهودية؛ كما ينعكس فى قصة أَرْميلوس Armilus عدوّ السيّد المسيح، الذى خلقه الشيطان من تمثال مرمرى لصبيّة حسناء"٢.

وجملة القول أن الدور الحضارى الحورى، فى مجالات السياسة والإدارة والحرب والميثولوجيا، كان واضح التأثير فى شعوب غربى آسيا، وقد لخّص رينيه لابات وزملاؤه ذلك الدور بقوله إن الحوريين ربطوا على صهوة جيادهم بين آشور وأرمينيا والأناضول وسوريا العليا برباط عنصرى وثقافى٣.

ويقول الدكتور أحمد هُبُّو نقلاً عن إينار ڤون سكولار Einar von Schuler:

"خلّف الحوريون آثاراً فنية تدل على تأثّرهم العميق بالحضارة الرافدية، ولا سيّما فيما يتصل بفن النقش على الأختام، إلا أنّ أثرهم الحضارى لا يُنكَر فى نقل الثقافة البابلية وأساطيرهم الدينية إلى المناطق التى استوطنوها، فوصلت عن طريقهم إلى الحثّيين والإغريق، كما تأثّر الحثّيون بطقوسهم الدينية، وبأعيادهم التى كانوا يحتفلون بها فى عاصمتهم خاتُّوشا نفسها، حتى إن الباحثين لم يتوصّلوا إلى أسماء ووظائف الأرباب الحورية إلاّ عن طريق الأساطير الدينية الحثية ومرويّاتها التى تعود إلى أصول حثّية"٤.

---

١ – جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكِّرة، ص ٢٠١.

٢ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ١١٦.

٣ – رينيه لابات وآخرون: سلسلة الأساطير السورية. ص ٨.

٤ – المرجع السابق، ص ٨.

الفَصْلُ السَّابِع

هل الحُورِيّون من أسلافُ الكورد؟

١
تَغْيِيبُ الجُغرافيا الكوردية

مَن وراء تَغييب الجُغرافيا الكوردية؟

قبل البحث في العلاقة بين الحوريين والكورد، نرى من المفيد تناول ظاهرة تغييب الجغرافيا الكوردية في الخطاب الشرق أوسطي. وفيما سبق كنت أعتقد أن هذه الظاهرة تقتصر على المجال السياسي القومي عند كثير من نخب الدول التي أنتجتها اتفاقية (سايكس- بيكو) سنة (١٩١٦ م)، وكانت تلك الاتفاقية صفقة بين القوى الاستعمارية- رأس رمح الرأسمالية حينذاك- من جانب، والبورجوزايات الفارسية والتركية والعربية والمستعربة من جانب آخر، على تقاسم الشرق الأوسط فيما بينها، شريطة أن تبقى تلك البورجوازيات سائرة في ركاب قوى الاستعمار العالمي، وفي مقدّمتها حينذاك: بريطانيا العظمى، وفرنسا، وروسيا.

وبموجب تلك الصفقة تمكّن نُخب الفرس والترك والمستعربين من تأسيس دولهم القومية، وابتلعوا- بموافقة قوى الاستعمار العالمي- أوطان بقية الشعوب العريقة في الشرق الأوسط، وكانت كوردستان من أكبر تلك الغنائم؛ إذ تقاسمتها إيران وتركيا والعراق وسوريا، ومنذ ذلك الحين حرصت أنظمة هذه الدول على تجنّب اسم (الكورد) واسم (كوردستان) في خطابها السياسي، وعملت بكل الوسائل لتغييب الحقوق القومية الكوردية، وليس هذا فحسب، بل مارست هذه الأنظمة أكثر الأساليب مكراً وبشاعة للقضاء على جميع الانتفاضات والثورات الكوردية، ولا نرى داعياً إلى ضرب الأمثلة على ذلك فهي ما تزال حيّة في الذاكرة الغرب آسيوية، وما زالت فصولها مستمرة.

أجل، كنت أعتقد أن ظاهرة تغييب الجغرافيا الكوردية تقتصر على الخطاب السياسى، لكن المدهش أن معظم صنّاع الثقافة فى الدول التى تتقاسم كوردستان شاركوا بدورهم فى تغييب الجغرافيا الكوردية، لكن على طريقتهم الخاصة، والحقيقة أن ما قام به هؤلاء لا يقلّ خطورة عمّا قام الساسة، بل هو بالإجمال ومن المنظور الإستراتيجى أشدّ خطورة، لأن الخطاب السياسى يمكن أن يتبدّل بتبدّل النظام، لكن ما يمرّره صنّاع الثقافة فى الكتب والمجلات والصحف والمناهج التعليمية ووسائل الإعلام، وما يرسّخونه فى الذاكرة الجماهيرية، يبقى ثابتاً ومتجذّراً، ومن الصعب تغييره إلا بعد حملة ثقافية تصحيحية شاملة تستمر عدة أجيال. وبين أيدينا أكثر من مثال على خطورة دور صنّاع الثقافة فى تغييب الجغرافيا الكوردية؛ ولنأخذ مثالين قريبين جداً:

المثال الأول فى العراق: سقط النظام البعثى الشوفينى سنة (٢٠٠٣ م)، وكان قد مارس ضد الكورد فى كوردستان الجنوبية جميع أشكال التغييب، بما فيها الإبادة بالأسلحة الكيميائية، لكن هل تطهّرت الذاكرة الجماهيرية العربية فى العراق من النزعة العنصرية ضد الكورد والقوميات الأخرى فى العراق؟ بالتأكيد لا، والشواهد كثيرة، ليس على ألسنة بقايا النظام البعثى الشوفينى وممارساتهم فقط، وإنما هى تظهر أيضاً بشكل فاقع على ألسنة وفى ممارسات بعض زعماء المعارضة الذين تحالفوا مع الكورد سابقاً ضد النظام البعثى، وفى تهرّبهم من تطبيق المادة الدستورية (١٤٠) بشأن كركوك وغيرها من المناطق الكوردية المحتلة والتى تمّ استيطان العرب فيها.

المثال الثانى فى سوريا: معروف أن الأنظمة الحاكمة فى سوريا منذ الاستقلال عن فرنسا سنة (١٩٤٦ م)، مارست تغييب الجغرافيا الكوردية، وسلّطت عليهم مختلف أشكال الاضطهاد والقمع، ولم تخلُ السجون السورية من معتقلين كورد، وما كان لهم ذنب سوى أنهم تمسّكوا بانتمائهم الكوردى، وطالبوا ببعض حقوقهم الثقافية، وحينما اندلعت الثورة ضد النظام البعثى السورى حوالى منتصف آذار (٢٠١١ م)، وشكّل كثير من المعارضين الإسلاميين والعلمانيين تجمّعات معارضة للنظام السورى البعثى، استبشر الكورد خيراً، وتوقّعو أن يكون أعضاء المعارضة أكثر تفهّماً لحقوق الكورد القومية، لكنهم تَفاجَؤوا بين حين وآخر بمواقف لأقطاب المعارضة لا تختلف كثيراً عن مواقف النظام البعثى السورى، ولا مانع عندهم من الإقرار بوجود الكورد، لكن ما لا يوافقون عليه هو الإقرار بوجود الجغرافيا الكوردية (كوردستان الغربية).

إذاً فالتغييب الذى مارسه صنّاع الثقافة ضد الكورد لا يقّل خطورة عمّا مارسه الساسة، بل هو أخطر، وجدير بالذكر أن صنّاع الثقافة مستويات، والأكثر خطورة هم أولئك الذين يعملون فى مجال التاريخ، لأن هؤلاء يزرعون فى ذاكرة الجماهير وفى العقل الجمعى معلومات

تصبح قناعات راسخة، وتتحوّل إلى مواقف وسلوكيات، وهذا ما فعله كثير من المؤرخين فى غربى آسيا بشأن الكورد، وأخطر ما قام به هؤلاء هو تغييب الجغرافيا الكوردية، والتعتيم على اسم (كوردستان)؛ لأن هذا الاسم يعنى ضمناً أن ثمة وطناً خاصاً بالكورد، وأنه محتلّ، ومن حق الكورد تحريره وإقامة دولتهم عليها.

ن

ماذج مِن تَغييب الجُغرافيا الكوردية:

إن غالبية هؤلاء المؤرخين يتجاهلون ذكر اسم كوردستان الجنوبية فى دراساتهم، ويصرّون على عبارات لا صلة لها بالكورد، منها (شمال العراق) و(المناطق الشمالية الشرقية)، وقد تكون حجّتهم فى ذلك أنه لا توجد فى خريطة الشرق الأوسط الآن دولة اسمها (كوردستان)، هذا صحيح، لكن بما أنهم مختصون فى التاريخ، وعارفون بحقائقه منذ العصور الحجرية، فهل يخفى عليهم أن ثمة شعباً اسمه (الكورد)، يقيم على أرض واسعة مقسَّمة بين إيران وتركيا والعراق وسوريا؟ وهل يخفى عليهم أن هذا الشعب يُشعل ثورة تلو أخرى فى إيران وتركيا والعراق على الأقل؟ فلماذا لا يشار إذاً إلى أن المناطق (الشمالية/الشمالية الشرقية) هى "المناطق الكوردية"؟ وفيما يلى بعض الأمثلة.

يقول الدكتور عبد العزيز صالح بشأن أصل السومريين: " أجداد السومريين هاجروا إلى العراق من المرتفعات الشمالية والشمالية الشرقية التى تحفّ به عن طريق أرمينيا وإيران"١. وهل المرتفعات الشمالية والشمالية الشرقية فى العراق إلا جبال كوردستان الجنوبية؟

يقول الدكتور محمد بَيُّومى مَهْران فى مكان آخر: " إن الموطن الأصلى الذى وفد منه السومريون إنما هو المنطقة الشمالية من التخوم الشرقية (جنوب ديالى)"٢. والسؤال هو: هل هناك مرتفعات- والمقصود: جبال- تحيط بالعراق من الشمال والشمال الشرقى غير جبال جنوبى كوردستان؟

يقول الدكتور إبراهيم الفنّى بشأن أصل السومريين أيضاً: " السومريون هم من الموجات الأولى التى جاءت من شمال العراق (المنطقة الجبلية)، وعبرت إلى بلاد ما بين النهرين"١. وهل المنطقة الجبلية فى شمال العراق إلا منطقة كوردستان الجنوبية؟ وهل كان الكاتب يجهل ذلك؟

---

١ - عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص ٤٤٨.

٢ - محمد بَيُّومى مَهْران: تاريخ العراق القديم، ص ٩٠.

يقول الدكتور سيّد محمود القِمْنى بخصوص موقع مدينة "أُور الكِلْدان" التى تقول المرويّات الدينية العبرانية أن أسرة النبى إبراهيم خرجت منها، أنها "الواقعة فى أقصى الطرف الجنوبى الغربى لبلاد الرافدين حسبما ذهب الباحثون، والتى ذهبنا نحن بها إلى منطقة (أرارات) فى جبال (أرمينيا) حول هضبة أرارات وغربها، أى المنطقة الواقعة شمالى العراق وسورية الآن"[٢]. ومع أن القسم الأكبر من جبل أرارات إن لم يكن كله يقع فى شمالى كوردستان، إلا أن الكاتب تجاهل ذلك، وجعله فى أرمينيا، وغيّب المناطق الكوردية وراء عبارة " شمالى العراق وسورية".

يقول الدكتور محمد بيُّومى مَهْران بشأن الگوتيين (الجوتيين): " لا ريب فى أن معلوماتنا عن الجوتيين هؤلاء إنما هى جدّ قليلة، فالتاريخ لا يعرف عنهم سوى أنهم من أهل الجبال، وربما كانوا من أهل الجبال الشرقية أو الشمالية الشرقية، وقد نُسبوا إلى إقليم شَهْرَزُور الذى ارتبط فيما بعد باسم (اللولوبيين)، أو هم من القبائل الهمجية التى كانت تستوطن أواسط زاغروس"[٣]. إن "الجبال الشرقية أو الشمالية الشرقية"، وكذلك " إقليم شَهْرَزُور)، و"أواسط زاغروس"، جميعها مناطق كوردية تقع فى جنوبى كوردستان، لكن الباحث تجاهل ذكر الكورد.

يقول الدكتور توفيق سليمان: "القبائل الجوتية جزء من اللولوبيين الذى كانوا يقطنون بعض مناطق زاغروس فى الجزء الشمالى الشرقى من بلاد النهرين"[٤]. وما "الجزء الشمالى الشرقى من بلاد النهرين" هذا إلا كوردستان الجنوبية.

يقول الدكتور عبد الحميد زايد بشأن الحوريين: " الحوريون هم من الجماعات التى تألّف منها خليط الهِكسوس، وهم شعب ليس بالسامى ولا بالهندى أوربى، ولا زلنا لا نعلم عن أصله أىَّ شىء، وجاؤوا من المرتفعات الواقعة شمال شرقى الهلال الخصيب، بين بحيرة أُورميا وجبال زاجروس، ودخل هؤلاء، فى أواخر القرن الثالث عشر، شمال بلاد الرافدين، ثمّ اتجهوا إلى سورية، وأسّسوا إحدى الممالك القوية هناك"[١]. وهل "المرتفعات الواقعة شمال شرقى

---

١ - إبراهيم الفنّى: التوراة، ص ٣١٩.

٢ - سيّد القِمْنى: إسرائيل، ص ٩٥. وانظر سيّد القِمْنى: النبى موسى وآخر أيام تل العَمارِنَة، ج ٢، ص ٢٥٥.

٣ - محمد بيُّومى مَهْران: تاريخ العراق القديم، ص ١٦١.

٤ - توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ١٤٠.

١ - عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٣٧٣.

الهلال الخصيب، بين بحيرة أُورميا وجبال زاجروس" و"شمال بلاد الرافدين " إلا المناطق التى يقيم فيها الكورد الآن وأقام فيها أسلافهم منذ العصور الحجرية؟

والغريب أن بعض المؤرخين الأوربيين مارسوا أيضاً عملية تغييب الجغرافيا الكوردية فى دراساتهم، وفيما يلى بعض النماذج:

يقول جماعة من العلماء السوفييت (روسيا الآن): "نَرى بين الأقطار التى كانت ترسل بانتظام جزية مؤلّفة من الخيول، عدداً من مناطق شمالى العراق والمناطق الجبلية بما فى ذلك بيت زامانى (٩٢) وزاموا(٩٣) ومات ـــ منّاى(٩٤)"١، وقد تجاهل هؤلاء السادة العلماء أن جميع المناطق التى ذكروها كوردية.

يقول هارى ساغز: "هناك دلائل تشير إلى أن الحوريين أتوا من الشمال إلى منطقة ما بين النهرين، وربما من مرتفعات ميديا"٢. وهل شمال منطقة الرافدين ومرتفعات ميديا إلاّ جبال كوردستان الوسطى؟

يقول موريس كُروزَيه: "ونجد الحوريين، فى أزمنة مختلفة، فى كل نواحى بلاد الرافدين الشمالية الممتدة من جبال زاغروس حتى شواطئ البحر الأبيض المتوسط السورية"٣. وهل النواحى التى يشير إليها الكاتب إلا مناطق كوردية صِرف، أو مناطق تسكنها أغلبية كوردية؟

يقول جين بوترو: "علينا ألاّ نستهين بنسبة السكان الخوريين فى شمال وادى الرافدين وشمالى سوريا"٤. وهل المناطق المذكورة إلاّ كوردية صرف، أو مناطق تسكنها أغلبية كوردية؟

تساؤل وتوضيح:

قد يقال: إن المعلومات التى أوردها المؤرخون ترجع إلى ما قبل الميلاد بأكثر من ألفى عام، فهل كانت توجد حينذاك منطقة اسمها (كوردستان) كى ينصّ المؤرخون على اسمها؟ بالطبع الجواب هو: لا، لكن إذا كان هذا هو المعيار، فلماذا لم يلتزمه السادة الباحثون بشكل دائم؟ إنهم يقولون

---

١ – جماعة من علماء الآثار السوفييت:العراق القديم، ص٤٠٧.

٢ – هارى ساغز: عظمة آشور، ص ٥٢ – ٥٣.

٣ – موريس كروزيه: تاريخ الحضارات العام، ٢٠٣/١.

٤ – جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكِّرة، ص ٢٠٠.

"شمال العراق"، و"العراق"، و"سورية"، و"شمال سورية" و"سورية"، و"إيران"، و"أرمينيا"، فهل كانت توجد حينذاک دول أو على الأقل مناطق بهذه الأسماء؟ بالطبع الجواب هو: لا.

إن اسم العراق بصيغته العربية ظهر مع الغزو العربى الإسلامى فى القرن النصف الأول من القرن السابع الميلادى، و لم يكن للعرب حينذاک وجود فى شرقى الفرات، و لم يكن العراق عربياً قطّ، وإنما تعرّب فى القرون التالية. و لم يصل الأرمن إلى المنطقة التى تسمّى الآن (أرمينيا) إلا فى القرن السابع ق.م، وكانت البلاد تسمّى حينذاک هاياسا Hayasa نسبة إلى الحثيين، و لم يظهر اسم أرمينيا إلاّ فى الفترة (٥٥٠ — ٥٢١ ق.م). وظهر اسم سوريا فى كتابات المؤرخ اليونانى هيرودوت (عاش بين ٤٩٠ أو ٤٨٠ — ٤٢٥ ق.م). أما اسم إيران فلم يظهر إلا فى النصف الأول من القرن العشرين بعد أن تولّى رضا بَهْلَوى السلطة[١].

إذاً ها نحن نرى أن السادة الباحثين لا يتردّدون فى استخدام أسماء حديثة لمناطق ما كانت معروفة بها قبل الميلاد بألفى عام على الأقل، فما بالهم يتجنّبون ذكر اسم كوردستان، أو عبارة (المناطق الكوردية)؟ وبما أنهم متخصصون فى مجال التاريخ فهل خفى عليهم أن قسماً كبيراً من بلاد الكورد كان يسمّى رسميّاً (كوردستان) منذ عهد السلطان السلجوقى سَنْجَر بن مَلِكْشاه بن أَلْب أرسلان (ت ٥٥٢ هـ، أو ٥٥٥ هـ)، وسجّله حَمَد الله المُسْتَوْفى القَزْوِينى بهذا الاسم فى كتابه عام (٧٤٠ هـ = ١٣٤٠ م)؟ وهل خفى عليهم أن قسماً كبيراً من كوردستان الشمالية حمل بشكل رسمى اسم (كوردستان) فى العهد العثمانى خلال القرن (١٦ م)[٢]؟

وإذا كان قد خفى ذلک على هؤلاء السادة الباحثين- وهذا غير لائق بهم- فهل خفى عليهم أن سكان المناطق التى سمّوها (شمالية، شمالية شرقية، شمال العراق، شمال سوريا) هى وطن الكورد وأسلافهم منذ ما قبل الميلاد؟ ألم يسمعوا بالثورات التى فجّرها الكورد فى القرنين (١٩، ٢٠ م) هناک ضد الحكومات الفارسية والعراقية والتركية؟ لا أعتقد أنهم كانوا يجهلون ذلک، فلماذا إذاً تحوّل اسم الكورد وكوردستان فى كتاباتهم إلى تابو يُحرَّم النطق به؟ وهل من تفسير منطقى لهذا التابو سوى أنه نتاج النزعة القومية الشوفينية التى انتشر وباؤها فى الشرق الأوسط خلال القرن العشرين، وحمل لواءها كثيرون من ساسة ومثقفى الفرس والعرب والترک؟

---

١ - مروان المُدَوَّر: الأرمن عبر التاريخ، ص ٨٢، هامش (٢)، ١٠٦. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٢٣٥.

٢ - شرف خان بدليسى: شرف نامه، ١٢/١. وانظر ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ٢٢٢/١١. جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ١١٧/١. إبراهيم بک حليم: تاريخ الدولة العثمانية، ص ٧٣ — ٧٤.

٢

تَبْشيعُ صُورة أَسلاف الكورد

ظاهرة تشويه صورة أسلاف الكورد هى البديل الإقصائى الإستراتيجى لظاهرة تغييب الكورد وكوردستان، أجل، إن ترسانة الأنظمة التى تتقاسم كوردستان وتستعمر الكورد مدجَّجة بجميع أنواع الأسلحة الفتّاكة، وفى حال بَطُلت فاعليةُ سلاحٍ ما فسرعان ما يحلّ سلاح آخر محلّه، وبما أن حقائق التاريخ تستعصى على التغييب أحياناً كثيرة، فقد لجأ صنّاع الثقافة الشرق أوسطيون القومويون إلى سلاح تبشيع صورة الكورد أسلافاً وأحفاداً؛ ليس فى الذاكرة الشرق أوسطية فقط، بل فى الذاكرة العالمية أيضاً، ولهم فى هذا المجال أساليبهم الخاصة، وفيما يلى بعضها.

توصيفات إقصائيّة:

يُفترَض فى المؤرخ أن يكون حيادياً فى سرد المعلومات التاريخية، وألاّ يُخرجها من سياقاتها الواقعية، ولا يُجرى عليها إسقاطات قومية أو دينية أو طائفية أو قَبَلية، وحريٌّ به أن يتيح الفرصة للقارئ كى يصل إلى النتائج المنطقية، كقول جرنوت فيلهلم بشأن الحوريين: "وُجد الحوريون فى شمالى سوريا منذ نحو ٢٢٠٠ ق.م"[١].

لكن المؤسف أن لكثير من صنّاع الثقافة التاريخية الشرق أوسطيين سلوكيات تثير الاستغراب، إن معظمهم يتناول التاريخ وهو متخندق قومياً أو دينياً أو طائفياً أو قَبَلياً، ويتناول حقائق التاريخ من منظور ثنائية (صديق/عدوّ)، وانطلاقاً من هذه الثنائية يتعاملون مع الحدث

١ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ١٠٧.

التاريخى، وفى إطار هذه الثنائية كان للكورد نصيب كبير من حملات التبشيع، ومن الطبيعى ألاّ ينجو أسلافهم من تلك الحملات.

وكنا قد تناولنا فى الفصل الأول، بقدر من التفصيل، طبيعةَ الصراع بين أقوام الصحراء الذين عُرفوا باسم (الساميّين) من جهة، وأقوام الجبال الذين عُرفوا باسم الزاغروس- آريين من جهة أخرى، إنه لم يكن صراعاً عسكرياً فقط، بل كان صراعاً ثقافياً واقتصادياً أيضاً، وكان موضوع الصراع هو سهول بلاد الرافدَين (العراق حالياً) والنصف الشمالى من سوريا الحالية، وفى كل مرحلة من مراحل التاريخ كان شعبٌ ما من كلا الفريق يتولّى قيادة الصراع ضد الفريق الآخر.

والحقيقة أن ذلك الصراع لم يقتصر على الأزمنة القديمة، بل ظل مستمراً طوال التاريخ، ومنذ النصف الأول من القرن السابع الميلادى تولّى العرب المسلمون قيادة الصراع من الجانب الصحراوى (السامى)، وتولّى الفرس ومعهم الكورد قيادة الصراع من الجانب الجبلى (الزاغروس- آرى)، وما زال الصراع قائماً بين الفريقين فى العراق وسوريا، إنه لمّا ينتهِ، وهو يدورحالياً بشأن المستوطنات التى أقامتها الأنظمة المستعربة فى الأراضى الكوردية فى كوردستان الجنوبية وكوردستان الغربية.

وقبل القرن السادس ق.م كان أسلاف الكورد الزاغروس- آريون (گوتى، لوللو، كاشّو، حورى، ميدى) يتولّون قيادة الصراع من جانب أقوام الجبال، وكان الأكّاديون، والآشوريون (وهم فى الغالب ذوو ثقافة سامية، وليسوا ساميين خُلَّصاً) والأموريون (بما فيهم البابليون)، والآراميون (بما فيهم الكلدان والسريان)، يتولّون قيادة الصراع من جانب أقوام الصحراء، فكيف تعامل المؤرخون القومويون العرب والمستعربون مع أحداث ذلك الصراع الطويل والشامل؟

من الأمور الواضحة للعِيان أن كثيراً من هؤلاء السادة المؤرخين حينما كانوا يعرضون المعلومات الخاصة بزحف أقوام الصحراء على سهول بلاد الرافدين وسهول سوريا واحتلالها والاستيطان فيها؛ كانوا يقدّمون تلك المعلومات من منطلق أن ذلك الانتشار كان حقاً طبيعياً لأولئك الأقوام، ولذلك لا نجدهم يستخدمون العبارات الإقصائية حينما يسردون أخبار انتشار الصحراويين فى بلاد الرافدين وسوريا، ويفعلون العكس حينما يصل الحديث إلى انتشار الأقوام الجبلية، وهم فى معظمهم أسلاف الكورد، وفيما يلى بعض الأمثلة.

وصف الدكتور توفيق سليمان الگُوتيين بعبارة (التوحش) قائلاً: "وكانت هذه القبائل من أشرس أعداء الأكّاديين، وأكثرهم استعداداً لتدمير امبراطوريتهم... لقد كان الهجوم الجوتى

على أواسط وجنوب بلاد ما بين النهرين من أسوأ ما عرفته هذه البلاد من كوارث خلال تاريخها الطويل؛ إذ نهب هؤلاء المتوحّشون معابدَها وقصور ملوكها، ومنازلَ سكانها"١.

وصف الدكتور توفيق سليمان قوم لوللو بعبارة (متوحِّشة)، وذكر أن الملك الأكّادى نارام سين قاد حملة ضد القبائل اللولوبية، وصوّر ذلك فى كتابة له انتصاره "على هذه القبائل المتوحِّشة، ومطاردته فلولها فى أعالى الجبال الوعرة المسالك"٢.

منح الدكتور توفيق سليمان وصف (همجية) لقوم لوللو الزاغروسيين قائلاً: "فى الجهة الشمالية والشمالية الشرقية من منطقة سِيِّار تقع أرض الدِّيالى التى كانت القبائل (اللولوبية) الهمجية تقطن بعض بقاعها، حيث قَدِمتْ إليها من المناطق الجبلية الشمالية، وعُرفت أشهرُها بالجوتية"٣.

استعمل الدكتور محمد بَيُّومى مَهْران وصف (الهمجية) فى حديثه الگوتيين، فقال: "فالتاريخ لا يعرف عنهم سوى أنهم من أهل الجبال، وربما كانوا من أهل الجبال الشرقية أو الشمالية الشرقية، وقد نُسبوا إلى إقليم (شَهْرَزُور) الذى ارتبط فيما بعد باسم (اللولوبيين)، أو هم من القبائل الهمجية التى كانت تستوطن أواسط زاجروس فى منطقة هَمَذان"٤.

استعمل الأستاذ عبد الحكيم الذَّنُّون فى وصف الگوتيين عبارات (أجنبى، احتلال، بدائية، همجية، تخلّف، تدمير، نهب، ظلامية، مع حرصه على تسمية بلاد الرافدين باسم العراق)، وتعريب اسم أرّابخا إلى (عَرابْخا)، فقال: "الكوتيون أقوام جبلية أجنبية، نزحت فى حدود (٢٢١٠ ق.م) من المنطقة الشرقية لجبال زاجروس من أطراف لُورسْتان، وانحدرت نحو سهول العراق الخصبة، واتخذت عَرابْخا (منطقة كركوك حالياً) مركزاً لحكمها، ثم احتلت بلاد سومر وأكّاد، ولم يُعرف للكوتيين حضارة قديمة تُذكر قبل نزوحهم واحتلالهم العراق، وعندما قدموا كانوا فى حالة كبيرة من البدائية والهمجية والتخلّف، واسم الكوتيين أطلقه عليهم سكان وادى الرافدين، وكان همّ الكوتيين الأوّل والأساسى هو تدمير البلاد، ونهْب الثروات والموارد، فكان عهد احتلالهم لوادى الرافدين فترة مظلمة دام زهاء (٩٤) عاماً"١.

---

١ – توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ١٤٠.

٢ – المرجع السابق، ص ١٣٢.

٣ – المرجع السابق، ص ١١٨.

٤ – محمد بَيُّومى مَهْران: تاريخ العراق القديم، ص ١٦١.

١ – عبد الحكيم الذَّنُّون: الذاكرة الأولى، ص ٧٩.

استعمل فِراس السَّوّاح بشأن الحوريين عبارتَى "التسرّب والاستغلال"، فيقول: "الحوريون شعب هندوأوربى، بدأوا بالتسرب إلى مناطق سوريا الشمالية والجزيرة العليا منذ أوائل الألف الثانى قبل الميلاد، واستغلّوا ضعف السلطة فى وادى الرافدين لتشكيل ممالک هناک، وأهمها مملكة ميتّانى التى ازدهرت فى أواسط الألف الثانى قبل الميلاد فى حوض نهر الخابور"١.

استخدم الدكتور أحمد ارْحَيِّم هُبُّو عبارتى "غربة، وتسلّل" فى وصف أسلاف الكورد ومنهم الحوريون، فقال: "غزت الشرق القديم الأدنى القديم شعوبٌ قَدِمت من جهات الجبال الشرقية والشمالية غريبة فى لغاتها وعاداتها ومعتقداتها، ولا تَمُتّ إلى سكان المنطقة بصِلة من القرابة، بدءاً من الربع الأخير من الألف الثالث قبل الميلاد، فوصلت جماعاتٌ منهم تَدعوها المصادر المحلية (جوتيين) إلى بلاد بابل، وحكمتْ البلادَ حوالى مئة عام بعد انهيار الإمبراطورية الأكّادية. ثم ظهرت جماعاتٌ أخرى تسلّلت من تلک المناطق نفسها سلمياً إلى بلاد الرافدين وسورية، وهم الحوريون الذى يربط الباحثون بينهم وبين سكان المنطقة الواقعة حول بحيرة ڤان"٢.

المثير للاستغراب أكثر أن الدكتور أحمد هُبّو- وهو من خرّيجى الثقافة القوموية الإقصائية التى سادت فى سوريا بدءاً منذ سنة (١٩٥٨ م)- استعمل عبارة "غرباء عن المنطقة" بشأن انتشار الحوريين فى شمالى سوريا، و لم يستخدم العبارة نفسها فى الحديث عن توسّع المصريين فى سوريا، مع العلم أن جبال كوردستان أقرب إلى سوريا بكثير من مصر الواقعة فى قارة إفريقيا، إنه يقول:

"كانت أَلالاخ وحلب وأُوغاريت وما يجاورها من مناطق فى سورية الشمالية والجنوبية، محلَّ طمع القوى الكبرى فى الشرق دائماً، ولعل أهمّ الصراعات حول سورية فى تاريخها القديم كان بين دولة الحوريين- الميتّانيين الغرباء عن المنطقة، وإن أقاموا دولتهم فى الجهات الشمالية الشرقية منها، وبين المصريين فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، بدءاً من عهد الملک تُحوتْمُس الأول، وانتهاء فى عهد تُحوتْمُس الرابع"٣.

استخدم الدكتور عبد الحميد زايد أيضاً عبارة "تسلّل" بشأن انتشار الحوريين فى جنوبى آسيا الصغرى التى يسمّيها "شبه الجزيرة"، فقال: "لقد كان الحوريون أمّة غيرَ معروفة، فيما وراء المرتفعات الشرقية فى السنوات الأولى لظهور مملكة خاتُّوشا، وحتى بعد عام (١٥٥٠

---

١ - فراس السوّاح: الحدث التوراتى والشرق الأدنى القديم، ص ٤٤..

٢ - أحمد هُبُّو: تاريخ الشرق القديم (سوريا)، ص ١١٦.

٣ - المرجع السابق، ص ١٨٢.

ق.م) لم يتمكّنوا من التأثير على الحثيين، والظاهر أنهم بدأوا يتسللون إلى الأجزاء الجنوبية من شبه الجزيرة التى كانت آهلةً باللولوبيين من قبل"١.

استخدم الدكتور عبد العزيز صالح عبارة (التسلل) بشأن انتشار الآريين (كاشّو/كاسّى، حورى، حثّى)، إضافة إلى عبارات التبشيع (مرتزقة، طمع، تربّص)، فقال: "وأحسّت دولة بابل بتسلّلات الكاسيين والحوريين والخاتيين، ولكن أقربهم خطراً عليها كانوا الكاسيون الذين أدّوا فى مرتفعات العراق دور الجوتيين القدماء، واستطاعت جيوش حمورابى وجيوش خلَفه سَمْسُو إيلونا أن تردّ خطرهم، فانكسرت حِدّتهم إلى حين، واكتفوا بالتسلل السلمى البطىء إلى مدن العراق المتحضّرة وعملوا فيها أُجَراء مُرتزَقة، بينما ظلّت قبائلهم الكثيفة الطامعة فى الخيرات والسيطرة تتربّص بدولة بابل الدوائر"٢. وفعل الدكتور محمد بَيُّومى مَهْران الأمر نفسه٣.

توصيفات تجميليّة:

مرّ أنه منذ الألف الثالث ق.م نشب الصراع بين أقوام جبال كوردستان وأقوام صحراء شبه الجزيرة العربية للسيطرة على المناطق السهلية فى بلاد الرافدين وسوريا والاستقرار فيها، وللسيطرة أيضاً على شبكة الطرق التجارية الدولية المتفرعة عن طريق الحرير وطرق البخور التجاريين، وكان كل فريق يعمل لانتزاع الأرض من أيدى الفريق الآخر، ولا ريب فى أن كل فريق كان يستعمل قدراً ما من العنف- قلّ أو كَثُر- فى ذلك الصراع، ومرّ بنا قبل قليل أن السادة المؤرخين استرسلوا فى وصف أقوام الجبال بعبارات اتهامية لا تخلو من بشاعة (غرباء، تسلّل، توحّش، همجية، بدائية، تخلّف، مرتزَقة، طمع).

والمعروف أن أقوام الصحارى العربية هم أكثر عنفاً وفظاظة بكثير من أقوام جبال زاغروس، ولا يخفى أن جبال زاغروس لا تخلو من السهول والوديان والينابيع والأنهار، وهى غنيّة بالنباتات والأشجار، إضافة إلى أن نسبة تساقط الأمطار والثلوج فيها عالية، وهى كافية

---

١ - عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٤٥٤.

٢ - عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص ٥٥٥.

٣ - انظر محمد بَيُّومى مَهْران: تاريخ العراق القديم، ص ٢٩٨.

لإنتاج المحاصيل والثمار والمراعى، وتأمين ضروريات الحياة من الماء والغذاء لسكّانها وإنْ كان فى الحدود الوسطى.

أما الصحراء فالمعروف جيّداً أنها تفتقر إلى أهم ركنين ضروريين لتأمين الغذاء والماء، هما التربة الخصبة وتساقط الأمطار والثلوج، ومعروف أن شبه جزيرة العرب كانت وما زالت تفتقر إلى الأنهار، ولذلك فإن غزو أقوام الصحراء لبلاد الرافدين وسوريا كان دفاعاً عن الوجود، وفراراً من (جغرافيا الجوع) إلى (جغرافيا الشِّبَع)، وكانت المسألة بالنسبة إلى أقوام الصحراء مسألة حياة أو موت.

وإذا جمعنا الحاجة إلى السيطرة على جغرافيا الشِّبَع مع حقيقة أن نسبة العنف والفظاظة فى ثقافات أقوام الصحراء أعلى بكثير منها فى ثقافات أقوام الجبال، اتضح لنا أن أقوام الصحراء (أكّاديون، أموريون، آشوريون، آراميون) ما كانوا يحملون الورود حينما غزوا بلاد الرافدين وسوريا، وإنما كانوا يحملون السيوف والرماح، وقدراً هائلاً من البطش والعنف، وإن كلّ من يراجع أحداث الغزوات العربية الإسلامية فى القرن السابع الميلادى يدرك ذلك الكمّ الهائل من البطش الذى مارسه الغزاة، فإذا كان هذا فى القرن السابع الميلادى، إذاً كم كانت نسبة البطش والعنف الذى مارسه الأكّاديون والأموريون وغيرهم قبل ذلك بقرون كثيرة؟

لكن المثير للعجب أن السادة المؤرخين القومويين كانوا فى غاية اللطف حينما تناولوا أحداث انتشار أقوام الصحراء فى بلاد الرافدَين وسوريا، و لم يقتربوا من استعمال التوصيفات الإقصائية والتبشيعية التى أسرعوا إلى استعمالها فى وصف الأقوام الزاغروس- آريين، وأقصى ما استعمله بعضهم هو وصف (احتلال) لا أكثر، وفيما يلى بعض الشواهد.

قال الدكتور توفيق سليمان بشأن المملكة الأكّادية: "انطلق ملوكها من إطار دويلة المدينة الضيّق، ومن القوقعة الإقليمية، إلى خارج الحدود الجغرافية للممالك الصغيرة ذات الإمكانيات المادية والبشرية المحدودة؛ إذ أسّسوا مملكة كبيرة واسعة مترامية الأطراف، يحقّ لنا أن نعتبرها أول امبراطورية عرفها التاريخ، وخضعت لنفوذها شعوب عديدة وقبائل كثيرة، منها المستقر فى دول المدن والممالك الصغيرة ذات الحضارات المتطورة، ومنها البدو الرحّل بين منطقة وأخرى، ومنها الهمجى الغريب القابع على سفوح الجبال"[١].

١ - توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ١٣٥.

أرأيتم كيف استعمل الدكتور توفيق عبارة (انطلق) وليس (غزا، تسلّل)، وعبارة (خضع) وليس (أخضع)؟ وأرأيتم كيف مرّ بموضوع تأسيس الإمبراطورية الأكّادية دون أن يذكر أوطان السومريين وأوطان أقوام جبال زاغروس التى احتلّها الأكّاديون، ومارسوا فيها أبشع أنواع النهب والسلب والتدمير والتقتيل وكأنما كلٌّ ذلك حقٌّ مباح للأكّاديين؟ وأرأيتم كيف أسرع الباحث إلى استعمال عبارات "الهمجى الغريب القابع على سفوح الجبال" حينما تعلّق الأمر بأقوام جبال زاغروس (گوتى، لوللو)؟

قال الدكتور عامر سليمان وزميله الأستاذ أحمد مالك الفِتْيان بشأن غزو الأموريين لميزوپوتاميا: "إن الأموريين هم أكبر البطون العربية التى استوطنت أجزاء مختلفة من بلاد الشام، وفى مدّة قصيرة استطاعوا أن يؤسّسوا سلالاتهم فى سوريا والفرات الأوسط وفى العراق وفى آشور"[١].

قال الدكتور محمد أبو المَحاسِن عُصفور: "مع حلول القرن العشرين قبل الميلاد أصبحت منطقة الفرات الأوسط أمورية فى سكانها وحضارتها وحكومتها، وأسّسوا دولة عاصمتها مارى جنوبى مصبّ نهر الخابور فى الفرات، وانتشرت إماراتهم من آشور شمالاً إلى لارسا جنوباً، ومن البحر المتوسط غرباً إلى مرتفعات عيلام شرقاً"[٢]. ومن الواضح أن هؤلاء السادة الباحثين يتعاملون بكل تهذيب مع الغزو الأمورى، ولا يستعملون أية عبارة إقصائية اتّهامية.

وقد أدرك الدكتور عامر سليمان وزميله الأستاذ أحمد مالك الفِتْيان أن من الصعب إخفاء عنف الدولة الآشورية وبطشها بالشعوب، فهى مذكورة فى جميع الكتب الدائرة حول تاريخ غرب الشرق الأوسط القديم، بل هى مذكورة على ألسنة معظم ملوك آشور أنفسهم، فعمدا إلى التخفيف والتلطيف، وإلى تبرير بطش دولة آشور بالشعوب، وتبرئتها من الوصف بالهمجية، فقالا:

"وفى الوقت الذى لا ننكر فيه أن الآشوريين كانوا شعباً طغت عليه الناحية الحربية فى معظم عهوده التاريخية، وبرزوا فى هذه الناحية بروزاً واضحاً، ... إلا أننا نؤكد بأن الآشوريين لم يكونوا من الأقوام الحربية الهمجية البربرية التى فتكت بالشعوب الآمنة، ودمّرت الحضارات، إشباعاً لرغبة فى نفوس الحكام، كالمَغُول مثلاً، بل إن الظروف السياسية العامّة

---

١ – عامر سليمان، وأحمد مالك الفِتْيان: محاضرات فى التاريخ القديم، ص ٣٣٧.

٢ – محمد أبو المَحاسِن عُصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص ٢٧٧.

التى أحاطت بالدولة الآشورية، والتحركات العِرقية الواسعة التى اجتاحت المنطقة أَمْلَت على الدولة الآشورية اتّباع سياسة عسكرية خاصة، فى سبيل المحافظة على حدودها، وضمان سيادتها، وتأمين طرق مواصلاتها التجارية، وذلک فى حال فشل الطرق السلمية المتيسرة آنذاک"١.

ولماذا هذا الدفاع الحارّ عن العنف الآشورى والبحث عن الأعذار له؟

لأن السادة المؤرخين- خرّيجى الثقافة القوموية المتطرفة- يعتبرون الآشوريين كالأموريين فرعاً من العرب، يقول الدكتور عامر سليمان والأستاذ أحمد مالک الفِتْيان: "فالآشوريون هم فرع من الأقوام العربية القديمة التى خرجت من شبه الجزيرة العربية، وانتشرت فى مناطق الهلال الخصيب المخلتفة"٢.

وقال الدكتور محمد بَيُّومى مَهْران بشأن أصل الآشوريين: "الراجح أنهم من شعبة ساميّة، هاجرت من شبه الجزيرة العربية- الموطن الأول للساميّين- ومن ثَمّ فلم يكن الآشوريون بالأقوام الغريبة والأجنبية عن معظم سكان العراق الآخرين الذين عاشوا قبلهم أو بعدهم، فهم ينتمون إلى الأصول نفسها، وإلى الشجرة ذاتها التى تفرعت عنها الأقوام الأكّدية والبابلية (الأمورية) والكلدية والآرامية والعربية"٣.

ولولا اعتقاد هؤلاء السادة الباحثين وكثيرين غيرهم بأن الآشوريين ساميّون، ولو لم يصنّفوهم ضمن الانتماء العروبى، أو لو علموا يقيناً أن الآشوريين فرع من الزاغروس-آريين حسبما ذكرنا فى الفصل الثانى، لكان لهم موقف آخر، ولما تردّدوا فى أن يطلقوا عليهم الأوصاف الإقصائية الاتّهامية البشعة التى وصفوا بها الزاغروس- آريين الآخرين.

والحقيقة أن ما كتبه السادة المؤرخون القومويون بشأن الغزو الكنعانى والآرامى لسوريا والغزو الكلدانى لبلاد الرافدين، شبيه جداً بموقفهم من غزوات الأكّاديين والأموريين والآشوريين، إنهم تعاملوا مع غزوات هذين الشعبين بتعاطف وتهذيب بالغ، وبعيداً عن العبارات الملغومة، وسبب ذلک أنهم يعتبرون الكنعانيين والآراميين ساميين وعرباً، وفيما يلى بعض الأمثلة.

---

١ - عامر سليمان، وأحمد مالک الفِتْيان: محاضرات فى التاريخ القديم، ص ١٧٢.

٢ - المرجع السابق، ص ١٧٠.

٣ - محمد بَيُّومى مَهْران: تاريخ العراق القديم، ص ٣٢٤.

قال الدكتور عامر سليمان والأستاذ أحمد مالک الفِتْيان بشأن الغزو الكنعانى لسوريا وفلسطين: "الكنعانيون عرب استقرّوا فى السواحل من بلاد الشام"[1].

قال الدكتور أحمد ارْحَيِّم هُبُّو بشأن الغزو الآرامى: "القبائل الآرامية هى الموجة الثالثة من الهجرات السامية، وانتشرت فى بلاد الشام وبلاد الرافدين، قُبيل منتصف الألف الثانى قبل الميلاد"[2].

قال الدكتور محمد بَيُّومى مَهْران بشأن الغزو الكلدانى لبلاد الرافدين: "وتمكّنت قبائل كلدو من التمدد إلى جنوب العراق حتى الخليج العربى"[3]. هكذا إذاً فهو تمدّد برىء، وليس تسلّلاً ولا غزواً ولا احتلالاً ولا همجية.

وجملة القول أن السادة المؤرخين القومويين- وهم الذين احتكروا صناعة الثقافة التاريخية فى المكتبة العربية- ينطلقون فى تعاملهم مع الحدث التاريخى من منطلق عروبى قوموى متطرف، ومن ثنائية (صديق/عدوّ)، ومن هذا المنظور القوموى الإقصائى لطّفوا وجمّلوا صورة أقوام الصحراء، وشوّهوا وبشّعوا صورة منافسيهم الزاغروس- آريين، والأرجح أن السادة المؤرخين القومويين الفرس والترک لا يختلفون عن السادة المؤرخين العرب والمستعربين فى هذا المجال، ونكتفى أخيراً بما قاله الدكتور عامر سليمان والأستاذ أحمد مالک الفِتْيان:

"وقد ظل الأقوام العربية القديمة فى العراق (الأقوام الأكّادية، والأمورية، والآشورية، والآرامية) تلعب دوراً قيادياً فى البلاد حتى نهاية الدولة البابلية الحديثة، وسقوط بابل فى (٥٣٩ ق.م)، وباستثناء بعض الفترات التى خضع فيها العراق لحكم الأقوام الأجنبية الغازية، كالأقوام الگوتية والكاشّية، فقد كان الحكم فى العراق فى جميع العهود بيد الأقوام العربية هذه"[1].

---

١ – عامر سليمان، وأحمد مالک الفِتْيان: محاضرات فى التاريخ القديم، ص ٣٤٢.

٢ – أحمد هُبُّو: تاريخ الشرق القديم (سوريا)، ص ١٠٦.

٣ – محمد بَيُّومى مَهْران: تاريخ العراق القديم، ص ٤٣٨.

١ – عامر سليمان، أحمد مالک الفِتْيان: محاضرات فى التاريخ القديم، ص ١٠٦.

٣
صِناعةُ الذّاكرةِ الشَّرق أوسطيّة

تقوم معرفة تاريخ العالم وتكوين الثقافة التاريخية على ركنين:

الأول هو حقائق التاريخ كما هى.

والثانى هو طريقة عرض حقائق التاريخ.

فمن هم الذين تولّوا إنتاج الثقافة التاريخية الشرق أوسطية فى العصر الحديث؟ ومن هم الذى صنعوا الذاكرة الجمعية الشرق أوسطية؟ الحقيقة أن صنّاع الثقافية التاريخية والذاكرة الجمعية فى الشرق الأوسط فريقان:

أولاً – المؤرّخون الفُرس والتُّرك والمستعرِبون:

معروف أن الأنظمة القوموية الشوفينية الترعة هى التى سادت فى إيران وتركيا والبلاد المستعربة خلال القرن العشرين، وجدير بالذكر أن هذه الأنظمة القوموية هى أولاً وأخيراً سليلة إمبراطوريات غَزَوية توسّعية، سيطرت كلٌّ منها طوال قرون على معظم مناطق الشرق الأوسط، وأنتجت قدراً كبيراً من ثقافة الإقصاء والتغييب ضد الشعوب المغلوبة فى جميع المجالات.

ومن الطبيعى أن ترتحل آثار تلك الثقافة إلى العصر الحديث، وتزدهر من جديد فى أقوال الساسة والمثقفين وممارساتهم، وكان من الطبيعى أيضاً أن يكون كُتّاب التاريخ الفرس والترك والعرب من أبرز ورثة تلك الثقافة، وأن يعمدوا إلى تلميع وتجميل وتمجيد كل ما يتعلّق بقومياتهم أو ما له صلة قرابة بقومياتهم، ويعمدوا بالمقابل إلى تغييب وتشويه وتبشيع كل من

كان فى موقف الصراع والعداء ضد قومياتهم، وقد رأينا عبر الأمثلة السابقة كم كان المؤرخون القومويون المستعربون قساة ومتحاملين على أقوام الجبال الزاغروس- آريين، وكم كانوا بالمقابل لطفاء ومتعاطفين مع أقوام الصحراء الساميين العرب حسب توصيفهم.

وبما أن وطن الكورد (كوردستان) ما زال مقسَّماً ومحتلاًّ من قبل الأنظمة الفارسية والتركية والمستعربة (فى العراق وسوريا)، وهذه حقيقة لا يجوز القفز فوقها، وبما أن الصراع بين الكورد وهذه الأنظمة ما زال دائراً، وما زالت هذه الأنظمة تحرص بشدّة على طمس الهوية الكوردية، وعدم السماح بقيام دولة كوردستان الموحَّدة والمستقلّة، فهل من المعقول أن يتطوّع السادة صنّاع الثقافة التاريخية الفرس والترك والمستعربون لتسليط الضوء على الخلفية التاريخية العريقة للشعب الكوردى؟

وصحيح أن صنّاع الثقافية التاريخية هؤلاء أطلقوا على الزاغروس- آريين (گوتى، لوللو، حورى، كاشّى، ميدى) صفات (الغربة عن غربى آسيا، والتسلّل، والتوحّش، والهمجية، والتخلّف، والمرتزَقة)، لكن إذا أقرّوا بأن هؤلاء الزاغروس- آريين هم أسلاف الكورد، أفلا يعنى ذلک أن الكورد أصحاب حق تاريخى فى وطن يمتد من مشارف الخليج السومرى (الفارسى/العربى) شرقاً ويصل إلى البحر الأبيض المتوسط غرباً، ومن تخوم القوقاز شمالاً إلى مناطق كركوک جنوباً؟ وإذا كانت هذه الأرض للكورد وقد ورثوها من أسلافهم الزاغروس- آريين أفلا يعنى ذلک أن لهم الحق فى تحريرها من المحتلين الفرس والترک والمستعربين؟

إن المثقفين القومويين الفرس والترک والمستعربين يأخذون كل هذه الحقائق فى الحسبان، ولذلک يهمّهم فى الدرجة الأولى أمران:

- الأمر الأول: تصوير الزاغروس-آريين بأنهم غرباء عن المنطقة، متسلّلون (أیْ متلصّصون)، متوحّشون، همج، لا علاقة لهم بالحضارة، ولا دور لهم فى تاريخ الشرق الأوسط سوى استغلال ضعف الآخرين (أصحاب الحق الطبيعى فى البيت الشرق أوسطى)، ولا مساهمة لهم إلا فى التخريب، والغرض من تصوير الزاغروس- آريين على هذا النحو الإقصائى الاتّهامى هو ترْک المجال للأسلاف الفرس والترک والصحراويين الساميين فقط كى يظهروا على أنهم الأصحاب الطبيعيين للبيت الشرق أوسطى، وكى يكون الحق لأحفادهم الفرس والترک العرب والمستعربين الحاليين فى أن يرثوا المنطقة بما فيها.

– والأمر الثانى: بما أن الزاغروس- آريين كانوا أصحاب دول وممالک فى غربى آسيا، ولهم مساهماتهم فى صناعة تاريخ المنطقة بأسرها، فماذا سينتج عن الإقرار بأن الكورد هم أحفاء أولئک الزاغروس- آريين الأوائل؟ ألا يعنى ذلک إقراراً بأن الكورد ليسوا شراذم ولا جماعات متشرّدة، وأنهم شعب له جذور عميقة فى تاريخ الشرق الأوسط، وله هويته وأرضه، ينبغى أن تكون له دولته المستقلة؟

إن هذه الحسابات جميعها كانت وراء إحجام المؤرخين الفرس والترک والمستعربين المعاصرين عن الإشارة إلى صلة الكورد بأسلافهم الزاغروس- آريين عامة، وبالحوريين/الميتّانيين خاصة، فالأفضل- وفقَ حسابات القومويين الفرس والترک والمستعربين- أن يكون الكورد شعباً بلا عمق تاريخى، شعباً بلا هوية، شعباً بلا امتداد ثقافى، شعباً غير مستحق لوطن اسمه (كوردستان)، شعباً غير مستحق لدولة مستقلة، شعباً يمكن الشطب عليه بكل سهولة، والصراخ فى وجهه بأنه مجرد رُحّل مهاجرين وغرباء، فإما أن يرضوا بذلک، وإما أن يحملوا عباءاتهم وعصيّهم ويرحلوا.

ثانياً – المؤرّخون الأوربيّون:

المؤرخون الأوربيون الذى شاركوا بقوة فى صناعة الثقافة التاريخية فريقان:

١ – مؤرخو أوربا الغربية: هؤلاء غير مهتمّين بالكورد كشعب من المنظور التاريخى والسياسى، وإنما هم مهتمّون به إلى حدّ ما من المنظور الفولكلورى، ودراساتهم الشرق أوسطية مؤسسة على مفهوم (الأمر الواقع)، وبحسب هذا المفهوم ثمة أربع قوميات بارزة فى الشرق الأوسط منذ ألفى سنة على أقل تقدير، هم الفرس والعرب والأرمن والترک، ولذلک تعاملوا ثقافياً مع حقائق التاريخ الشرق أوسطى على قاعدة أن الشرق الأوسط هو إرث هذه القوميات جغرافياً وثقافياً وتاريخياً، واتخذ أولئک المؤرخون دول هذه القوميات كمحدِّدات للجغرافيا القديمة، فقالوا- كما مرّ-: شمالى العراق، غربى إيران، جنوبى أرمينيا، شمالى سوريا، وهكذا دوالَيک.

وكان من الطبيعى أن يغيب اسم (كوردستان) عن المشهد التاريخى فى كتابات هؤلاء السادة المؤرخين، وألاّ يبحثوا فى العلاقة بين الكورد والأسلاف الزاغروس- آريين الذى عاشوا على الأرض نفسها؛ لأن الكورد وكوردستان هما بحكم (الأمر الواقع) خارج التاريخ لا

بل خارج العالم أيضاً، وهما من ثَمّ خارج دائرة المصالح الجيوسياسية للقوى الأوربية الكبرى. والحقيقة أن اتفاقية سايكس- بيكو سنة (١٩١٦ م) التى قسّمتت كوردستان بين الفرس والترك والمستعربين؛ هى إحدى نتائج الطريقة التى تعامل بها العقل الأوربى وصنّاع الثقافة فى أوربا مع الكورد وكوردستان، ولا نستبعد أن يكون لدور الكورد بقيادة صلاح الدين فى الحروب الصليبية بين (١٠٩٥ – ١٢٩١ م) تأثير فى الذاكرة الأوربية، وفى الموقف شبه العدائى المبطَّن الذى اتخذه قادة الرأى فى أوربا إزاء الكورد.

٢ – المؤرخون الروس (السوفيات سابقاً): لفهم موقف صنّاع الثقافة التاريخية الروس من الكورد دعونا نبحث عن جيران الكورد فى الشمال خلال القرن العشرين، إن جيران الكورد هناك هم الآذريون والأرمن والجورجيون.

أما أَذَرْبَيْجان فكانت موطن الميد الأصلى، وكانت تسمّى "البَرْزَخ الميدى"، لأنه عبر طرقها من الشمال الشرقى والشمال الغربى كان يتمّ اختراق الهضبة الإيرانية من الجهة الشمالية المنيعة, وفيها ظهر النبى الميدى زَرْدَشْت، لكن بعد سقوط مملكة ميديا سنة (٥٥٠ ق.م) صارت فى قبضة الفرس، ثم وقعت فى النصف الأول من القرن (٧ م) فى قبضة العرب المسلمين، وقامت فيها الحكومة الرَّواديـــّة الكوردية (٢٣٠ – ٦١٨ هــ)، نسبةً إلى قبيلة (راوَنْدى= رَوَنْدى) الكوردية الكبيرة، وكانت عشيرة (هَذْبانى التى تنتمى إليها الأسرة الأيوبية الشهيرة فرعاً من هذه القبيلة، وفى قسمها الشمالى الغربى قامت الحكومة الشَّدّادية (٣٤٠ – ٤٦٥ هــ)، وكانت أراضى هذه الحكومة تسمّى "أَرّان"، وهى مقسَّمة حالياً بين جمهوريات أذربيجان وأرمينيا وجورجيا[١].

وحوالى منتصف القرن الخامس الهجرى (١١ م)، غزت قبائل الغُزّ (الأُوغوز) التركمانية أذربيجان قادمة من وسط آسيا، وتعاونت الحكومة الرَّواديّة مع بقية الكورد فى إخراج الجزء الأكبر منهم، ثم غزاها التركمان السَّلاجقة والخُوارِزْميون واحتلّوها مستغلّين فرصة تفرّق كلمة الكورد، وقضوا على الحكومات الكوردية التى كانت قائمة فيها، ومنذ ذلك الحين صارت أذربيجان مجالاً مفتوحاً للاستيطان الفارسى والتركمانى، وازداد النفوذ الفارسية والتركمانى

---

١ – ابن الأثير: التاريخ الباهِر، ص ١١٩. ابن شَدّاد: النَّوادِر السُّلطانية، ص ٦. أبو شامَة: عيون الرَّوْضتَين، ٣٢٩/١.

فى أذربيجان خلال العهد الصفوى الشيعى، وكان ذلك على حساب الميد وأحفادهم الكورد.

وفى العصر الحديث نشب الصراع بين روسيا القيصرية والفرس على أذربيجان، وقُسّمت أذربيجان بين إيران وروسيا، وزادت نسبة الهيمنة الفارسية والتركمانية هناك، وخاصة أن المذهب الشيعى ساد بين هاتين الإثنيتين، فى حين بقيت الغالبية الكوردية على المذهب السنّى، واستمرت عملية تفريس وتتريك الكورد الآذريين تحت نفوذ السلطتين الفارسية والسوفياتية بكل الوسائل، وتعرض الكورد للتهميش ثقافياً وسياسياً واقتصادياً.

وأما الأرمن والجورجيون فقد اعتنقوا المسيحية فى وقت مبكِّر، وكانوا- وما زالوا- يدورون فى فلك الكنيسة الأرثوذكسية التابعة لبيزنطا (الروم)، إضافة إلى أنهم كانوا فى معظم الأوقات تابعين لدولة بيزنطا، وهكذا فقد نشب الصراع بين الكورد وجيرانهم الأرمن والجورجيين على ثلاثة مستويات:

صراع على الجغرافيا، وهذا أمر معهود بين الشعوب المتجاورة.

وصراع دينى، فالكورد كانوا زردشتيين ثم صار معظمهم مسلمين، فى حين بقى الأرمن والجورجيون مسيحيين.

وصراع سياسى، باعتبار أن الكورد كانوا واقعين تحت الاحتلال الفارسى، ثم وقعوا تحت الاحتلال العربى، وكان الأرمن والجورجيون تابعين لبيزنطا، ومعروف أن الصراع كان شبه مستمر بين الفرس وبيزنطا، ثم بين العرب المسلمين وبيزنطا أيضاً.

وقد تركت هذه الصراعات آثارها فى السياسات الروسية إزاء الكورد، وأيضاً فى كتابات صنّاع الثقافة التاريخية الروس وتلامذتهم الآذريين والأرمن والجورجيين، فعتّم بعضهم على العلاقة بين الكورد وأسلافهم الزاغروس- آريين، وأرجع آخرون بعض أسلاف الكورد إلى أصول قوقازية، كى يكونوا أسلافاً للجورجيين والأرمن، ونفوا وجود أسلاف الكورد أصلاً، ولذلك حينما يطالع المرء كتابات هؤلاء السادة المؤرخين بشأن الكورد يخرج بنتيجة خلاصتها أن الكورد شعب موجود، لكنه شعب بلا جذور، شعب بلا عمق فى تاريخ غربى آسيا، شعب نبت فجأة، لكن من أين وكيف؟ فالأمر يلفّه الغموض، ودعونا نستعرض بعض الأمثلة.

الباحث الأرمنى أرشاك سافراستيان: إنه استعرض فى كتابه "الكورد وكوردستان" تاريخَ الكورد القديم والحديث بإيجاز، وذكر من أسلاف الكورد الزاغروس- آريين قوم گوتى

وقوم كاشّو، لكنه تغاضى تماماً عن ذكر قوم حورى/ميتّانى، وقوم مانناى، وقم خَلْدى، وقوم ميدى، بل نفى أصلاً وجود الميديين، وعاب على المؤرخ اليونانى هيرودوت اهتمامه بذكر ميديا والميديين، قائلاً:

"من بين الخدمات الجليلة التى قدّمها المؤرخ الإغريقى هيرودوت فى مجال التعريف بالشرق القديم ما يمكن أن يوصف بخدمة الدب(١)؛ فقد كرر على نحو رتيب ذكر اللفظ العرقى (ميديا) والإمبراطورية الميدية، إلى درجة تشويش الحقائق التاريخية الكبرى التى كشف عنها الباحثون حديثاً... ويبدو أن هذا الخطأ نشأ فى العهود البابلية الأولى، فأصبحت القبائل الكوردية تُعَدّ إلى يومنا هذا أخلافاً للميديين، ذلك الشعب الأسطورى الذى عزا إليه الإغريق وكتاب العهد القديم إمبراطورية عظيمة"٢.

وبعد أن ذكر السيّد أرشاک أن كلمة "مات/ماد" سومرية تعنى (بلاد/أرض)،"مثل (مادا گوتيوم) التى تعنى أرض گوتيوم، و(مادا عيلام) بعدئذ التى تعنى أرض عيلام"٣، وأنها ليست اسماً لشعب، ذكر أيضاً أن البابليين اقتبسوا هذه التسمية، وأضاف قائلاً: "وفيما بعد ورث الآشوريون هذه التسمية من البابليين، وورثها الفرس والإغريق من الآشوريين، وورثه الموروث الكلاسيكى الأوربى من الإغريق... ونتيجةً لذلک لم يوجد فى السابق شعب ميدى ولا ميديا، ولا يوجد اليوم"٤.

حسناً، ولماذا كل هذا الإصرار على نفى وجود شعب باسم (ميد)؟

الجواب عند السيّد أرشاک هو أن "ميديا الأسطورية المصوّرة من قبل كتّاب الإغريق الكلاسيكيين تُلقى غمامة قاتمة على كل تاريخ أرمينيا وعلى التاريخ الكوردى"٥. ولعل ما يريد السيّد أرشاک قوله هو أن الإقرار بأن الميد هم من أسلاف الكورد يعنى أن الكورد أكثر عراقة من الأرمن فى تاريخ غربى آسيا، وأن أرمينيا نفسها كانت تابعة لإمبراطورية

---

١ - لعل الكاتب يقصد أن هيرودوت يريد أن ينفع فيجلب الضرر.

٢ - أرشاک سافراستيان: الكورد وكوردستان، ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

٣ - المرجع السابق، ص ٢٠٩.

٤ - المرجع السابق نفسه.

٥ - المرجع السابق نفسه.

كوردية قديمة، وعندئذ ستسقط دعوى الأرمن بأن قسماً كبيراً من كوردستان الشمالية والمركزية هى جزء من أرمينيا الكبرى.

المستشرق السوفياتى إيغور ميخائيلوڤيچ دياكونوف I. M. Diakonoff: إنه مختص بفقه اللغات الشرقية القديمة، وخبير بالمخطوطات المسمارية فى متحف أَرْميتاج فى لينينغراد، وقد قدّم بحثاً بعنوان "ميديا" إلى (معهد تاريخ فلسفة الحضارة) فى جمهورية أذربيجان (السوفياتية سابقاً)، وطُبع هذا البحث فى كتاب ونُشر سنة (١٩٥٦ م)، وترجمته الأستاذة وَهْبِيّة شَوْكَت إلى العربية، والمثير للاستغراب أن السيّد دياكونوف لم يذكر فى كتابه قطّ أن الكورد أحفاد الميد، ويُفهَم من ذلك أنه يُعتبَر الميد أسلاف الآذريين (الفرس والتركمان)، متجاهلاً أن اسم أذربيجان متطوّر من صيغة آتروپاتين، نسبة إلى الحاكم الميدى أترويات الذى حكم تلك المنطقة بدءاً من سنة (٣٢٨ ق.م)، فى ظل الحكم الإغريقى فى عهد الإسكندر المكدونى[١].

المستشرق الروسى باسيلى نِيكيتين (١٨٨٥ – ١٩٦٠ م): لا تخفى مكانة هذا الباحث القدير فى مجال الكوردولوجيا، وحسْبُنا دليلاً على ذلك كتابُه القيّم "الكورد: دراسة سوسيولوجية وتاريخية"، وقد ترجمه الدكتور نورى طالبانى إلى العربية، وصحيح أن السيّد نيكيتين وجّه اهتمامه إلى الجوانب السوسيولوجية، لكن كان من المتوقَّع أيضاً أن يذكر امتداد الحضور الكوردى فى تاريخ غربى آسيا، ويبحث عن العلاقة بين الكورد وأسلافهم الزاغروس- آريين، باعتبار أن البحث فى مجتمع ما- كائناً مَن كان- لا يكتمل إلا بالانطلاق من الخلفيات التاريخية لذلك المجتمع.

ويمكن القول بأن المركزية القوقازية (القفقاسية) هيمنت على معظم خرّيجى المدرسة الروسية فى التاريخ، إن هؤلاء السادة الباحثين نزعوا إلى جعل منطقة القوقاز مهداً لظهور الأقوام القديمة فى غربى آسيا، وخزّاناً بشرياً وحضارياً انطلق منه البشر نحو الجنوب والغرب، وأبعدوا الاهتمام عن منطقة زاغروس، وهذا يعنى ضمناً أن الجورجيين والأرمن هم الأحفاد الأصلاء لمعظم الأقوام الجبليين القدماء الذين ظهروا فى شمالى بلاد الرافدَين، وفى مقدّمتهم الحوريون.

---

١ – دياكونوف: ميديا، ص ٧٣. وانظر أرنولد توينبى: تاريخ البشرية، ٢٦٠/١. جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٢٣١/١ – ٢٣٢. هامش (٤). أحمد محمود الخليل: مملكة ميديا، ص ١٦٩ – ١٧٠.

٤
الحُوريّون والكورد فى المصادر والآثار

البحث فى العلاقة بين الحوريين والكورد فى المصادر والآثار شديد الارتباط بالمحاور السابقة الذكر (تغييب الجغرافيا الكوردية، وتبشيع صورة أسلاف الكورد، وصناعة الذاكرة الشرق أوسطية)، وقد اتضح بالأدلة الموثّقة أن صنّاع الثقافة والسياسة فى الشرق الأوسط عامة، وفى غربى آسيا خاصة، كانوا- وما زالوا إلى الآن- حريصين على الحديث عن الكورد باعتبارهم شعباً بلا جذور فى غربى آسيا، شعباً بلا أسلاف فى هذه المنطقة، شعباً بلا تاريخ عريق، تمهيداً لقطع الطريق على كل محاولة يقوم بها الكورد لتحرير وطنهم، وتأسيس دولة كوردستان.

إن تأسيس دولة كوردستان لا يعنى فقط انتزاع الجغرافيا الكوردية من دولة إيران ودولة تركيا ودولة العراق ودولة سوريا، وتغيير خريطة سايكس- پيكو التى أنتجتها المصالح المشتركة بين القوى الاستعمارية والبورجوزايات الفارسية والتركية والمستعربة فى بداية القرن العشرين، وإنما يعنى أيضاً تحرير الموارد البشرية الكوردية (عضلات، عقول) والموارد الاقتصادية الكوردية (مياه- زراعة- معادن- بترول) من قبضة الأنظمة التى تستعمر كوردستان، ويعنى أيضاً عودة الكورد إلى الظهور تحت شمس التاريخ، وإعادة كتابة تاريخ غربى آسيا الذى احتُكرت كتابته طوال (٢٥) قرناً، وتصحيح الذاكرة الشرق أوسطية، وتخليصها من التحريف والتزوير.

إذاً فمسألة إظهار العلاقة بين الكورد والحوريين وغيرهم من الزاغروس- آريين ليست ثانوية، إنها تقدّم التبرير لإحداث انقلاب سياسى وثقافى واقتصادى جوهرى فى غربى آسيا،

ولن تقتصر الموجات الارتدادية لذلك الانقلاب على الشرق الأوسط، بل ستُحدث خلخلة فى النظام العالمى الذى تحرسه القوى الكبرى صاحبة حق (الڤيتو) فى منظمة الأمم المتحدة، وهذا ما لا ترضى به تلك الدول الآن على أقل تقدير.

ولندعْ الآن هذه المسألة جانباً، ونبحثْ عن إجابات للتساؤلين التاليين:

هل من علاقة بين الحُوريّين والكورد فى المصادر؟

فى حدود ما اطّلعنا عليه، وما توافر لنا من مصادر- وهى فى جملتها من المكتبة العربية تأليفاً وترجمة- لم نجد أحداً يذكر أن الحوريين أسلاف الكورد، بل أكثر من هذا أن خرّيجى المدرسة التاريخية الروسية نزعوا إلى اعتبار الحوريين من أقوام القوقاز (قفقاسيا) كما مرّ، تمهيداً للحكم بأنهم أسلاف شعوب القوقاز (الجورجيون والأرمن)، وقد لفت الدكتور جمال رشيد أحمد الانتباه إلى هذه النزعة، فقال:

"إذا كان روّاد الدراسات الخورية، مثل وينكلر، وميسير شميدت، وجينسين، وبرونو، وستار، وچيرا، وبُورك، وسپايْزِر، قد انحصروا منذ القرن التاسع عشر فى معاهد أوربا الغربية والولايات المتحدة، فإن الروس والجيورجيون والأرمن بدأوا يتدخّلون فى هذا المجال فى وقت متأخر، وذلك باستغلال دراسات المتخصّصين المذكورين، مدَّعين زُوراً أن دراساتهم تشمل لغات العالم القفقاسى، فى حين صحّح سپايْزِر هذه التسمية، فسمّاها (اللغات الزاغروسية)، وذلك لعدم كون الخوريين سكان قفقاسيا يوماً ما، وإنما كانت الجبال الكوردية التى عُرفت بزاغروس منذ العصر الهلليني مهد هؤلاء"[١].

وأضاف الدكتور جمال رشيد أحمد قائلاً بشأن دياكونوف والحوريين:

"ورغم محاولات دياكونوف الهادفة إلى ربط الخوريين بالعالم القفقاسى، إلا أنه لم يجد بدّاً من أن يُقرّ عام (١٩٦٤ م) بعد جدوى هذه المحاولات؛ لأن اللغة الحورية استُعملت قبل

---

١ - جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ١/١٤٧ – ١٤٩.

(٤٥٠٠) سنة فى منطقة تبتعد عن قفقاسيا بمسافة كبيرة، وإليها تنتمى اللغة الأورارتية التى سادت خلال الألف الأول قبل الميلاد فى المنطقة الواقعة بين بحيرة وان وبلدة راوَنْدُوز، مركز تجمّع الأمة الكوردية فى الوقت الحالى، وبناء على هذا الواقع ناقش H. Skold فى مجلة الجمعية الملكية الآسيوية عام (١٩٢٦م) آراء F. Bork التى لا تزال مدرسته القفقاسية تحاول بين فترة وأخرى أن تجعل من نفسها صاحبة التراث الحورى- الأورارتى"١.

وقال الدكتور جمال رشيد أحمد أيضاً:

"لقد نقل المؤرخ السوفياتى ميخائيل دياكونوف بصورة خاطئة كلَّ الشعوب الزاغروسية مع ثقافاهم ولغاهم إلى أصل قفقاسى، وربط الخوريين بالحضارة الكالكوليثية لنهرى الكور [الكُر] وآراس، فى حين لم يستطع أن يُنكر وجودهم فى عِيلام ودِيلْبات وأَلالاخ وقَطَنَا ومارى وأُوغاريت، وتَمركزَهم فى المقاطعات الكوردية مثل: أَرّابْخا فى إقليم كركوك الحالى، وفى سيباريبا وشَوشّاره بسهل بتوين [بَيْتْواتَه]، وشَهْر بازار وخانيگالْبات (طُور عابْدِين) والمناطق الواقعة شرق نهر دجلة"٢.

ولم يكن خرّيجو المدرسة التاريخية الروسية وحدهم الذين أرجعوا الحوريين إلى أقوام القوقاز، وأبعدوهم عن الزاغروس- آريين، وإنما فعل المؤرخ الألمانى جيرنوت ويلهلم (فيلهلم) Gernot Wilhelm الأمر نفسه فى كتابه "الحوريون: تاريخهم وحضارهم"، إنه يرى أن الأجزاء الجنوبية الشرقية من مناطق القفقاس كانت، خلال الألف الثالث ق.م، "موطناً للحوريين قبل انتقالهم إلى بلاد الهلال الخصيب"٣؛ هذا مع العلم أنه كان قد قال قبل ذلك: "فقد جاء الحوريون فى حوالى نهاية الألف الثالث ق.م من المناطق الجبلية الواقعة فى شمال شرقى بلاد الرافدين"٤. وفى الحالين لم يستعمل الباحث منطقة زاغروس كمحدِّد جغرافى، مع العالم أن المناطق التى ذكر أنها مهد الحوريين هى الجزء الشمالى من زاغروس.

---

١ - المرجع السابق، ١١٤٩/١.

٢ - المرجع السابق، ٦٠١/١، هامش (٢).

٣ - جرنوت فلهلم: الحوريون، ص ٨٧.

٤ - المرجع السابق، ص ٢٤.

هل من علاقة بين الحُوريّين والكورد فى الآثار؟

كوردستان غنية بالآثار، لأن مناطق كثيرة منها- خاصة فى الجنوب والوسط- كانت مهد الحضارة، وعدا هذا فقد قامت فيها دول وممالک، وكانت على الدوام عرضة لغزو الدول والممالک المجاورة، لكن ثمة مشكلتان حالتا- وما زالتا تحولان- دون اكتشاف تلك الآثار، وتوظيفها فى الدراسات التاريخية على نحو علمى:

- المشكلة الأولى: وقوع كوردستان تحت الاحتلال فى كل من إيران وتركيا وسوريا (والعراق قبل سقوط النظام البعثى فى ٢٠٠٣ م)، وكانت الأنظمة المحتلة حريصة على تغييب الكورد، وكان من الطبيعى أن تُهمل البحث عن الآثار فى المناطق الكوردية. أمّا الحفريات الأثرية القليلة التى أُجريت فى تلک المناطق فكانت فى الغالب بمبادرة من مؤسّسات علمية أجنبية وأموالها؛ إضافة إلى أن الأنظمة المحتلة لا تُفرج عن الآثار والمعلومات المكتشَفة ذات الصلة بالكورد وأسلافهم، ولا تسمح بوصولها إلى الباحثين، وإليكم مثال على ذلک:

خلال بحثى عن تاريخ أسلاف الكورد فى المكتبات، وجدت فى مكتبة زايد المركزية بمدينة العَين الإماراتية، كتاب "الحوريون: تاريخهم وحضارتهم" للباحث الألمانى جرِنْوت فيلهلم، وقد ترجمه الدكتور فاروق إسماعيل، ونشرته دار جَدَل بحلب سنة (٢٠٠٠م)، وحينما كنت أحاضر فى قسم اللغة العربية، بكلية الآداب، فى جامعة حلب، خلال السنوات (١٩٩٠ – ١٩٩٣) مدرّساً خارج هيئة التدريس، كان الدكتور فاروق يحاضر فى الكلية أيضاً، لكن ما كنت أعرف حينذاک أنه كوردى من مناطق القامشلى فى غربى كوردستان، و لم ألتق به.

وبعد ذلک بحوالى عشر سنوات صدف أن التقيت بأستاذ جامعى سورى كان رئيس أحد الأقسام فى جامعة حلب (ما زال حيّاً، وأتكتّم على اسمه وعلى اسم القسم)، وجرى الحديث عن جامعة حلب، فذكر أن ثمة أستاذاً جامعياً كوردياً كان يدرّس فى قسم التاريخ يُدعى (فاروق إسماعيل). فذكّرنى هذا الاسم بكتاب "الحوريون" ومترجمه، وذكرت اسم الكتاب للأستاذ الجامعى، متسائلاً: هل مترجم هذا الكتاب هو نفسه الدكتور فاروق إسماعيل المدرّس فى جامعة حلب؟ فابتسم الأستاذ الجامعى السورى قائلاً: نعم، وإليک هذه القصة.

الدكتور فاروق كوردى من مناطق الجزيرة، وحينما ترجم كتاب "الحوريون" ثارت ثائرة بعض المسؤولين فى الجامعة، معتقدين أن الدكتور فاروق يروّج لجعل منطقة الجزيرة السورية كوردية، وكان من حسن حظّه أننى كُلّفت بقراءة الكتاب وإبداء الرأى فيه، فقرأت الكتاب ووجدت أنه علمى صِرف، ولا علاقة له بالتوجّهات السياسية، ولا صلة له بالمسألة الكوردية،

فوضّحت هذه الحقيقة، ولو كُلّف غيرى بتقييم الكتاب لما نجا الدكتور فاروق من بعض المزعجات.

حسناً، إذا كان المسؤولون فى المؤسّسات الأكاديمية فى الدول التى تحتل كوردستان تتعامل بهذه الطريقة الأمنية الإقصائية مع موضوع علمى صرف، وتحرص على تغييب كل ما يتعلق بالشأن الكوردى، وعلى طمس كل ما يمكن أن يشير إلى وجود علاقة بين الكورد الحاليين وأسلافهم، فكيف يمكن أن يكون موقف المسؤولين فى المؤسّسات السياسية إذاً؟

وعدا هذا، ألم يَعمد حكّام الأنظمة التى تحتل كوردستان- خاصة فى تركيا والعراق وسوريا- إلى طمس أسماء المدن والقرى والجبال الكوردية؟ ألم يُعلنوا الحرب حتى على أسماء الأعلام الكوردية، ويُصدروا المراسيم والقرارات بشأن ذلك؟ ألم يفرضوا الأسماء العربية والتركية على الجغرافيا الكوردية وعلى الكورد رجالاً ونساءً؟ ألم يكن الغرض من ذلك هو طمس الحضور الكوردى، وصناعة غرب آسيا بلا كورد وبلا كوردستان؟ وما دامت سياساتهم مع الوجود الكوردى الحالى على هذه الشاكلة، فكيف يسمحون بوجود مصادر وآثار تقدّم الأدلة التاريخية الدامغة على وجود كوردستان، وعلى عمق الحضور الكوردى فى تاريخ غربى آسيا؟

— المشكلة الثانية: عدم وجود كادر كوردى متخصص فى الأركيولوجيا، يقوم بالتنقيب الحر فى المناطق الكوردية، ويركّز على البحث عن آثار أسلاف الكورد، ويُجرى الدراسات المعمَّقة، وينشر النتائج فى المحافل العالمية، ونعتقد أن تحرير كوردستان سيتيح الفرصة لسدّ هذه الثغرات، وللوصول إلى ما يؤكد العلاقة الوثيقة بين الكورد الحاليين وأسلافهم الزاغروس- آريين.

٥

هل الحُوريّون من أسْلاف الكورد؟

لقد بحثنا فى تاريخ الحوريين (بما فيهم الميتّانيون)، منطلقين من الاعتقاد بأنهم فرع كبير من أسلاف الكورد الأقدمين، و لم يتكوّن لدينا هذا الاعتقاد من الوهم، ولا بدافع سياسى، ولا رغبة فى القفز على حقائق الجغرافيا والتاريخ، وإنما اعتقاداً منا بأن هناك من الأدلة العلمية والمنطقية ما يرجّح ذلك، ونستعرض فيما يلى تلك الأدلة.

أولاً – الدليل الإثْنى:

تنقسم شعوب غربى آسيا الحالية إلى ثلاثة فروع:

١ – شعوب ساميّة: أبرزها العرب، والعبران، والكلدان، والسريان والآشوريون، وسبق أن ذكرنا ضبابية انتماء الآشوريين إلى الفرع السامى.

٢ – شعوب آرية: أبرزها الكورد، والفرس، والأرمن.

٣ – شعوب طورانية: التركمان، والترك.

وقد مرّ أن الحوريين هم فى الغالب من أقوام جبال زاغروس، انضاف إليهم واندمج بهم الهندو آريون، وتشكّل منهم تكوين متجانس، وهذا يعنى دون أدنى شكّ أنه لا علاقة للشعوب الساميّة بالحوريين، ولذلك ذكر المؤرخون المستعربون جميعهم تقريباً علاقةَ القرابة الإثنية واللغوية بين العرب والأكّاديين والأموريين (بما فيهم البابليون)، والآشوريين، والكنعانيين (بما فيهم الفينيقيون)، والعبران، والآراميين (بما فيهم الكلدان والسريان)، بل إن

بعضهم بالغ فسمّى جميع هذه الشعوب عربية[1]، لكن لم يذكر أىّ واحد منهم أن الحوريين شعب سامىّ، ولم ينسبوا إليهم أىّ شعب سامى، بل مرّ أنهم وصفوا الحوريين بالغرباء عن غربى آسيا.

أما الشعوب الطورانية فالمعروف أنه لم يكن لهم وجود فى غربى آسيا قبل الإسلام، وثمّة كثير من الأدلة على أن الممالك التى قامت فى آريانا (البلاد التى استقرت فيها الشعوب الهندوآرية الغربية من أفغانستان شرقاً إلى كوردستان غرباً) كانت فى صراع دائم مع الشعوب الطورانية التى كانت تقيم فى وسط وشرقى آسيا، وكان الآريون الغربيون يمنعون الطورانيين من التقدم غرباً، وقد سرد الشاعر الفارسى الفِردَوسى فى كتابه (شاهنامَه) أخبار الحروب الهائلة بين شعوب آريان (إيران) وشعوب طوران فى العهود القديمة.

وقد وصل التركمان والأتراك إلى غربى آسيا على شكل مرتزقة فى جيش الخليفة العباسى السابع المأمون (ت ٢١٨ هـ)، ثم ازداد عددهم فى الجيش فى عهد الخليفة الثامن المُعتصِم بالله (ت ٢٢٧ هـ)، وكانت أمّه تركية، ووصل التركمان السلاجقة (الأُوغُوز) بأعداد كثيرة إلى غربى آسيا بدعوة من الخليفة العبّاسى القائم بأمر الله، لينقذوه من تسلّط الحكم البُوَيْهى الشيعى النزعة، وسيطر السلاجقة على بغداد عاصمة الخلافة العباسية سنة (٤٤٧ هـ/١٠٥٥ م)، ثم توسّعوا فى غزواتهم، ووصل العنصر الطورانى إلى قمة سطوته فى العهد العثمانى[2]. وهذا يعنى قطعاً أن لا علاقة لهم بالحوريين لا من قريب ولا من بعيد.

إذاً تبقى مسألة الحوريين منحصرة فى الفرع الآرى (الكورد، والفرس، والأرمن)، ودعونا نتفحّص الأمر بقدر من التفصيل.

أما الفرس فلم يصلوا إلى غربى آسيا إلا مع الموجة الآرية الأخيرة التى ضمّت الميد أيضاً، وكان ذلك حولى الألف الأول ق.م، ولا ريب فى أن وجود الحوريين فى غربى آسيا أقدم من وجود الفرس بلا أقل من ألف عام، ومن غير المعقول أن توجد صلة بين الشعبين، أضف إلى هذا أنه لا صلة للانتشار الحورى فى بلاد فارس الأصلية (جنوب غربى إيران الحالية).

---

١ - انظر محمد بَيّومى مَهران: تاريخ العرب القديم، ١٦٣/١ - ١٦٤. فاضل عبد الواحد على: من سومر إلى التوراة، ص ٤٣ — ٤٤.

٢ - انظر ابن الأثِير: الكامل فى التاريخ، ٦٠٩/٩. الأصفهانى: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٤ - ١٥. أحمد كمال الدين حِلمى: السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص ٢٥.

وأما الأرمن فذكر كلٌّ من المؤرخ اليونانى هيرودوت (٤٨٠ – ٤٢٥ ق.م)، والمؤرخ الرومانى سترابون (٦٣ ق.م – ١٩ م)، أنهم كانوا فى الأصل من سكان البلقان، وعبروا البوسفور والدَّرْدَنيل فى القرن الثانى عشر ق.م، واستقروا فى فِريجْيا (وسط الأناضول، غربى نهر هاليس/قِزيل إرماق) فى القرن الثامن ق.م، ثم توغّلوا شرقاً على مراحل، حتى وصلوا إلى منطقة أرارات فى أواخر القرن السابع ق.م، حيث يقطن شعب هاياسا Hayasa الحثّى، بعد تغلّبهم على الحوريين[١]. فهل من المعقول- والحال هذه- أن يكون الحوريون من أسلاف الأرمن؟

وبما أنه لا علاقة للحوريين بالعرب والأموريين (بما فيهم البابليون)، ولا بالآراميين (بما فيهم الكلدان والسريان)، ولا علاقة لهم بالآشوريين والفرس والأرمن والترك، أفلا يقتضى المنطق أن يكون الكورد هم أحفاد الحوريين؟

ثانياً – الدليل اللُّغَوى:

بدايةً، لم يتمكّن العلماء من الإحاطة بجميع مكوِّنات اللغة الحورية، وإن المفردات والنصوص التى وصلتنا هى مقتبسة من الآثار الحثية والمصرية، ولعل من المفيد أن نأخذ هنا حقيقتين فى الحسبان:

الحقيقة الأولى: أن التكوين الحورى- على النحو الذى برز وساد فى عهد مملكة ميتّانى- كان يتألف فى الأصل من الحوريين الزاغروسيين الذى يعتبرهم عدد من الباحثين امتداداً للسوبارتيين، مع العلم أن مصطلح (سوبارتو) كان يشمل معظم مناطق كوردستان فى الجنوب والشرق والشمال، وأن مصطلح (سوبارتيين) كان يشمل جميع أقوام زاغروس القدماء وخاصة قوم گوتى وقوم لوللو، ثم انضمّ الفرع الهندو آرى إلى ذلك التكوين الأصل، وفى ظل مملكة ميتّانى أصبح التكوين الحورى الجديد زاغروس- آرياً على جميع الأصعدة، وهذا يعنى أن اللغة الحورية الأصلية تعرّضت للتغيير بمرور القرون نتيجة الاندماج الزاغروس آرى. ومع ذلك فقد ذكر الدكتور جمال رشيد أحمد كثيراً من أوجه التشابه بين اللغة الحورية والكوردية المعاصرة، من حيث المفردات والفونومينات وتركيب الجملة، وقد مر ذلك فى الفصل الثالث.

---

١ – انظر مروان المُدَوَّر: الأرمن عبر التاريخ، ص ١٠٢- ١٠٦.

الحقيقة الثانية: فى كل مرحلة تاريخية كان فرع من أسلاف الكورد الزاغروس- آريين يتولّى القيادة فى معظم أجزاء كوردستان، ويقوم باستكمال عملية الدمج الإثنى والثقافى والاجتماعى، وكانت ممالك الجوار تُطلق اسمه على الفروع الأخرى. إن القسم الأكبر من أسلاف الكورد- منذ حوالى (٢٣٠٠ ق.م) وإلى حوالى (٥٠٠ ق.م) عُرفوا بدايةً باسم (گوتى)، ثم باسم (سُوبارتى)، ثم باسم (كاشّو وحورى)، ثم باسم (ميدى)، وطوال هذه الفترة كانت تجرى عملية الدمج الشامل فى مجتمع أسلاف الكورد، و لم تكن اللغة خارج تلك العملية، وفى كل مرحلة كانت لغة أو لهجة الفرع المهيمن تسود فى مجتمعات أسلاف الكورد١.

وعلى ضوء هذه الحقيقة يمكن الاستنتاج بأن اللغة الميدية هى التى أصبحت اللغة السائدة فى مجتمعات أسلاف الكورد، باعتبار أن الفرع الميدى هو آخر فرع تولّى القيادة فى جميع مناطق أسلاف الكورد، وعلى هذا فمن المنطقى أن نبحث عن جذور اللهجات الكوردية المعاصرة فى اللغة الميدية، وليس فى اللغة الحورية، مع الأخذ فى الحسبان أن التكوينَ السياسى الحورى الأكبر (مملكة ميتّانى) سبق التكوينَ السياسى الميدى الأكبر (مملكة ميديا) بحوالى ستة قرون، وقد أكّد بعض المؤرخين "التشابه اللغوى ما بين اللغة الكوردية واللغة الميدية القديمة"٢.

وسبق أن استعرضنا فى الفصل الثالث آراء الدكتور جمال رشيد أحمد بشأن القرابة بين اللغة الحورية واللغة الكوردية، وأن ثمة بعض أوجه التشابه فى اللغتين الحورية والكوردية المعاصرة من حيث استعمال اللاحقات والأصوات وتبديلها بأصوات أخرى، مثل تحوّل اللام إلى راء فى كلتا اللغتين، واستعمال اللاحقة ari- التى كانت تساعد على تحديد الانتماء المكانى عند الحوريين مثل Nawar-ari (نوارى)، Arrapha-ari (أررابخى)، وفى الكوردية مثل Kurdaw-ari (الانتماء إلى الكوردية)، Koçaw-ari (الانتماء إلى الحياة الرعوية)، وكذلك اللاحقة الحورية h-، hi, he التى تحدد انتساب الفرد إلى قوم، مثل Kina-hi, Hurrup-he, Kardu-hi (كنعانىّ، حورىّ، كوردوىّ)، واللاحقة ati- التى كانت تعيّن ما يتعلق بجماعة إثنية مثل Lullu-ba-ti، قديماً و Kurd-ati حديثاً٣.

وفيما يلى أمثلة على كلمات حورية وخَلْدية (أورارتية) وكوردية متشابهة٤.

---

١ – جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ١١٢/٢.

٢ – انظر طه باقر وآخران: تاريخ إيران القديم، ص ٣٨.

٣ – جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٩٧/٢.

٤ – المرجع السابق، ٩٧/٢.

asi -	asj	ahsir → ↙ Arab. أسير	to capture	
	awja	awya, awê	there	
awar -	awarà	setteld life	awarà (un- open	field, space,
aw-iγ-are	?	bê-gar-i, wê-gar-i	subjugated work	
bawr -	pawr -	bowr ← Indo - Iran. babhru	brown	
borg	burg - ana	burg ➔ Arab. Arabic برج	castle, fortress	
çari [sari(y) - anne	çül	šal	shawl	
çir	çir - ab	çir	thick	
çûl (-)ud	çûl	çöl	uninhabited	
dad -	tad -	tad > tadar > tadarak	to love	
dada	dada	dada > daya	mother, elt sister	
edi	edi -	edi (Mukri)	thing, thus	
es	ese	esp, esu	horse	
esua	ese	esu Indo-Ar.	horse	
eša	ezə	asa-man	sky	
ewrə	ewrə	gewrə	master,king	
gaz -	gaz -uli	gazali Arab. غزال	beautiful, looks like gazell	
hau	hau	hua, root of huāstin "search"		
halu/o - la		halua, haluw → Arab. حلوى	festal sweet	
halû / ôla	halu / olə	halhalə	hallelujah, alle-luia(h) ↙ Hebrew	
har	har - har-š-	har - u - haš	to demolish	
henə	henə	hene	now	
hiç	hiz	hêç	to roll, to bind	
hic	hic	haç	to damage	
harə (road)	hârə	harə	to hurry	
haž	haš	haž, haš	to hear noise	
Hudena (godess)	Hutu / oin	Hudan Hudana Zaza dialect	Lord Lady	

h̲ur	h̲ur	h̲ur (stem of water)	to drink (stem of water)
huš	huž	haž	stem of waterfall
in.a-	in	no, na, ney Zaza dialect	this
ka	gê	ka (ka-daṇ)	strawstack
kešhi	kešhi	kešha	crown, crowned
kew (k/geb	h̲ew	kew (root of kew-t-in)	to put, to fell
kuru / o		kerre	once
mān /māna	mā-na	-mān	pers. pronoun
mān -	mān -	mān -	to be, to stay
mêro Indo. Ar. ↑ maryanu		miro mêrini	man charioteer rider, warrior
marianni mariyannə	mari, marə	mêrani, mêri,mîranni	virility aristocraracy
nās - (nāz - arde)	nās -	nāz, nāz-dār	concubines, delicate, slim
nih	nig-ari	nigari	dowry
papa	baba	popa (top)	mountain
pîl	pîle	pir, pil (bridg)	canal
sarmə	şar	šara (grain storageroom)	thicket
šaph̲al	saph̲ale	çaph̲al (left point)	left
sauala	sali	şal	year
šeja		šeh	wetness
šîr		žîr	good, vlever
sit		sitî → ↙ Arab. ست	maid
šum - (šumr?)	šumme	šamra→ ↙ Arab. شمرة	out of the hand
šuri - ja	šure	šor (arm), šîr (sward)	arm, sward
tarmani tuBuə	taraman a(li) tuBard	tar-ayi naBard	moist firmly, undismayed
uli-	uli-	ualə , walə	other, another

Hurrian	Urartian	Kurdish	English
al-aə	al-usə	ala (mîr-ala)	lord,ruler,king
alg	alg - à	alqa removed to Arabic حلقة	boundary, ring, mountain ridge
amurt -	amurd - inne	mort	briar
ard -	ardi - ne	ard, ardî ↙ Arab. أرض	town, country, earth
ars | arse	harza - ↙	young boy harza kar	

وحتى إذا كانت لغة الكورد الحالية مختلفة عن اللغة الحورية أو الميدية إلى حدّ قليل أو كثير، فهل هذا مبرِّر لأن يكون الكورد غرباء إثنياً عن الحوريين والميديين؟ وإذا كانت هذه هى القاعدة فهذا يعنى- على سبيل المثال- أنه لا صلة إثنية مطلقاً بين المصريين الحاليين والمصريين فى عهود الفراعنة؛ لأن لغة المصريين الحالية- وهى العربية- تختلف كلياً عن اللغة المصرية الفرعونية، ويعنى أيضاً أن المصريين الآن هم غرباء عن مصر ودخلاء عليها؟ فهل يقبل منطق التاريخ ومنطق العقل هذه النتيجة؟ ولنأخذ مثالاً آخر، وهو شعب اليمن الحالى، فاللغة اليمنية الآن هى العربية، وهى تختلف كثيراً عن اللغة اليمنية فى عهود دولة مَعِين (١٣٠٠- ٦٥٠ ق.م تقريباً)، ودولة سَبَأ (٨٠٠ – ١١٥ ق.م)، ودولة حِمْيَر (١١٥ ق.م – ٥٢٥ م)[1]، وثمّة أمثلة أخرى غير المصريين واليمنيين.

ثالثاً – الدليل الجُغرافى:

كنا قد استعرضنا فى الفصل الأول، تحت عنوان "الجغرافيا الحورية"، المناطقَ التى عدّها بعض المؤرخين مهدَ الحوريين، والمناطقَ التى انتشروا فيها، ونوردها ثانية بإيجاز شديد، لنتوصّل من خلالها إلى نتيجة محدَّدة.

---

١ - السيّد عبد العزيز سالم: تاريخ العرب فى عصر الجاهلية، ص ٨.

جرنوت فيلهلم: المناطق الواقعة على جانبى المجرى العلوى لنهر دجلة وروافده الشرقية كانت المَواطن الأولى للحوريين[1].

هارى ساغز: أتى الحوريون من الشمال إلى منطقة ما بين النهرين، وربما من مرتفعات ميديا (جبال زاغروس)[2].

وليام لانجر: شملت الجغرافيا التى انتشر فيها الحوريون مناطق شاسعة تمتد من مناطق وان شمالاً، إلى مناطق شَوشّارَه (شَمْشاره) ونُوزى قرب كركوك جنوباً، وإلى شمالى الموصل غرباً[3].

وليام لانجر: ربما كان موطن الحوريين فى بلاد نايْرى (خَلْدى/أُورارتو، وعاصمتها تُوشْبا على الشاطئ الشرقى لبحيرة وان)، وانتشروا بعدئذ جنوباً فى أوائل القرن السابع عشر ق.م إلى شرقى آشور (منطقة نينوى) وغربها، وامتدت مملكة ميتّانى من كَرْكَميش (قرقميش) على الفرات حتى قرب أعالى نهر دجلة، وفى شرقى دجلة تشمل أيضاً أرّابْخا (كركوك) التى كانت قبل ذلك مملكة حورية منفصلة[4].

جين بوترو وزملاؤه: علينا ألاّ نستهين بنسبة السكان الحوريين فى شمالى وادى الرافدين وشمالى سوريا[5].

جين بوترو وزملاؤه: فى عصر سلالة أور الثالثة (٢١١٢ – ٢٠٠٤ ق.م)، كان الحوريون مستقرين فى مناطق شرقى نهر دجلة، وفى العصر البابلى (٢٠٠٤ – ١٥٩٤ ق.م) توسّعوا غرباً ، حتى إنهم عبروا الفرات[6].

---

١ – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٢٤، ٢٩. وانظر محمد حرب فَرْزات، عيد مَرْعى: دول وحضارات الشرق العربى القديم، ص ١٦١. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ص ٥٦٢.

٢ – هارى ساغز: عظمة آشور، ص ٥٢ – ٥٣.

٣ – وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٦٢/١.

٤ – وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٦٠/١ – ٦١.

٥ – جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكِّرة، ص ٢٠٠. وانظر جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ١٠٧. بونغارد – ليفين: الجديد حول الشرق القديم، ص ١٦٢.

٦ – جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكِّرة، ص ٢٠٠.

الدكتور عبد الحميد زايد: سكن الحوريون شمالى ما بين النهرين، وحول بحيرة وان منذ الألف الثالث ق.م، وفى الألف الثانى ق.م انتشروا فى سورية وفلسطين. ومنذ نهاية الألف الثانى ق.م، وأثناء الألف الأول ق.م، انكمشوا تحت الضغط الآرامى إلى غربى بحيرة وان وجنوبها[١].

الدكتور توفيق سليمان: هاجرت القبائل الحورية إلى شمال غربى بلاد الرافدَين (العراق حالياً)، واستوطنت المناطق الواقعة فى أعالى نهر الخابور[٢].

الدكتور أحمد هُبّو: كان الحوريون فى عصر سلالة أُور الثالثة (٢١١٢ – ٢٠٠٤ ق.م) يتمركزون فى مناطق شرقى دجلة، وتحرّكوا فى العصر البابلى القديم (٢٠٠٤ – ١٥٩٤ ق.م) غرباً، وعبروا نهر الفرات الأعلى، وانتشروا فى المناطق الشمالية من بلاد الرافدين وسوريا[٣].

الدكتور جمال رشيد أحمد: كانت البلاد الكوردية الحالية التى تمتد من جبال زاغروس شرقاً حتى البحر الأبيض المتوسط غرباً، هى مهد الخوريين[٤].

الدكتور جمال رشيد أحمد: شملت الإمبراطورية الميتّانية فى أوج عظمتها المقاطعات الواقعة بين سفوح جبال زاغروس، وسواحل البحر الأبيض المتوسط[٥].

(خريطة دول أسلاف الكورد قبل الميلاد):

والسؤال الآن هو: أليست المناطق التى شملتها الجغرافيا الحورية- حسبما ورد فى الأدلة السابقة- هى المناطق نفسها التى يقيم فيها الكورد على الأقل منذ قيام مملكة ميديا الكبرى سنة (٦١٢ ق.م)، وما زالوا يعيشون عليها؟ أليست هى المناطق ذاتها التى تشهد المصادر العربية الإسلامية بأن الكورد سكانها؟ وهل هناك طوال خمسة وعشرين قرناً شعب آخر

---

١ – عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٥٦١.

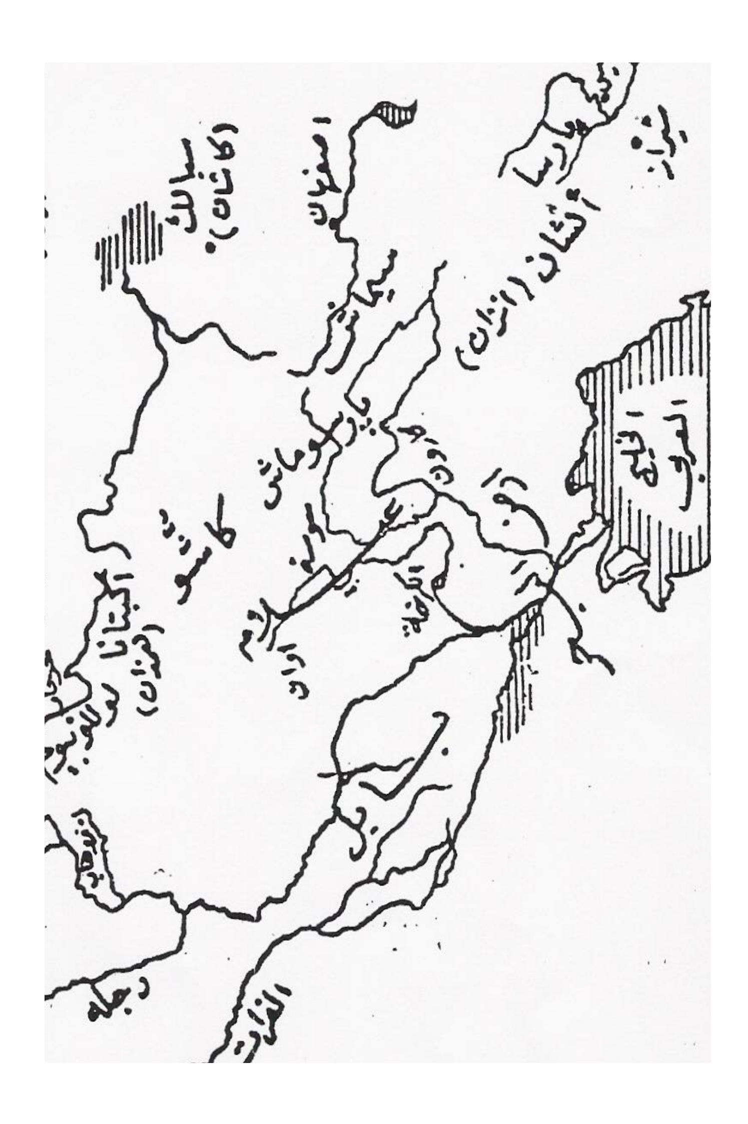
٢ – توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة، ص ٣١٢.

٣ – أحمد هُبُّو: تاريخ الشرق القديم (سوريا)، ص ١٦٣ – ١٦٤.

٤ – جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٦٠١/١.

٥ – المرجع السابق، ٢٥٢/٢.

استقر فى هذه المناطق بهذه الكثافة غير الكورد؟ وألا يعنى هذا أن الكورد ورثوا هذه الجغرافيا من أسلافهم الحوريين، ومن ظهر بعد الحوريين (ماننای، خَلْدی، مِيد)؟



رابعاً – الدليل التّاريخى:

كنّا قد تناولنا موضوع العلاقة بين الكورد والأسلاف الزاغروس- آريين تاريخياً فى كتاب "تاريخ أسلاف الكورد"، ونستعرضه فيما يلى بإيجاز:

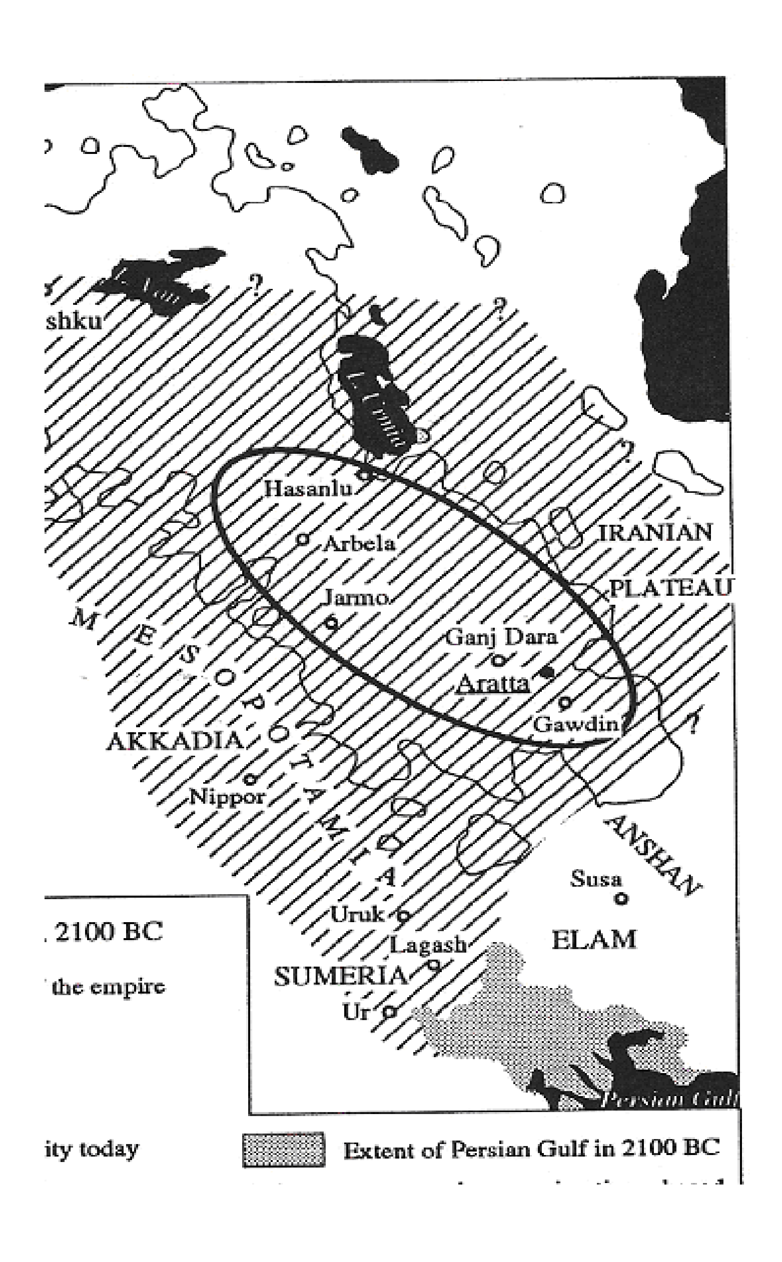
من المؤكّد أن أقوام گُوتى، ولُوللو، وسُوبارى، وكاشُّو، وحُورى (مِيتّانى)، ومانناى، وخَلْدى (أورارتو)، وميدى (ماد)، عاشوا فى البلاد التى عُرفت فى أحيان كثيرة باسم (سُوبارتو)، وهى البلاد نفسها التى سُمّيت بعدئذ بقرون كثيرة (كوردستان)، وكان اسم (سُوبارتى/سوبارى) يُطلَق على الأقوام التى عاشت فى تلك البلاد، وقد عرض الباحث الأمريكى جِلْب Ignace Gelb عام (١٩٤٤ م) رأياً مفاده أن السُّوبارتيين هم الشعب الأصيل فى شمالى بلاد الرافدَين منذ أقدم العصور، وأن الحوريين أحفادَهم المتأخرون. وذكر سپايزر سنة (١٨٤٨ م) أن السومريين والبابليين كانوا يصفون المفردات اللغوية الحورية بأنها "سُوبارتية"، وكان الآشوريون يطلقون على الحوريين اسم (سوبارتى)؛ وهذا دليل أكيد على أن اسم (سوبارتو) كان يشمل جميع أسلاف الكورد الأقدمين١.

ولم يذكر المؤرخون أيّة معلومات بشأن انقراض هؤلاء الأقوام، وبقاء البلاد التى كانوا يقيمون فيها بلا سكان، إن اسم الشعب الذى تشكّل من اندماج تلك الأقوام هو الذى كان يتغيّر فى المصادر، وكان يحمل كل مرة اسم الفرع الذى كان يمتلك فى أيديه زمام السلطة، فتارة عُرفوا بالگوتيين، ثم عُرفوا بالحوريين، ثمّ عُرفوا بالميديين، ولو دققنا النظر فى الجغرافيا التى كانت السيادة فيها للگوتيين فى أواخر الألف الثالث ق.م، ثم للحوريين/الميتّانيى فى النصف الثانى من الألف الثانى ق.م، ثم للميديين فى أواخر القرن السابع ق.م وأوائل القرن السادس ق.م، لوجدنا أن معظم مناطق كوردستان بحدودها الحالية كانت فى قلب جغرافيا تلك الممالك. (انظر خريطة مملكة گوتى، وخريطة مملكة ميتّانى، وخريطة مملكة ميديا).

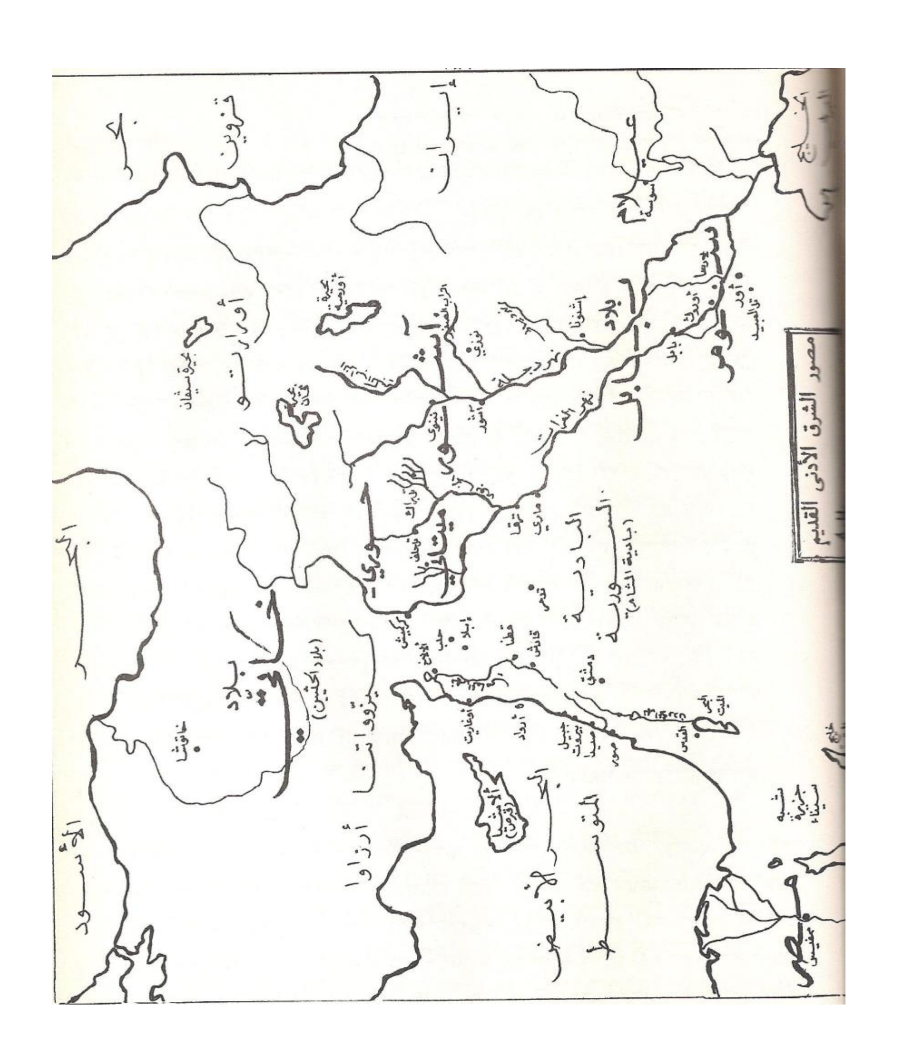
(خريطة مملكة گوتى):

---

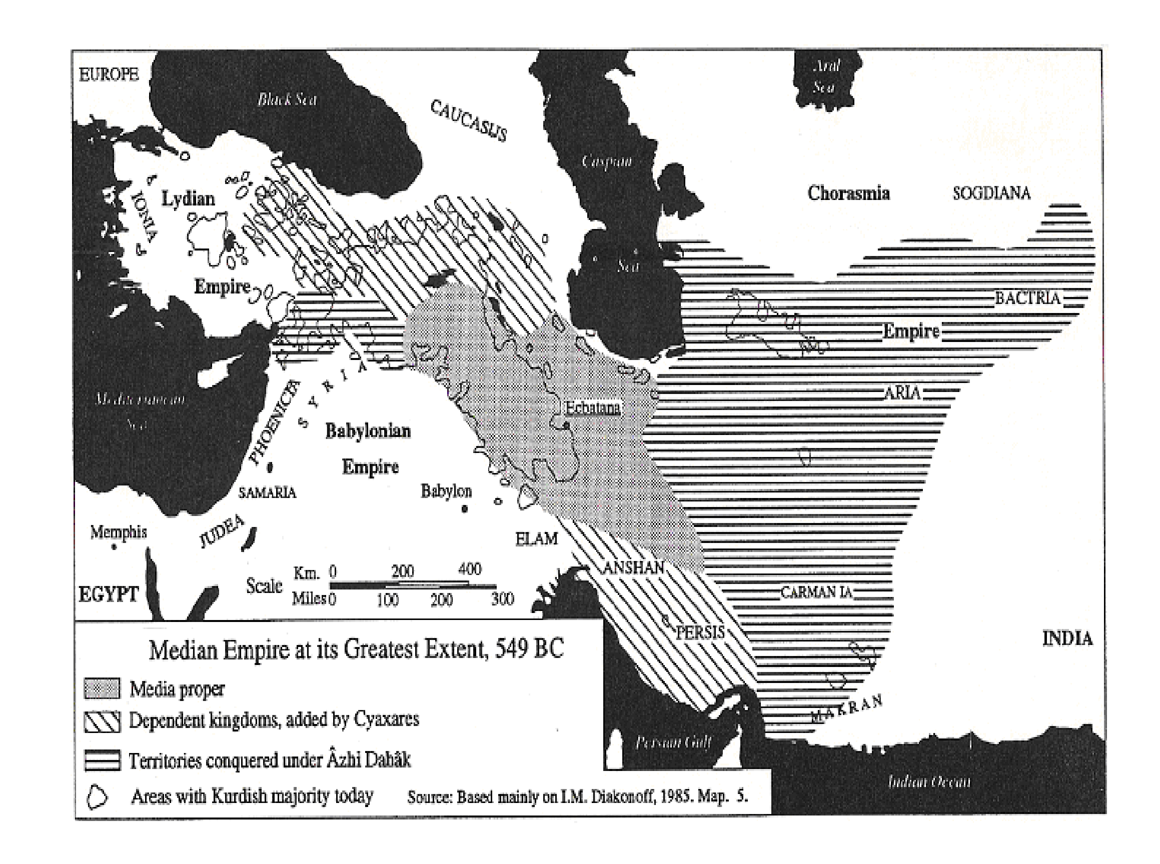
١ - جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص ٢٤، ٨١ – ٨٢.



خريطة مملكة ميتّاني:



(خريطة مملكة ميديا):


Median Empire at its Greatest Extent, 549 BC
Media proper
Dependent kingdoms, added by Cyaxares
Territories conquered under Âzhi Dahâk
Areas with Kurdish majority today
Source: Based mainly on I.M. Diakonoff, 1985. Map. 5.
EUROPE
Black Sea
CAUCASUS
Caspian
Sea
Aral
Sea
Chorasmia
SOGDIANA
BACTRIA
Empire
ARIA
Lydian
IONIA
Empire
Mediterranean
Sea
PHOENICIA
SYRIA
Babylonian
Empire
SAMARIA
Babylon
Echatana
Memphis
JUDEA
ELAM
ANSHAN
EGYPT
Scale
Km. 0
200
400
Miles 0
100
200
300
CARMANIA
PERSIS
INDIA
MAKRAN
Persian Gulf
Indian Ocean

وثمة معلومات كثيرة وموثّقة، تؤكد أن هذه البلاد كانت مأهولة بالسكان منذ سقوط مملكة ميديا عام (٥٥٠ ق.م) وإلى يومنا هذا، وحسبنا دليلاً الثوراتُ التى كانت تندلع فيها ضد ملوك الفرس الأخمين، والأحداث التى جرت فيها طوال العهد السُّلوقى والبارثى (الأشگانى) والساسانى، كالصراعات التى دارت بين البارث والسلوقيين، وبين البارث والرومان، ثم بين الرومان والأرمن، ثم بين الساسان والبيزنطيين، ثم بين الساسان والعرب المسلمين[١].

وبعد هجرة الميد فى أواخر الألف الثانى قبل الميلاد، وهجرة السكيث Scythians إلى كوردستان فى الألف الأول قبل الميلاد، لم يذكر المؤرخون أيّة معلومة عن أية هجرات كبرى، قام بها شعبٌ ما إلى كوردستان الحالية، وظل الأمر كذلك فى العهود الأخمينية، والسلوقية، والبارثية، والساسانية، والأرمنية فى عهد ديگران الكبير (توفّى ٥٥/٥٤ ق.م)، وكان هؤلاء جميعاً مجرد جاليات حاكمة، وينحصر وجودهم الديموغرافى فى حدود ضيقة جداً[٢].

وبعد سيطرة العرب المسلمين على كوردستان حوالى منتصف القرن السابع الميلادى ظلّت محتفظة بطابعها الديموغرافى الكوردى، واستقر بعض العرب فى السهول المتاخمة لجبال الكورد، ولم يستطيعوا الاستقرار فى العمق الكوردستانى، بسبب عدم صلاحية البيئة الجبلية لسكنى البدو العرب. وفى ظل الهيمنة السلجوقية والعثمانية تمّ توطين جاليات تركمانية فى بعض مناطق كوردستان لأغراض عسكرية، ولتقديم الدعم اللوجستى للقوات المحتلة عند اللزوم، وظل الطابع الكوردى هو الغالب، بل إن بعض العرب والتركمان والأرمن تكوردوا، وهذا دليل واضح على غلبة الطابع الكوردى[٣].

وخلال العهود الإسلامية تأسّس عدد غير قليل من الحكومات الكوردية- قادةً ورعيّةً- فى كوردستان، نذكر منها: الحكومة الرَّوادِيـّة فى أَذَرْبَيْجان (٢٣٠ - ٦١٨ هـ)، والحكومة الحَسْنَوَيْهية فى هَمَذان (٣٣٠ - ٤٠٥ هـ)، والحكومة الدُّوسْتِكية (المَرْوانية) فى

---

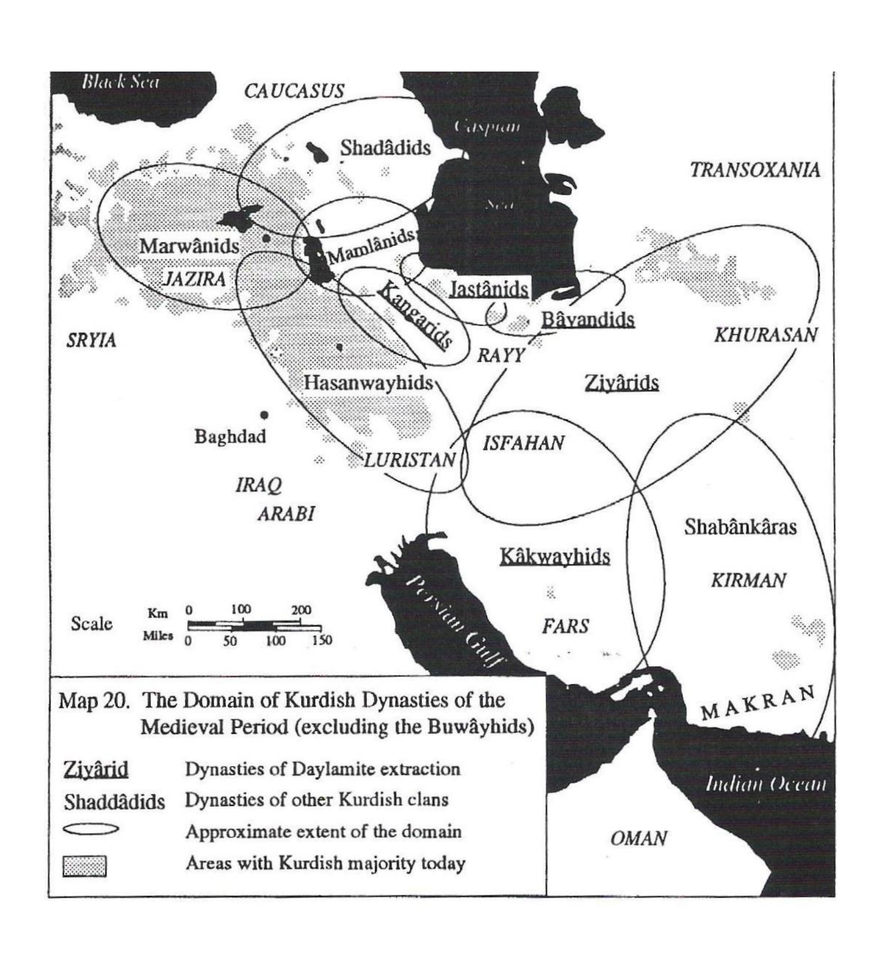
١ - انظر ول ديورانت: قصة الحضارة، ٤٢٢/٢. أحمد عادل كمال: الطريق إلى المَدائن، ص ١٠٤ – ١٠٥. جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، ٢٤٩/١ – ٢٥٠.

٢ - هيرودوت: تاريخ هيرودوت ص ٢٩٨. دياكونوف: ميديا، ص ٢٥٠.

٣ - انظر الأصفهانى: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٤ - ١٥. الهَمَذانى: جامع التواريخ، ٢٨١/١ – ٢٨٣، ٢٩٠. ابن الأثِير: الكامل فى التاريخ، ٤٨١/١٢ – ٥٠٠.

كوردستان الوسطى (٣٥٠ - ٤٧٨ هـ)، والحكومة العَنازِيّة فى حُلْوان (٣٨٠ - ٤٤٦ هـ)، والحكومة اللُّورية الكبرى فى لُورِسْتان (٥٥٠ - ٨٢٧ هـ)، والحكومة اللُّورية الصغرى فى لُورستان (٥٧٠ – ١٢٥٠ هـ)، والحكومة الأَرْدِلانية فى جنوب غربى إيران (٦١٧ – ١٢٨٤ هـ)، وإمارة بَدْليس (قضى عليها العثمانيون سنة ١٨٣٦ م)، وإمارة بابان فى جنوبى كوردستان (قضى عليها العثمانيون سنة ١٨٥٠ م)، وإمارة الهكّارية فى كوردستان الوسطى (قضى عليها العثمانيون سنة ١٨٤٥ م).

(خريطة الدول الكوردية فى العهود الإسلامية).

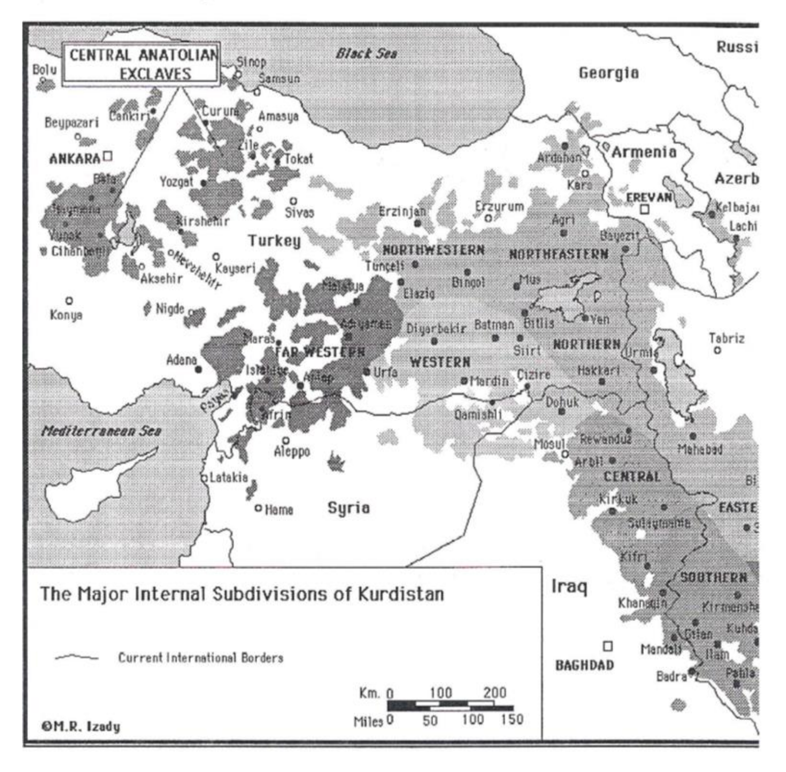


Map 20. The Domain of Kurdish Dynasties of the Medieval Period (excluding the Buwâyhids)

والسؤال الذى يفرض نفسه هو:

بما أن بلاد أسلاف الكورد لم تكن خالية قطُّ منذ سقوط مملكة ميديا عام (٥٥٠ ق.م)، ولم تصبح عرضة لهجرات كبرى، ولم يقم فيها الفاتحون بشكل يغيّر طابعها الديموغرافى الأصلى، وقامت فيها حكومات كوردية بقادتها ورعيّتها، ولم نقرأ فى التاريخ أن ثمة أناساً هبطوا على كوردستان من كوكب آخر، أو انبثقوا من الأرض، وبما أن الواقع الجغرافى والديموغرافى لا يدع مجالاً للشك فى أن الكورد ما زالوا يقيمون فى الجغرافيا ذاتها التى عاش فيها الأسلاف الزاغروس- آريين، فهل هناك تفسير تاريخى ومنطقى سوى أن الكورد الحاليين هم أحفاد أولئك الأسلاف القدماء، ومن بينهم الحوريون/الميتّانيون؟ (انظر خريطة كوردستان فى العصر الحديث).

The Major Internal Subdivision of Kurdistan





Black Sea
Georgia
Russia
Armenia
Azerbaijan
Turkey
Caspian Sea
Mediterranean Sea
Syria
Iraq
Iran
Erdehan
Qers
Sewas
Erzingan
Erzorom
Agiri
Bayazid
Dersim
Maku
Meleti
Xarput
Çewlik
Mûş
Wan
Bilis
Meres
Semsûr
Amed
Êlih
Sêrt
Îslahiye
Dilok
Riha
Mêrdin
Cizire
Şirnax
Çolemerg
Urmiye
Payaz
Qamişlo
Zaxo
Amêdi
Duhok
Akrê
Mûsil
Rewandiz
Mehabad
Bokan
Seqiz
Hewlêr
Bijar
Dukan
Kerkûk
Silêmani
Merîwan
Sine
Qurwa
Helebce
Pawe
Kifrî
Ekbatana
Nahawand
Qesrî Şirin
Xaneqin
Kirmaşan
Malayer
Gulan
Kudeşt
Mendeli
Îlam
Borujird
Bedre
Mêhran
Map of
KURDISTAN
Km.
0
100
150
Miles
0
50
100

أبراهام مالمات، وحاييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل فى العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، ترجمة وتعليق الدكتور رشاد عبد الله الشامى، المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

الدكتور إبراهيم الفنّى: التوراة (تاريخاً- أثرياً- ديناً)، دار اليازورى العلمية للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

ابن الأثير (عزّ الدين) التاريخ الباهِر فى أخبار الدولة الأَتابَكيّة بالموصل، تحقيق عبد القادر أحمد طُلَيْمات، دار الكتب الحَديثة، بغداد، ١٩٦٣م.

ابن الأثير (عزّ الدين): الكامل فى التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.

أحمد الدِّبْش: موسى وفرعون فى جزيرة العرب، دار الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

الدكتور أحمد ارْحَيِّم هُبُّو: تاريخ الشرق القديم (سورية)، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

أحمد عادل كمال: الطريق إلى المدائن، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م.

أحمد فخرى: دراسات فى تاريخ الشرق القديم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م.

أحمد كمال الدين حِلْمى: السَّلاجقة فى التاريخ والحضارة، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٦م.

الدكتور أحمد محمود الخليل: مملكة ميديا، مؤسسة مُوكْرِيانى، أربيل، إقليم كوردستان- العراق، ٢٠١١م.

أرشاك سافراستيان: الكورد وكوردستان، ترجمة الدكتور أحمد محمود الخليل، مطبعة دار سَرْدَم للطباعة والنشر، سليمانية، كوردستان، ٢٠٠٨م.

أرنولد توينبى: تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨م.

أرنولد توينبى: مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد محمد شِبْل، الإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م.

الدكتور إسرائيل فنكلشتاين Israel Finklestin، نيل أشر سيلبرمان Neil Asher Silberman: التوراة اليهودية منكشفة على حقيقتها The Bible Unearthed، ترجمة سعيد رستم، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

الأَصْفَـــهانى: تاريخ دولة آل سَلْجوق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨م.

إيمانويل فلايكوفسكى: عصور فى فوضى، ترجمة الدكتور رفعت السيّد، سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

باسيلى نيكيتين: الكورد، ترجمة الدكتور نورى طالبانى، دار الساقى، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م.

بونغارد – ليفين (إشراف): الجديد حول الشرق القديم، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٨م.

الدكتور توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسية القديمة من أقدم العصور إلى عام ١١٩٠ ق.م، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

جرنوت فيلهلم: الحوريون تاريخهم وحضارتهم، ترجمة الدكتور فاروق إسماعيل، دار جَدَل، حلب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

چفرى بارندر (مشرف على التحرير): المعتقدات الدينية لدى الشعوب ترجمة الدكتور إمام عبد الفتّاح إمام، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٦م.

جماعة من علماء الآثار السوفييت: العراق القديم (دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية)، ترجمة وتعليق سليم طه التِّكريتى، بغدد، ١٩٧٦م.

الدكتور جمال رشيد أحمد: ظهور الكورد فى التاريخ، دار آراس للطباعة والنشر، أربيل، كوردستان العراق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

الدكتور جمال رشيد أحمد: كركوك فى العصور القديمة، دار آراس للطباعة والنشر، أربيل، كوردستان العراق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

جين بوترو، أوتو إدوارد، آدام فالكنشتاين، جين فيركوتر: الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ترجمة عامر سليمان، جامعة الموصل، الموصل، ١٩٨٦م.

حسن نِعْمة: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهمّ المعبودات القديمة، دار الفكر اللبنانى، بيروت، ١٩٩٤م.

دياكونوف: ميديا، ترجمة وَهْبِيّة شَوْكَت محمد، رام للطباعة والتوزيع، دمشق.

الدكتور رمضان عبدُه على: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته إلى مجىء حملة الإسكندر الأكبر، مكتبة الزَّهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م.

رينيه لابات، موريس سنايزر، موريس فييرا، أندره كاكو: سلسلة الأساطير السورية، ترجمة مفيد عَرْنُوق، منشورات دار علاء الدين، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

الدكتور سامى سعيد الأحمد: السومريون وتراثهم الحضارى، منشورات الجمعية التاريخية العراقية، بغداد، ١٩٧٥م.

سِبْتينو مُوسْكاتى: الحضارات السامية القديمة، ترجمة الدكتور السيِّد يعقوب بَكْر، دار الرُّقى، بيروت، ١٩٨٦م.

أبو السُّعود: تفسير أبى السُّعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، دار إحياء التراث العربى، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٤م.

الدكتور السيِّد عبد العزيز سالم: تاريخ العرب فى عصر الجاهلية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠١م.

الدكتور سيِّد محمود القِمْنى: النبى إبراهيم والتاريخ المجهول، سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

صمويل نوح كرَيمر: أساطير العالم القديم، ترجمة دكتور أحمد عبد الحميد يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.

صمويل كرَيمر: من ألواح سومر، ترجمة الأستاذ طه باقر، مكتبة المُثَنَّى، بغداد، ومؤسسة الخانْجى، القاهرة، ١٩٧٠م.

القس صموئيل يوسف خليل: المدخل إلى العهد القديم (الكتب المقدسة)، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

أبو شامَة: عُيون الرَّوْضَتَين فى أخبار الدولتَين، تحقيق أحمد البَيْسُومى، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٢م.

ابن شدّاد: النَّوادِر السُّلطانية والمَحاسِن اليُوسِفية، تحقيق جمال الدين الشَّيّال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م.

الأستاذ طه باقر، الدكتور فوزى رشيد، الأستاذ رِضا جواد هاشم: تاريخ إيران القديم، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٩م.

الدكتور عامر سليمان، وأحمد مالك الفِتْيان: محاضرات فى التاريخ القديم، موجز تاريخ مصر وسوريا وبلاد اليونان والرومان القديم، بغداد، ١٩٧٨م.
عبد الحكيم الذَّنُّون: الذاكرة الأولى (دراسة فى التاريخ السياسى والحضارى القديم لبلاد الرافدين)، دار المعرفة، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
الدكتور عبد الحميد زايد: الشرق الخالد (مقدمة فى تاريخ وحضارات الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام ٣٢٣ ق.م)، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٧م.
الدكتور عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م.
الدكتور عبد اللطيف أحمد على: التاريخ اليونانى (العصر الهللادى)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١م.
الدكتور عدنان الحديدى، والدكتور معاوية إبراهيم: تاريخ الشرق الأدنى القديم، جامعة القدس المفتوحة، عمّان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
الدكتور فاضل عبد الواحد على: من سومر إلى التوراة، سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.
الدكتور فاضل عبد الواحد والدكتور عامر سليمان: عادات وتقاليد الشعوب القديمة، جامعة الموصل، العراق، ١٩٧٩م.
فِراس السَّوّاح: الحدث التوراتى والشرق الأدنى القديم، دار علاء الدين، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.
الدكتور فيليب حِتّى، الدكتور أدوَرد جَرْجى، الدكتور جبرائيل جَبّور: تاريخ العرب، دار غَنْدور للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٩٠م.
الكتاب المقدّس، العهد القديم: دار الكتاب المقدّس فى العالم العربى.
ابن كثير: قصص الأنبياء، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.
مجموعة من الباحثين: كركوك (بحوث الندوة العلمية حول كركوك) ٣-٥ نيسان ٢٠٠١، دار آراس للطباعة والنشر، أربيل، كوردستان العراق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
الدكتور محمد أبو المَحاسِن عُصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجىء الإسكندر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤م.

محمد بَيُّومى مَهران: تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠م.
محمد حرب فَرْزات، عيد مَرْعى: دول وحضارات الشرق العربى القديم (سومر وأكاد- بابل وآشور- أمورو وآرام)، دار طِلاس، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
مروان المُدَوَّر: الأرمن عبر التاريخ، دار مكتبة الحياة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.
مُوريس كُرُوزَيه (إشراف): تاريخ الحضارات العام، ترجمة فريد داغِر، فؤاد أبو رَيْحان، منشورات عُوَيْدات، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٩، المجلد الأول.
الدكتور نائل حَنّون: حقيقة السومريين ودراسات أخرى فى علم الآثار والنصوص المسمارية، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
هارى ساغز Hary Sags: عَظَمة آشور، ترجمة خالد أسعد عيسى، أحمد غسّان سِبانو، دار ومؤسسة رَسْلان، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
الهَمَذانى (رشيد الدين): جامع التواريخ، ترجمة محمد صادق نشأتْ، محمد موسى هنداوى، فؤاد عبد المعطى الصيّاد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بَدْران، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية، ١٩٦٨م.
وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، أشرف على الترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م.
- Mehrdad R. Izady: The Kurds, Crane RussakWashington, Philadelphia, London, 1992.